رواية

إلهام شرف

- اسم الكتاب

يسكن قلبها الطوفان

- المؤلف

إلهام شرف

- التصنيف

رواية

- يصدر عن

دار نشر : شعلة الإبداع

- المشرف العام

- تدقيق ومراجعة

الكاتبة : الهام شرف

- **البريد الإليكترونيّ:** shoaletalebdaa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة

ولا يجوز طبع الكتاب أو أيّ جزء منه ؛ إلا بإذن خطيٍّ من المؤلف .

ويعتبر المؤلف مسئولاً مسئوليةً كاملةً عن كلِّ ما وَرَدَ في الكتاب .

إهداء

إلى من أهداني حياةً جديدةً بعدما صِرْتُ بلا حياةٍ .

إلى أبنائي الأعزاءِ الذين هم أحبابي ..

إلى أبي و أمي و أخوتي .

إلى رُوحِهَا الطاهرة سيدة العفَّةِ وَ النَّقَاءِ (زينب الجوهري)

عَلَّمَتْنِي القرآنَ وَ جَعَلَتْنِي صَاحبَة لُغَةٍ وَ بيَانٍ .

إلى أصدقائي وَ كلِّ مَنْ شَجَّعُوني في إخراج عملي

ليَبْقَى على قَيْدِ الحيَاةِ .

إلــهـام شرف

أمَا آنَ الأوانُ للانْسِحَابِ ؟

حَتْمًا سَيَأتي مِنْ قريبٍ أو بَعيدٍ .

بَرْقٌ وَ رَعْدٌ

سَوْفَ نبني أنفُسَنَا مِنْ جديدٍ

كُنْتُ أظنُّ حينَهَا أنَّهَا مُسْتودَعٌ مِنَ الجَانِ كمَا كانَ يظُنُّ البَعْضُ مَعِي ، فقدْ كانَ عُرْسُهَا الغامِضُ يُوحِي لِمَنْ يسْمَعُ أصْوَاتَ الزَّغَاريدِ وَ الأبوابُ مُوصَدَةٌ كأنَّ أبَاهَا الدَّجَّالَ سَخَّرَ لَهَا مِنْ خُدَّامِ الجنِّ مَنْ يرسِمُ لَهَا عُرْسَهَا .

أحْسَسْتُ حينَهَا برَهْبَةٍ فظيعَةٍ لا أعرفُ مَعْنَاها إلا بَعْدَ مُرورِ الزمَنِ الطويلِ على مُجَاوَرَتِي لَهَا .

مَرَّ على زَوَاجي مَا يقربُ مِنْ بضْعَةِ أعوَامٍ لَمْ يكُنْ لِي حينَهَا خبرَةٌ بالحيَاةِ أوْ مَعْرفَةٌ تَامَّةٌ بمَنْ جَاوَرُوني وَ لكنِّي لَمْ أكُنْ أزهَدُ بالاسْتِمَاعِ وَالاسْتِمْتَاعِ بالوقْتِ نفسِهِ إلى مَنْ يَهُمُّهُمُ الأمْرُ .

أستَمِعُ وَ لا أتَحَدَّثُ بتعليقٍ ،

أسْمَعُ منْ أهْلِ زَوْجي الذين هُمْ يكبرونَني في العُمْرِ وَالخبرَةِ أيضًا ، سَمِعْتُ كثيرًا وَ كثيرًا خاصَّةً منْ وَالدِ زوْجي (العَمّ عَوَض) ،

هذا الرجلُ الذي اتصفَ بالحِكْمَةِ وَ مَعْرفتِهِ الكاملَةِ بمَنْ حَوْلَهُ.....

هذا الرجلُ الذي أحبَبْتُ أنْ يكونَ قُدْوَتي بَلْ تمَنَّيْتُ كثيرًا أنْ يكونَ زَوْجي الذي هُوَ بالفِعْلِ ابْنُهُ ،

تَمَنَّيْتُهُ أنْ يكونَ مِثْلَهُ بلْ نَصَحْتُهُ كثيرًا أنْ يَحْتَذِيَ بهِ فهو نِعْمَ الشخصُ بَلْ نِعْمَ الأبُ لَهُ في حَيَاتِهِ.

كثيرًا مَا حسَدتُّهُ علَيْهِ وَ كثيرًا مَا كنتُ أسألُ هذا الرجلَ الذي اعتبرتُهُ وَالِدِي ، أسألُهُ عَنْ أشياءَ أحبَبْتُ أنْ أتعلَّمَهَا منْهُ حَيْثُ كنتُ آخُذُ مِنْهُ الشرحَ الكافيَ الوافيَ .

تقَرَّبْتُ مِنْهُ كثيرًا وَ تقرَّبَ مِنّي لشدَّةِ فَهْمِي لَهُ وَ مُلاحَظتِهِ الدَّقِيقَةِ أنّي أفهَمُهُ وَ أريدُ أنْ أتعلمَ مِنْهُ ، بلْ رُبَّمَا لَعِبْتُ دُونَ قَصْدٍ على وَتَرٍ حَسَّاسٍ داخِلَهُ أو على نُقْطةِ ضَعْفٍ لَهُ ليمْنَحَنِي شَرَفَ الدفاعِ عنّي وَقْتَمَا أمُرُّ بضائِقَةٍ مَعَ عائلَتي الجديدَةِ الذين هُمْ أبناؤهُ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يخلو بيتٌ مِنَ المَشَاكِلِ خَاصَّةً في بدايةِ حيَاةٍ زَوْجيَّةٍ حَتَّى يتعَوَّدَ الأبناءُ على وُجُودِ مَنْ جَاءَتْ إليهمْ لاعْتِقَادِهِمْ أنَّهَا إنَّمَا جَاءَتْ لتَحِلَّ مَحَلَّهُمْ وَ تأخذَ مَكَانَهُمْ .

أوَّلُ مَرَّةٍ يَرَاهَا وَجْهي لنْ أنسَاهَا..

لَمْ أتوَقَّعْهَا مِنْ قَبْلُ ، لَمْ أرسمْ بذاكرَتِي مَلامِحَهَا ، أيضًا تَشَوَّقْتُ كثيرًا أنْ أرَاها ، الآنَ عَفْوًا رَأيْتُهَا ، ليْسَتْ مُتَكلِفَةً بِلِبْسِهَا ، العَبَاءَةُ البَمْبي المُلَوَّنَةُ وَ بنطلونٌ أحْمَرُ يظهرُ مِنْهَا وَ غطاءُ رَأسِهَا البسيطُ وَ هيَ تخرجُ بَعْدَ عُرْسِهَا بأيامٍ لقضاءِ حَاجَاتِهَا ، الحُزْنُ في وَجْهِهَا ، عيناهَا تنظرَانِ للأرضِ ، بصَوْتٍ خَافتٍ تُلْقي السلامَ ، أرُدُّ وَ يَرُدُّ زَوْجي ثُمَّ يقولُ : هيَ العَرُوسُ وَ اسْمُهَا (سَارَّةٌ) .

تعَجَّبْتُ منْهَا كثيرًا .

تكادُ تظهَرُ في سِنِّ مُرَاهَقتِهَا ، قبلَ ذلكَ رأيْتُ زَوْجَهَا الذي يبدو شيخًا في شَكلٍ لا يليقُ بهَا فتَسَاءَلْتُ أو بدُونِ أنْ أسألَ تقريبًا تسردُ لي قِصَّتَهَا ،

أبُوهَا مَنْ زوَّجَهَا برَجُلٍ شيْخٍ وَ مريضٍ بَعْدَ أنْ أخذَ مِنْهُ كلَّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مَالٍ ، يَقْصِدُ بهذهِ الزيجَةِ أنْ يُغَطيَ فِعْلَتَهُ وَ مَا هيَ إلا " عبدًا للمَأمُور ".

في الحقيقةِ ليسَ في عُنْفُوانِ شَبَابِهِ في سِنِّ الأربَعِينَ أوْ يزيدُ بالطبعِ لا يليقُ بهَا سِنًّا لكنْ كانَ ينبَغي أنْ يليقَ بشكلٍ وَ حياةٍ أفضلَ وَ لكن الناظرَ إليهِ يحْكُمُ كمَا حَكَمْتُ أنَا أوْ يزيدُ .

وَيْلِي حِينَ رَأيتُهَا ، شيءٌ يهمِسُ بى : هيَ قدَرُكِ المُنْتظرُ فاحْذَري مِنْهَا .

يمْدَحُهَا بكل قُوةٍ وَ يشْفِقُ عليها مِنْ هذهِ الزيجَةِ بالرغْمِ مِنْ عمْرِهِ الذي يُقَاربُ عُمْرَ زَوْجِهَا وَ لكنَّ فارقًا كبيرًا فمَنْ يَرَ زَوْجي يَجِدْهُ في عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ ، في قُوَّتِهِ وَ صِحَّتِهِ .

لَسْتُ أنَا وَحْدي مَنْ كانَ بذُهُولٍ وَ لسْتُ أنَا مَنْ كانَ يُجَادلُ فى الأمْرِ ، فأهلُ الحَارَةِ كلُّهُمْ يعيشونَ في شَأنِهَا وَ يتسَاءَلُونَ ؟ رُبَّمَا للاستِنْكارِ وَ رُبَّمَا لرَفْضِ الأمْرِ أوْ رُبَّمَا هُمْ خائفونَ لجيرَتِهَا أوْ مِنْ أبيها الذي بدأ الكلُّ يعرفُهُ مُنْذُ قُدُومِهَا إلى الحارةِ بلْ يعرفونَهُ مُنْذُ زَمَنٍ وَ يتجَاهلونَهُ وَ الآنَ يَرَوْنَ على وُجُودهِ دليلا ليَذْكُرُوهُ بمَا

ليسَ طيّبًا .

كلٌّ في شَأنٍ .....

كلٌّ يتكلَّمُ .....

وَ أخيرًا.....

فالأمْرُ مُبْهَمٌ .

بالصُّدْفَةِ وَ أنا أخرجُ مِنْ بَيْتي .....

تَعَوَّدُوا أنْ يجلسُوا جميعًا ، مَجْمُوعَةٌ منَ الرجالِ كبَارِ السِّنّ ليسُوا بشيخوخَةٍ بَلْ هم في نُضُوجٍ ... تعَوَّدُوا أنْ يجلسُوا مَعَ وَالدِ زَوْجِي لسَرْدِ قصَصٍ وَ حكاياتٍ مَرُّوا بهَا ،

تَعَوَّدُوا الحَكْيَ عنْ ذكرياتِهم القديمَةِ ، وَ لكنْ مَا يُسْرَدُ بهذهِ اللحظةِ ليسَ بقديمٍ جعَلَني أتعَجَّبُ وَ أرَكِّزُ في الاسْتِماعِ .

لَمْ أنطقْ بكلمَةٍ وَ لكنْ كنْتُ مَشْدُودَةَ الانتبَاهِ أكثَرَ مِنَ اللازمِ وَ جلسْتُ بجانبهمْ للاسْتِمَاعِ لباقي حَدِيثِهِمْ .

هوَ مَنْ فَعَلَ بنفسِهِ ذلكَ .

هوَ مَنْ تَرَكَ أمَّهُ وَ أبَاهُ .

" بصَرَاحَةٍ يسْتَاهِلْ كلَّ اللي يجْرَى له ".

لَمْ أكُنْ أعلَمُ عَمَّنْ يتكلمُونَ وَ لكنَّ الحديثَ شَيِّقٌ حَتَّى إذا مَا انتَهَوا مِنْ حديثِهمْ أوْ رُبَّمَا لَمْ ينتَهُوا لانتقالِهِمْ إلى حَديثٍ آخرَ لألتفِتَ إلى زَوْجي الذي اعتادَ مُجَالَسَتَهُمْ لارتباطهِ الشديدِ بأبيهِ وَ اعتَدتُّ أنَا السُّؤَالَ عَنْ حقائقَ وَ مَاهيَّةِ الأمُورِ .

" همّ بيتكلموا عنْ مين "؟

ليشيرَ بإصْبعهِ إلى البيت المُقَابل لبيتنا وَ أكادُ من إشارتهِ أفهمُ بعضَ الشيء.

الوهْمُ يأتيني بطريقٍ آخر على شكلِ كابوسٍ كادَ يتكررُ كلَّ يومٍ بنفس الشكل حتى كادَ قلبي يَدُقُّ و يخافُ ليرْهِبَ منَ المنتظر، بالرغم أنى كنتُ أتجاهلُ الأمرَ و لكنَّ التكرارَ يؤلمني .

عامًا بأكملهِ أرى هذا الكابوسَ .

أراه ليقلقني لا ليخيفني .

يشغلُ بالي و لا يفارقني .

بالفعْلِ أريدُ تفسيره ولا أستطيعُ بلْ أتناسَى الأمرَ و أتجاهلُ .

نعمْ لا بُدَّ منْ تجاهلِهِ و نسيانه تمامًا .

وَ بالكادِ فعلتُ ليتكررَ و يتكررَ و لا مَفَرَّ منْهُ.

فبيتُها الذي يجاورُني بلْ يقابلُ بيتي بالضبطِ اشتراهُ والدها لزوجها على مَا أعلمُ و لكنْ شراءٌ صوريٌّ بمعني أنهُ أمامَ الناسِ بيتُ الزوجِ و الحقيقةُ أنَّ الوالدَ منِ امتلكَهُ حيث سَجَّلَهُ باسمهِ في الشهر العقاري و لهُ في ذلكَ أمرٌ حيثُ يضمنُ حياة ابنتِهِ معَهُ فقدْ وصلَ لحالةٍ يُرْثَى لها و ربَّمَا على انتظار مشارفِ الموت قريبا ، فلو كُتِبَ باسمِهِ و لم تنجبْ منْهُ الأولادَ وَرِثَهُ أبواهَ اللذان هما على قيدِ الحياة و ينعون ابنَهُما في هَمّهِ بلْ يتحسَّرُ قلبُهما على مَا آلَ إليهِ حالُهُ و نصحوهُ كثيرا بلا رجعةٍ ليحتجَّ على نُصْحهم بالابتعادِ عنهم تمامًا و نسيانِهِ لهما بلْ و تجاهلهم ليحرموا حتَّى منْ فرحتهم بهِ و حضور ليلةِ زفافهِ بلْ رُبَّمَا كانوا لا يعلمون عنِ الأمر شيئًا حيثُ حرصَ الأبُ اللعوبُ كتمان الأمرِ على أنْ يتمَّ بسرِّيَّةٍ تامَّةٍ ليفاجئَ الجيرانَ أذانَ المغرب وقتَ الصلاة مباشرَةً و الكلُّ مشغولٌ بصلاتهِ بالمسجدِ حَتَّى

الدكاكينُ أغلقتْ و العروسُ تُزَفُّ ووراءَها حوالي سبعَةُ أفرادٍ باركوها و لمْ يدخلوا معهُ و دخلتْ هي بنظري إلى هذا العالم المجهول فمَا لحقَتُ حتَّى وقتها أنْ أرى وجهَها .

كانَ ذلك دافعا كافيا لانشغالي بها وكان لي رغبةٌ في فكِّ طلاسِمِها التي دفعني غموضُها إلى ضرورة التوغل فيها دونَ إرادةٍ مِنّي و مع ذلك لمْ أبُحْ لأحدٍ أو أشاركْ أحدًا فيما انتابني من جيرتها فلا داعيَ أنْ يفهمَ أحدٌ مثلما فهمتُ أنا ، فالأمرُ مُعَقّدٌ بذلك و لا داعيَ للتعقيدِ أكثرَ مِمّا هوَ عليه.

بالكادِ مَرّتْ بشهر حَمْلِهَا السابع وعلى وشكِ الولادة و لا بُدّ أنْ أباركها حينها .

فهلْ لي بشأن أنْ أدخلَ هذا البيتَ المهجورَ .

نعم مهجورٌ مِنْ ذكر الله .

مهجورٌ منَ الفرحة و السعادةِ.

مهجورٌ حتّى منَ الأصولِ .

بلْ مهجورٌ منْ بني البشر ليسكنَهُ الجنُّ على مَا أظنُّ.

دخلتُ بيتها ليلا لظروفٍ تنتابها بعدَ ولادتها فلمْ أكنْ أذهبُ للمباركة بلْ ذاهبَةً حيثُ حانتِ الفرصة للتجَسُّسِ والتلصُّصِ ولكشفِ الحقيقةِ.

و مَا إنْ دخلتُ حتى أجدُ حجرات متداخلة واحدة تلو الأخرى أرى بيتَها لا نهاية له أدركُ حينها الخطرَ ولا أتعداهُ إلا بتلاوةِ القرآن حتّى أستيقظَ من نومي و أنا أتلوهُ و دقاتُ قلبي مرتفعةٌ.....

وَيْلِي من هذا الكابوس ليس بمخيفٍ و لكن تكرارُهُ يخيفني حتّى دعوتُ الله أن يبعدَهُ عنّي و أن يكفينيَ شرَّ مَا بهِ، بالفعل مَا عدتُّ أرى و لا أتذكرُ شيئا إلا أنه

وَهْمٌ يأتيني منْ شيطان يدعوني إلى قطع الصلةِ .

قاومتُهُ برمي السلام عليها دائما لتبتسمَ و تفرحَ بقلبها وهى تردُّ السلامَ بكل حرارةٍ ، على علمٍ أنَّ مَنْ يلقي عليها سلامًا ظنًّا منهُ أنهُ بذلك يتقي شرَّها وَ شرَّ أبيها .

و لكنّ شيئا منَ الخوفِ يأتيني ، دامَ هذا الحالُ ما يقربُ منْ عشرةِ أعوام لا يوجدُ بيننا إلا السلامُ و التهنئة في الأعيادِ في ثوانٍ معدودةٍ.

في الحقيقةِ لم أدخلْ بيتَها أبدا و لم أختلطْ بها و لنْ يكونَ.

عشتُ مرتاحةَ البالِ و قلبي مُطمئنٌّ إلى أنْ حانَ وقتُ القلقِ و الرهبةِ الفظيعةِ لتقلقلَ الماضي داخلي.

زوجُها الذي أكلَ منهُ الزمنُ و شربَ قارَبَ على الموتِ باقي من الزمنِ شهورٌ.

عاشتْ في الحارةِ طيلةَ أعوامها العشرةِ يشهدُ الكلُّ لها بهدوئها كأنها بحالةِ خِزْي وعار مِمّنْ تزوجَتْهُ مُرغمَةً.

و لإتقانها الدورَ الذي تلعبُهُ جيدا أرادتْ أنْ يحبَّها الناسُ بطريقتها حيثُ لجأتْ إلى المَسْكنَةِ و إلى إثارة الشفقَةِ.

فزوجُها مريضٌ لا يعلم بحالِهِ أحدٌ إلا الله و أيضا أبوها...

زَوَّجَهَا أبوها لمنْ لا يخرجُ حتّى لعملٍ لكَسْبِ رزقٍ يُعينُهمْ على المَعيشةِ بلِ اكتفوا بما يقتاتون به تحتَ سيطرةِ الأبِ الملعونِ الذي سَيْطرَ تمامًا على كلّ أموالِ زوجها و كلّ مُوَثَّقٍ باسمه من أموال وأملاكٍ و ينتظرُ مَوْتَهُ بفارغ الصبر.

اكتفى الأبُ بالاستيلاءِ على أموالهِ و تحويلِ كلّ ما يملكُهُ باسمه إليهِ بعقودٍ رسميةٍ فلا يملكُ بحياتهِ إلا لباسهِ الذي يرتديهِ و زوجته التى ضَحَّى بها أبوها لإرضاءِ جبروتِهِ.

لم يكنْ موتُهُ بسهولةٍ و لا بالأمر الهَيّنِ بلْ كان بفعلِ فاعلٍ و لوجودِ المصلحَةِ الكبيرة لابنتِهِ.

عرفهُ الناسُ بالدجلِ و السّحْرِ و ذكروهُ ِ و خافوه و ارتعدوا منْ سيرتهِ ليقصُّوا حكاية قضائِهِ على زوجِ ابنتهِ المنتهي أمره الذي افتقدَ أمَّهُ وأباه باكرًا و هم على قيدِ الحياةِ و تبرّأ منهما ليعلنَ صراحة أنَّ أباهُ " الشيخَ عوض " عاجلا أمْ آجلا فتركوهُ و ضلالهِ لينتهيَ مصيرُهُ على يديه بصَرَعٍ ثمّ مرضٍ ثمّ مَوْتٍ ثمّ .....

ذلكَ الدَجّالُ الذي ربّمَا سقاهُ علقمًا كما يُقالُ أو سقاهُ الموتَ مُنْذُ زمَنٍ ربّمَا سقاه سِحْرًا و لمْ يكنْ هناكَ شاهدٌ عليه سواه حيْثُ حرصَ ذلك الدجّالُ أنْ لا يختلطَ بأيّ أناسٍ فلا يعرفون ماهيَّتَهُ و اكتفي فقط بمنْ يتسَلَّطُ عليهم حتّى نسيان اسمِهِم تماما فيقومون بخدمَتِهِ و الطاعةِ و الولاءِ له.

و لكنْ بمَا أنَّ الموتَ منْ أمْرِ رَبّي فقد عاشَ مَا عاشَ مريضًا يرتاعُ لوجهِهِ مَنْ يراهُ و مَنْ يرَهُ يعرفْ أنَّ وراءَ هذا الوجهِ سِرًّا .

وَيْلي هي في ريعانِ شبابها في السابع و العشرينَ منْ عُمْرها ، سيتركُ لها بنتَيْنِ و ولدَهُ الأكبرَ ، العجبُ كلُّ العَجَبِ أنها مَا علمَتْ بخبر قُرْبِ مَنِيَّتِهِ إلا و تبدَّلَتْ بها الحياةُ.

لبْسُها البسيطُ انقلبَ إلى عباءَةٍ سيواريهِ و الطرحَةُ اللامعَة التي تهنئُها بفكِّ أسْرِهَا و كأنها تقولُ للعالمِ مِنْ حولها: (كفى) قدْ حانَ وقتُ الانتصارِ.

العيونُ إليها تنظرُ تتعجبُ و عيونٌ أخْرَى تنتظرُ طمَعًا.

لا أعلمُ لماذا الخوفُ و لا أعلمُ لماذا تكررَ في نفسي كرهُها و لماذا تذكرتُ هذا الكابوسَ الذي لا يخيفني حينها.

أخافني الآنَ و أراه يتجسدُ أمامَ عيني و كأنَّ الحال يتبدلُ .

أنا من يعبسُ وجهها أنا من يهملُ نفسَه خوفا مِنَ الغدِ الذي أتمنّى أن لا يأتي .

عيبي الوحيدُ أنْ أرى المستقبلَ دائمًَا، بل هذا مصدرُ تعاستي .

العجبُ كلّ العجبِ لمنْ يطلبُ منّي دومًا السؤالُ عليها لإنصافها و شعورها أن ليست وحدها .

لا أنصاعُ له و لا أستجيبُ بلْ أحيانا أضطرُّ لغير الحقيقةِ فحين سؤالي أجيبُ بأني فعلتُ و فعلتُ و لا داعي للمناقشةِ في الأمر فهو بَيِّنٌ واضحٌ و يمكنُ أن يكونَ مفروغا منهُ.

الأعجبُ طريقة إلحاحِهِ على هذا الأمر الذي جعلني أستنكرُه و أرفضُ فعلَهُ تماما بل الكذبُ عليه أحيانا أني فعلتُهُ.

العجبُ أيضا أنَّ جيرتي لها طالتْ مهمَا طالتْ لمْ أفكرُ أبدا بدخول بيتها بل كنتُ أرفضُ النظرَ إليه و ألا يأتيني هذا الكابوسُ الذي رأيتهُ منذُ زواجها و لم أحْكِ عنْهُ أبدا لجنسِ مخلوقٍ بلْ تركتُ الأمرَ لي وحدي حتى لا يتمُّ مَا بهِ مِنْ شرٍّ.

إلى أن جاءَ الموعدُ ...

و حانَ وقتُ الرحيلِ ....

رحيلِ زوجها ...

الخبرُ كان بمقتلٍ داخلي رُبّمَا علمتُ السببَ و خشيتُ منهُ.

..... رُبّمَا الكابوسُ القديمُ الذي تلاشيتُه تذكرتُه..

رُبّمَا خوفي منها أو منْ سيرة أبيها التي لا تطاقُ.

حينها كنتُ بالعمل ، بوظيفتي ، سمعتُ خبرَ وفاته كالمعتادِ بميكروفون المساجدِ تعوّذْتُ بالله منها لينقبضَ قلبي و لم أعلمْ لِمَ استعجلتُ الذهابَ إليها لأقدمَ لها

عزائي.

تمنيتُ لو هي مَنْ ماتتْ....

تمنيتُ لو يثأرُ الزمنُ ممَا فعله أبوها بزوجها...

تمنيتُ لو ينفطرُ قلبه على ابنته و لم ينلْ منْ زوجها و لا زواجها شيئا.

و لكنْ للهِ حكمٌ فيما اختاره لعباده و القصاصُ بالآخرةِ أشدُّ.

دخلتُ إليها كالباقي منَ النساءِ ...

لمْ أقدرْ أنْ أسلّمَ عليها قبلَ ملاحظتها منْ بعيدٍ ...

جلستُ ليس بجانبها بل في المقابل لها....

جلستُ لأسرحَ بعيدا فيها و وجها المُنْكَبِّ داخلَ حِجْرها ...

جلستُ لأراها...

لأنظرَ في وجهها بعدما رفعتْهُ لأرى فيه ما لمْ يَرَهُ الناسُ ...

أقسمُ بالله أنها تضعُ الماكياج و تتزينُ كما لو ذهبتْ لعُرْسٍ و ترتسمُ البسمَةُ في وجهها وهى تولولُ رحيلَهُ لتشدَّ انتباه الناس إليها.

المغفلون ينعونها و يدعونها الصبرَ وهم لا يعلمون....

خرجتُ من بيتها خرجتُ لأذهبَ إلى بيتي ...

خرجتُ ألعنُها وأدعو ربى أن يكفيَني شرها.

ذكرتُه بذلك الحينِ

.... ذكرتُ العزيزَ على قلبي(والدَ زوجي) الذي وافتْه المَنِيَّةُ منذُ وقتٍ ليس

بالقريب.

تذكرتُ حكاياتِهِ عنْ أبيها و تمنيتُ وجودَهُ بجانبي في ذلك الوقتِ الذي أحتاجُهُ فيه أكثرَ منْ أي وقتٍ...

ذكرتُ والدَ زوجي وطلبتُ له الرحمَةَ مما أثار انتباهي في الموضوع كلهِ أنَّ عائلةَ زوجي رفضوا عزاءَها تمامًا في زوجها فلم يكُنْ يومًا كلموها أو اختلطوا بها و لكن ليس ذلك داعيا كافيا بل حملوا على زوجها قبلَ وفاته بشهور تدخله في أحدِ المشكلات العائلية و تحاملَ عليهم كثيرا لينطقَ كلمةَ حقّ ضدَّهم و لا أنكرُ أنه رغم مرضِهِ و العبث بعقلهِ إلا أنه كانَ له مِنَ الأوقاتِ ما يزينُ عقله و أنه أيضا كانَ يحبُّ التقربَ لزوجي لشفقة زوجي عليه في بعض الأحيان و كنت أتعجبُ لهذا القربِ حيثُ شخصيتهم المتناقضةِ تمامًا.

حاولتُ أن أتناساها أو أتلاشى حتّى التفكير فيها حاولتُ أنْ أبعدَ عنها كلَّ البُعْدِ....

و لكني لن أنسى هذا اليومَ الذي أقفُ فيه فوقَ سطح منزلي دونَ ترتيب لأراها و لم يكنْ يمرُّ على مَوْتِ زوجها الكثيرُ ...

أراها و هي واقفة على ناصيةِ الشارع و كأنّها تقفُ في عرضِ أزياء.

أراها و قدْ تغيّرَتْ ملامحُها تمامًا ...

لا أنكرُ أنها تغيّرَتْ إلى الأفضل بلْ لدرجةِ الإغراءِ ...

و كأنها فعلتْ بنفسها ما يفعلُه الفنانونُ ليرتقوا بجسدهم إلى أعلى الدرجاتِ.

الأمرُ مفرطٌ تماما و فيهِ شيءٌ منَ الغرابةِ .

زوجها توفى و بدلا منَ الحزنَ و ضياع الحالِ وجدتُها على أحسنَ حالٍ.

أراها فأطلبُ السترَ من ربي . خاصّةً أن كلَّ ما كانَ يملكه زوجُها و استولى عليه أبوها طلبتْ منْهُ فورَ وفاتهِ أن يحوله باسمها فقد فاتَ من زواجها وعشرتها له عشرَةُ أعوامٍ دونَ أنْ تملكَ أو تتمتعَ بما تملكُ رُبّمَا أبوها استولى على الكثير و تمتَّعَ بهِ و لكنْ ما بقى يكفيها بلْ يحصنُها و يجعلُها تعيشُ بأعلى مستوى.

كلُّ ذلك قلبي منها ينتفضُ ..

كلُّ ذلكَ و لا أعلمُ لماذا؟

كلُّ ما هنالكَ قلبي ينقبضُ ، و لا ينبسط لها.

تحققتْ نبوءَتي حينما أتى أحدُ شبابِ الحارةِ ليعلنَ أنّها على علاقةٍ بأحدِ الشبابِ الذي يتسللُ إليها ليلا ، هذا الشابُ الذي أصبحتُ على علاقةٍ مَعَهُ بعدَ موْتِ زوجها ليلحظها كثيرٌ من شبابِ الحارة و ينتقدون فعلها.

هذا الشابُ متزوجٌ و له بنتٌ و يسكنُ بنفس الحارة بلْ بجوار بيْتِ أبيها.

شابٌّ يقاربُ سنُّهُ سِنَّها و يجبُ أنْ تعَوّضَ ما فاتَها مِنْ عمرها به و ليس غريبا عليها ذلكَ فقدْ عاشتْ كلَّ حياتها محرومَةً موءودَةً من سعادتِها لترميَ عن عاتقها كلَّ ذلك و يتحمّلّ غيرُها الذين هم ليس لهم يَدٌ نتيجَةَ ما حُرِمَتْ منه.

هذا الشابُّ الذي ادعى كثيرٌ مِمّنْ رآها معه أنهم على علاقة غير مشروعة منذُ زمن أيْ قبلَ الزواج من (مسعود) بل تغضبْ دائما من فعلةِ أبيها لأنه كانَ سببا لفراقهما و الآنَ يجبُ التعويضُ عمّا فاتَ من عمرها دون فائدةٍ مَعَهُ و هو أوّلُ مَنْ أطلقَ صفارة الإنذار و رفعَ رايةَ التسليمِ لتشجيعها.

إعلانُ الآخرِ ليس اعتراضا مِنْهُ بلْ حقدا على أن تَرَكَتْه منْ قبلُ بسببِ هذا الشابِّ.

يبدو أنها بعدَ وفاةِ زوجها قد أثارتِ الكثيرين من شبابِ الحارَةِ عمْدًا

بل يبدو أن فترةَ مرضِ زوجِها أكثرَ منْ عامين فتحتْ لها الأبوابَ على مصراعيها لتفعلَ ما شاءَتْ دونَ أنْ يلاحظَ أحدٌ ما تفعلُهُ.

و يبدو أنَّ شيئا لم يظهرْ عليها حيثُ تيسيرُ المكالماتُ الهاتفيةُ يسَهّلُ كثيرا منْ هذه الأمور بلْ يجعلُ مثلها مَطْمَعًا لمنْ يراها على استعدادٍ لذلك.

يبدو أنّ الكلَّ علمَ بما ورثتْهُ بعدَ موتِ زوجها و يبدو طمعُ الكلِّ فيها ...

يبدو أنها أيضا مريضَةٌ و تَوَدُّ أنْ تأخذَ حقَّها منَ الدنيا و مَنْ فيها بعرضِ أنوثتها....

و لكن لم ينتبهْ أحدٌ لذلك فالعيونُ عليها ثمَّ مَا مَلَكَتْ و يبدو أنها تعلمُ ذلك فيحلو لها اللعبُ بمَنْ يريدُها و يهواها.

هو يريدُ منها الانتقامَ ...

بلْ يريدُ الانتقامَ بفضيحَةِ أمرها... فيذهبُ إلى كبير الحارَةِ ليريَهُ بعضًا منْ رسائلها على التليفون ، و يسردُ له قصّتَهُ مع هذا الشابِ ، ليتَصَرّفَ هو معها.

كبيرُ الحارَةِ (أشرف)...

هو زينةُ شبابِ الحارةِ ...

هو الحقُّ و بعد عنِ الباطلِ ....

هو مَنْ يهابُه مَنْ يراه و مَنْ لم يرتكبْ بنظرهم الخطأ أبدا.....

هو قدوَتُهم و طريقُ اللجوءِ إليه مفتوحٌ لا يُغْلَقُ بوجهِ أحدٍ....

هو مَنْ يعلمُ عنهم الصغيرةَ و الكبيرةَ و يعترضُ دائما عمَّا لا يليقُ بهم.

الكبيرُ يفكرُ و يفكرُ أوّلُ مرّةٍ يقفُ بمواجهةِ اتهامٍ كهذا حيثُ لم يرَ بعينه و بالأكيدِ طلبَ منه أنْ يُرَاقبَ ليرى و يسمَعَ و يواجهَ و بالأكيدِ عرفتْ زوجتُه و سمعتْ

بالأمرِ و حذرتْهُ كثيرا و لا يلتفتُ إلى تحذيرها ويواصلُ .

لم يكنْ يعلم حينها أنّهُ يفتحُ لها بَابًا أعظمَ ...

فقد ناداها مَنْ نُسَمّيهِ كبيرًا أو الأستاذ (أشرف) ليسردَ عليها ما قِيلَ عنها..

و بحنكَةٍ منها تبكى ، تنكرُ و تتوَعَّدُ....

بل تتباهى و تفتخرُ بأبيها بأنه مُعلّمُ الناسِ .

نعم في نظرها معلمُ الناس و في نظر الجميع يهدمُ نفوسَ الناسِ .

بل ترفضُ التعاملَ مع منِ اتهموها و تقاطعُهم عقابًا على اتهامهم مقاطعَةً تامّةً لتلفتَ إليها الانتباهَ بهذه المقاطعةِ كأنها تخيفُهم منها قبلَ معاقبتِهم...

تذهبُ إلى بيتها لتبحثَ عنْ طريقةٍ للانتقام ممنْ نالوا منها ... فقد كفاها الزمنُ مِنَ الحرمانِ ما كفى....

"الآن يعترضون طريقها."

رُبّمَا نجحَتْ فيما تفعله فقد غابتْ عَنْ أعينِ جيرانها كثيرا و كثيرا ليتساءلوا عن حقيقةِ غيابها و يتناسَوا حقيقةَ علاقتها بآخرَ..

ربّمَا نسوا هذا الأمرَ تماما و لم يتجاهلوا غيابها بل مكوثها داخل بيتها أيامًا معدودةً متواليةً.

رُبّمَا تراقبُ من وراءَ شبابيكها ربما هي تنتظرُ و تنظرُ لتخططَ أكثرَ.

المُتّهمُ الوحيدُ بالأكيدِ عنْ غيابها هو الكبيرُ تغيّبّتْ بعدَ المواجهَةِ مباشرَةً و هو الآنَ مَنْ يحسُّ بالذنبِ الذي يجبُ أنْ يغفرَ بل أحسَّ أكثرَ ببراءتِها على الرغم منْ رؤيتِهِ لها بما لا يليقُ و أصبحَ يلومُ نفسَهُ بل يوبّخُها أحيانا داخلَ نفسِهِ و أحيانا أخرى يلتمسُ العذرَ لها والزوجَةُ بعذرها تستغفرُ ربّهَا و تطلبُ منه السّتْرَ فللهِ الأمرُ.

تمرُّ أيامٌ و أيامٌ ولا تخرجُ من بيتها...

الكبيرُ مشغولٌ بها ، و كثرتِ التساؤلاتُ بداخلهِ ، اتهامُها باطلٌ ، الخطأ بحقها براءتها ، طمعُ الشبابِ فيها.

لم يكنْ يعلمُ حينها و هو يجلسُ في دُكّانِهِ المتواضع أنَها تَتَحَسّسُهُ و تتجَسّسُ مِنْ وراءِ شباكِها...

تدبّرُ كيفَ تصلُ إليه ، كيف يكونُ لها بديلا عَمّنْ ذهبَ بسببهِ و سبهُ لها.

لم يكنْ يعلمُ أنه سيقعُ بشبَاكِها و أنها مَنْ تحفرُ له قبرًا بيدها.....

يبدو أنهما اتفقا بتفكيرهما سَويًّا .

بل يبدو أنها شغلَتْ تفكيرَهُ و الآنَ يدبرُ.

بل يبدو الأمرُ لا يفوتُ بالهَيّنِ .

و ستبدو فيه الضحايا قريبا.

حذرتُهُ كثيرا حينَ علِمْتُ بالأمر، و لكنها الأزكى ، فقد نالتْ كثيرا مِنْ تجاربِ الزمَنِ عنَّا.

الآنَ تخرجُ من بيتها..

تزينت و كأنها نسيَتْ مَنْ مات من بضعةِ شهور...

الآنَ تقاطعُ أهلَ الحارة صغيرَهُم و كبيرَهُم ثأرًا لما قيلَ عنها...الآنَ تنظرُ للكبير بعينها التي لا يوجدُ فيها سِحْرٌ و لكنها تعَوَّدَتْ فيهما رسمَ الأحزانِ و كأنها تلومُه عَمّا بدَرَ منه.

تَملّكتهُ الحيرَةُ، الغيرَةُ ، الرّغبَةُ في التكفير عَنِ الذنبِ ، كما تملّكَهُ أيضا

الاحتفاظُ برجولته أمامها ، أخذَ فيها أنها تهينُهُ بالمقاطعةِ و الخصَامِ و اللّوْمِ بعينها...

حينها نسي تمامًا مَا قيلَ عنها.

بل يريدُ أن يزيحَ ما قالَهُ لها بأي طريقةٍ،

يبدو أنها تعلمُ بحاله و وصلتْ للهدفِ المنشودِ.

نسى حينها أنّ النظرةَ الأولى ليك و الثانيةَ عليكَ .

هي تلومُ وهو يزجرُ...

و فجأةً دخلَ بينهما شيطانُ النظرةِ يعلنُ انتصارَهُ الرهيبَ.

فجأةً يرمي كلَّ مَنْ حولَهُ ، الناسَ ، الهيبةَ .....

الحاضرَ، الماضي ، المستقبلَ ، و أخيرا الزوجَةَ و الأولادَ ..

العجَبُ أنّه لا يعلمُ أنّ هذا حتمًا مَهْرُها...

العجيبُ أنه لا يصدّقُ رغبتَها في الانتقامِ و النَيْلِ منه...

الناسُ يلاحظون و يذكرونه بأنَّه الفريسَةُ الجديدةُ المقصودةُ ، كلُّ هذا هبَاءٌ ، و يصفقون يدًا على يَدٍ وهى تستمتعُ بما يحدثُ، و بكلّ الطرقِ تشدُّهُ إليها ، حتى إذا ما اقتربَ تمتنعُ بكل قواها.

الآنَ الفريسةُ سَهْلَةٌ ...

تعالَ معي و انْسَ الخلقَ مِنْ أجلى ، فأنا أتباهى بكَ و مرفوعَةُ الرأسِ ممّا تفعلُهُ مِنْ أجلي ، الآنَ أعلنها: (أنت لي).

الآنَ هو بينَ قدمَيْها ، لا يستمعُ و لا يرى مَنْ حولَه... نسى مُهِمّتَه (الكبير) فقدَ

ثِقَةَ الناسِ فيهِ .

معَ أنّ الأحداثَ لم تكتشفْ لي في هذا الوقتِ إلا أنني أعلمُ أنها كانت النهايَةَ بالنسبةِ له و البدايةَ بالنسبةِ لها.

ضاعَ كلُّ مَنْ حولَه هبَاءً بنزوتِهِ الفارغةِ التي لا مفرَّ منها للأبدِ ، و بالرغمِ من اعتقادِها أنها بدايتُها إلا أنّ فضيحَتَها أطفأتْ شمعَةَ انتصارِهَا الزائِفِ.

فلينتقمْ ربّي انتقامًا ليس له مثيلٌ

يتجمّعُ أهلُ الحارة ، صبيانُ ، شبابٌ ، رجالٌ و نساءٌ ، يدركون حقيقةَ مَا يحدُثُ.

ما كانَ و ما سيكونُ .

بالرغم منْ أنّهم لا يستطيعون الجَهْرَ بالأمر، فإنّ أعينَهُم تتكلمُ حَسْرَةً على ما حدثَ في كبيرهم...

فقدْ كان فيهم نقطةَ الأملِ التي اهتزت لها الأركانُ ...

كان يملكُ فيهم من الهيبةِ و الخَشْيَةِ و انصياعِ أوامِرِهِ ما لم يملِكْهُ أحدٌ منْ قبلِهِ.

الآنَ و بالذاتِ لا يملكُهُ منْ بعده أحدٌ

الحالُ يتبدلُ به ، في دكانه المتواضع ، من سماع آياتِ القرءان إلى سماع الأغاني الرومانسيةِ ، حيثُ وجدَ الفرصةَ من كان يقعُ عليهم وابلُ الأذى منهم.

وجدوا فرصَةَ التقرُّبِ إليهِ ليس إلا سُخْرِيَةً منْ أحوالهِ و التّشّفّي فيهِ دونَ أن يدريَ أو يعلمَ .

اقتربوا منه بعباراتِ التشجيع و الاستماع لهذه الأغاني ، فما كان منه إلا استبدالُ السمَاعةِ العاديّةِ بمكبراتِ الصَوْتِ ليعلنَ للجميع أنّهُ إلا ما عاد إلى سِنّ مراهقةٍ مُتأخّرَةٍ.

في حياته نقطةٌ بيضاءُ للأسفِ يُريدُ أن يتبرأ منها ويمحوَها للأبدِ من أذهان مَنْ شَهِدَهَا وعرفها و سمِعَ عنْها...

دائما يقولُ لها (أريدُ أن أمحوَ من أذهان البشر أنّكِ مَنْ صنعتني)...

وَيْلِي ألانَ تتّضِحُ النيّةُ و البَيّنَةُ...

هي في الداخلِ ترى تسمعُ تبكى تتباكى تتألمُ تتحَسّرُ على ما فاتَ من عمرها...

تدفعُ الثمنَ غاليا...

تحملتْه و تحملتْ معه ما لم تشتهِهِ النفسُ من عذاب...

كانت راضيةً مطمئنةً صابرةً على البلاء...

تقفُ معه في السرّاءِ والضراءِ ...

بالرغم من أيامها كلها عذابٌ إلا أنّه كان حلوَ المذاقِ كلما خَطَتْ بهِ خُطوة للأمام .

لم تكنْ تعلم أنه سيغدرُ بها سيبيعُها فيما يُسَمّى سُوقُ الشماتةِ و ينكرُ تعبَها ، بالرغم من ذلك كانت تدعوه كثيرا و تدعو له ترجوه أن يبتعدَ عن طريق الضلالِ ....

أنْ يغلقَ أبوابَ جهنمَ التي فتحها على نفسه بيديه...فما كان منه إلا الضربُ و السَبُّ و الإهانةُ ليعلنَ لها أنه بهذه الحالِ مسرورٌ جدا وما عليها حينئذٍ إلا الاستسلامُ ....

ثارتِ الدموعُ في عينيّ حينما علمتُ بقرب أجلِ مَنْ كرّسَتْ حياتَها في سبيل إرضاءِ زوجها الذي تناسى لها كل جميلَ بل تناسى معروفها و أرادَ أنْ يمسحها من حياتهِ ليبدأ منْ جديدٍ باستقلالية ، و لكنّي أتساءلُ أينَ كانتْ هذه الاستقلالية ،

لم تظهرْ إلا بعدَ فواتِ الأوانِ ، و لكن يدورُ بخلدها تساؤلٌ غريبٌ دائما ، أكانتْ مخطئةً في تفانيها كامرأةٍ أوّلا و زوجةٍ ثانيا ؟

فهي أمُّ أولادها و أولادِهِ ...

منْ أجلهم تحمّلتْ و أعطتْ مثلَ أيّ أمٍّ ، بدافع الحب ، و بدافع تربيتها السليمةِ التي تُحَتّمُ عليها أن تتفانى بإخلاص لبيتها و زوجها و أولادها.

الآنَ عاشت رهينةَ غدرِ الزمن ، ماذا تفعلُ ؟ لا أحدَ حولها و لا يساندُها في محنتها إلا صبرُها على بلائها و دعاؤها لربها التي تتمنّى أن لا تردَّ ، فالكبيرُ فى سَكْرَةٍ لا يتقنُ ما يفعله و ليس لديه أدنى استعدادٍ أن يتزحزحَ عن فعلته ، اليومَ يصارحُ الجميع أنه ينوى الزواج من مَاجنَةِ الحارةِ التي نصَبَتْ شبَاكَها حوله لتوقعَهُ فريسة تتباهى بها أمامَ الجميع و تمسحَ ماضيها القذرَ على يديه.....

ثارتْ دموعي حينما تذكرتُ ذاك الكابوسَ المخيفَ أيضا حينما رأيتُ شبحَ هذا الكابوسِ يمارسُ طقوسَه الخفية كشبح في ظلام الليلِ يتلاعبُ بِنَا لينتصرَ علينا بالنهايةِ ، فنحنُ قادمون بالفعل على حربٍ ، يحتاجُ لخديعةِ و قدْرٍ أكبرَ من المكْرِ مع ذلك جديرٌ بنا أن نتنبأ بخسران تلك المعركةِ ، فأطرافُها الثلاثة (الكبير) (الزوجة)،(ماجنة الحارة أو ما أطلقَ عليها بالمعنى الصحيح ، ماكينة الحارة) نعم هي كذلك ، فمنذُ أن ماتَ زوجُها و هي في استعراضٍ تامٍّ لجسدها تتلاعبُ يمينًا و يسارًا لتحركَ غرائزَ مَنْ حولَها ، المهمُّ ، نجحتْ في أنْ يقعَ بشباكِها ، كبيرُهم الذي قاربَ أن يخونَ العهدَ مع ربّهِ أوّلا ثمّ مع مَنْ ضَحّتْ بعمرها وحياتها من أجله ثانيةً.

اليومَ يجلسُ في دكانه المتواضع يتباهى بجلوسها معه بعدَ أن أعلنَ أمامَ الجميع أنها ستكون زوجًا له ، هي تتمكنُ في جلستِهَا تديرُ ظهرَها للجميع لتشرعَ عينيها إليه فقط و تنسيه من حوله بإتقان.

أما الزوجةُ المسكينةُ التي طالما أحسَّ قلبُها بما يدورُ بالخارج تتفقدُ الأحوالَ دائما لتراهما يجلسان و كأنهما من عشاقِ أوّلِ الزمان يأكلُها قلبُها ، تريدُ أن تحرّكَ ساكنًا صامتا بداخلها تريدُ أن تصرُخَ و تستغيثَ و لكنها لا تملكُ إلا التعبيرَ بعينها التي احتبستِ الدموعُ بداخلها.

ذهابا و إيابا ساعاتٌ تمرُّ و هم يجلسون أمامَها و لا يتزحزحُون

أرادت أن تضعَ حدًّا لما يحدثُ ، فيثورُ انفعالُها و تعلنُ ما بداخلها من ثورةٍ هائجةٍ ، و تظهرَ تمردَها بصوتٍ عالٍ و صراخ فينتَبِهَ إليها كلُّ مَنْ حولَها و ينظرون ليجدوا صفعة على وجهها منْ أعزِّ من تحب .

الطامّةُ الكبرى أنه أرادَ هزيمتها برجولتهِ الزائفةِ ليعلنَ أمامَ الجميع أنّها ما عادتْ زوجتُهُ و يرمي عليها يمينًا فما كان منها إلا أنْ سقطتْ مغشِيًّا عليها ، أمّا الأخرى فتعتريها السعادة و تبتسمُ ابتسامةً ليعرفَ مَنْ حولها أنها نالتْ ما لم تكنْ تحلم أن تتمناه يومًا و ليعلمَ الجميعُ أنها بداية هَدْمٍ لصرحٍ منيع ...

المنظرُ مخيفٌ و مُريبٌ لمَنْ يشاهدونه و ينظرون إليه بعيونهم فقط يلاحظون ، قلوبُهم خائفةٌ منَ الاقتراب وعقولُهم ليست مُدركَةً لمَا سيحدثُ ، و مع ذلك هم فى صمتٍ تامٍّ بلْ في حسرةٍ و قلقٍ.

أيتركونها وحيدةً تائهَةً في غيابات حُزنها أمْ أنهم يواجهونه بخطئهِ الفادح في حقِّ هذه السيدةِ التي شهدَ لها الجميعُ أنها قدَّمَتْ كلَّ ما بوسعها للوقوفِ بجانبهِ في محنته ومشواره الكبير بين الفقر والحاجة حينما تخلى عنه من هم أقرب الناس إليه،

لم يَرَ أمامَه إلا هي في حين تخَلّى عنه إخوته الذين هم أقربَ إليه من ظله.

الأهلُ و الأحبابُ و الأقاربُ كلُّهُم كانوا مُعْدَمين بالنسبةِ له أمَّا هي فقد كانت له

كلَّ أولئك ، و مع ذلك نسى و لم نجدْ له عزمًا مِنَ الرجوع عن عناده المستمِرّ الدائم الذي طالما يعَلّقُ عليه أخطاءَهُ دوما.

في الوقت نفسه هي في عالم آخرَ منْ حالها الذي يُرْثَى له تلفُّ الدنيا و تدورُ لتستعيدَ ماضيها و تستحضرَه في باطنها ربما للهروب من الواقع أو للحسرة و الندم ، الشيءُ الوحيدُ الذي كادَ أن ينصفَها أنها ما تَمَنَّتْ أبدا مفارقةَ حياتها أو موتَها ، بإرادتها الشديدةِ وعزيمتها لترمشَ بعينيها و تفيقَ من غفوتها لتجدَ نفسَها وحيدةً بينَ كلِّ أولئك الشاردين التائهين بأمرها.

و مع ذلك خجلتْ من نفسها البريئةِ و نهضت دونَ أنْ تتكلمَ أو تنظرَ حولها تدخلُ إلى بيتها راجيَةً ربّها أن يصرفَ عنْهُ السوءَ والضُرَّ فإذا بها تُفَاجَأ بهِ ينهضُ وَرَاءَهَا و يمسكُ بيديها ليحذرَها بعدم تكرار ذلك ثانيةً خشيَةً منْ العواقبِ ، و لكنّها مع توقفِ إحساسها و هَوْلِها لمْ تتذكّرْ ما حدثَ و تريدُ استعادَتَهُ فى ذاكرتها لتجدَ نفسَها و كأنها أصبحت عنْهُ غريبَةً بفعل يمينهِ الذي رمَاهُ أمامَ الجميع فتنتشلُ يَدَهَا من يَدِهِ و تبتعدُ عنه لتدخلَ حجرتَها و تبكي بحُرْقَةٍ ، فهو ما عادَ زوجها أو لم يعد كما كان سابقا ، فقد أصابَ حياتَهُ شَرْخٌ لم يقدرْ على التئامِه حتّى الزمنُ.

فى الوقتِ نفسه الذي لم يهتمّ هو بأمرها و لا بأمره و لم يبالِ لمَا حدَثَ يدخلُ إلى (المطبخ) ليعدَّ كوبًا منَ الشاي بيديه و يأخذه ليحتسيَهُ داخلَ دكانه المتواضع ليجدَ مَنْ حولَه مشغولا بذاته كأنهم حتى ما تذكروا ما حدث لينتشيَ مسرورا بقوته و أنه ما زال بين الناس (كبيرا)، و لم يدركْ حينها أنه ما سيظلُّ إلا كبيرًا في الشرِّ بعيونهم وعقولهم التي طالما كَرَّسُوها لتظلّ قيمَتُه بينهم محفوظة .

الأمرُ المريبُ بل أكثرُ ريبَةً أنَّ ماجنَة الحارة ما زالت تقفُ أمامَ بَوّابتِها الصغيرةِ التي تقابلُ دكانه المتواضع و تبعدُ عنه ما يقاربُ عشرةَ أمتارٍ لتنظرَ إليه نظرةً و

أنها تُحَييهِ على ما فعلَ إنصافا لها لتتسعَ عيناها و تبتسمَ شفتاها المضمومتان و تهزُّ رأسَها مُعلنَةً وِسَامَ الرضا عنه و تديرُ وجهها لتدخلَ و تغلقُ عليها بوابَتَها لتتركَهُ يشتاقُ إليها أكثرَ و أكثرَ و يفكرُ فيها بعينيه الشريدتين إلى مكان خطوتِها قبلَ دخولها.....

تغتابُها العيونُ و تغتالُها ، حتى إذا ما خرجتْ من بيتها ، إمّا عزاءً و إمّا شفقةً و إمّا شماتةً فيها،لا يهمها،فهي في عالم آخرَ ، و بعيدة كلَّ البعدِ عنهم تحتسي كأسَ فعلتِهِ الشنيعةِ وَحْدَها.

هي في سُباتٍ عميقٍ لا تحتاج أن يُوقظَها منه أحدٌ بل تريد أن تثبتَ لنفسها و لمنْ حولَها أنها ما زالتْ على قيدِ الحياة.

أيضًا ليستْ بائسةً أو يائسَةً منْ حياتها ، ما زالت تمشي مرفوعَةَ الرأسِ شامخةً هامتُها ، فهي لا تنسى ذاتها العفيفةَ الكريمةَ العقيمةَ تجاهَ مسئوليتِهَا ، و تريدُ أن تحتفظَ بها للنهايةِ.

العجيبُ أنها رُبّمَا بدأتْ أيضا تفيقُ لترى نفسَها في صورةٍ أخرى غيرِ ما تَعَوَّدَتْ عليها رأتْ نفسَها تقف أمام مَحَلاتِ الملابس الفاخرةِ لترى نفسَها فيها و كأنها ملكةٌ تتربّعُ على عَرْشِ عارضاتِ الأزياءِ ، تذكرتْ نفسَها فيما يقربُ مِنْ حَوَالَيْ عشرةِ أعوام نسيتْ فيها تماما أناقتَها بل نسيَتْ حتى ملامِحَها فهي ما عادت حتى تنظرُ للمرآةِ ، نعم هو خطؤها ، تعترفُ و لكنه خطأ غيرُ مقصودSd.

نعم هى مَنْ فرّطتْ لتجدَ نفسَها فريسةً لمَنْ هو أقربُ إليها حتى من ذاتها ،

الآنَ تنعي نفسَها في طامّتِها الكُبرى.

الآنَ و يبدو أنه فاتَ أوانُها ، و لكنها تجربة تحاولُ أن تُرضيَ بها نفسَها و تعلمُ أنها دونَ جَدْوَى.

معذرَةً ؛ فهي مسئولةٌ عن بيتها و عملها في إحدى المصالح الحكوميّةِ التربوية، زوجها ،أبناؤها،و أيضا استعدادها لرعايتهم رعايةً تامّةً هي تشعرُ بالسعادة القصوى إذا ما سَعِدُوا خاصّةً إذا أحَسّتْ أنها سببٌ في هذه السعادةِ ، لم تُعْطِ فرصَةً لأحدٍ أن يُنَبّهَها أن تنتَبهَ لنفسِها و لو بالقليلِ ، الرضا كلُّ الرضا بداخلها لا تريدُ منَ الدنيا سوى لمّ شملِ أسرتها حولها و هم في أتمِّ حالٍ ، و لكن ماذا تفعلُ مع هذا الطوفان عظيمِ الشأنِ الذي دخلَ عليها فجأةً دُونَ استعدادٍ منها؟.

تروى لنفسها ، نفسها فقط ، مخاوفَها ، تختفيُ دُمُوعُها ويأبى كبرياؤها أن تشعرَ بالهزيمةِ..... ماذا تفعلُ ؟ بداخلها كَمٌّ من الأسئلةِ التي لا يوجدُ لها إجاباتٌ فهي الآن مغلوبةٌ على أمرها ، ما عادتِ السيدةُ الأولى و لا الكلمةُ كلمتُها و ما عادتْ تثقُ فيمنْ يُسَمّى (كبيرُها).

فجأةً تأتيها فكرةٌ ، ربما هي قلّةُ حيلةٍ و لكن ما بيدها حيلةٌ غيرُها (هل تذهبُ إليها ؟ و هل تخضع ؟ تعلمُ أنه ضعفٌ و لكنّ الضعفَ الحقيقيَّ في نظرها خُسْرَانُها لحياتها كاملة.

استنفدتْ كلَّ طاقتها معه فلم يَعُدْ أمامها إلا هي ، فهي جارتُها منذُ عشرةِ أعوام ربما يتبدلُ بها الحالُ إذا ما ذهبت إليها ، ليس خضوعًا أو استسلامًا و لكنّه خوفٌ من القادم .

يذهبُ إلى عملهِ في الصباح الباكر فتسرقُ وقتَها و تذهبُ إليها دونَ تَرَدُّدٍ منها لتطرقَ بابَها... الأحلى من ذلك كلِّهِ أنها لم تفتحْ هي البابَ فهناكَ مَنْ يصغرُها سِنًّا تقومُ بخدمتها و تقولُ لها تفضلي يا (أم محمود) هي تعلمُ أنها قادمَةٌ فقد سَبَقَتْ طرقاتُ بابها مَسَامعَ أذنِها لتنظرَ من وراءِ الشبّاكِ و تعلمَ ما بداخلها و ما بقرارة نفسِها منْ مجيئِها لتسعدَ و تحسَّ بالنشوةِ ليس لها مثيل .

نعلمُ أنها ما لجأتْ لاختطافِهِ منْ جميع مَنْ حوله إلا ليعلوَ شأنُها و تنسَى ماضيها المُشَوَّهَ بعلاقتها بشخصٍ مثله تصعدُ على أكتافهِ ليكونَ سندًا لها.

ليته يعلمُ الحقيقةَ ليتَه يُصَدّقُ حقيقتَها فما عَمِيَتْ عيناه إلا عنها...ما عاد يُدْركُ منَ الدنيا إلا النظرَ إليها للاستمتاع بها و كأنه ما رأى قبلها منَ النساء.

و أخيرا تنالُ منها و تنالُ منه ، فالذهابُ إليها ربما هو أولَى

خطواتِ الانتصار لديها... طرقاتُ الباب مع صَوْتِ الجرسِ يطربُ له آذانُها...لتعطيَ الأوامرَ بفتح بابها... و لكنّها تتذكرُ شيئا ربما لم يكن فى الحُسْبانِ . المُهِمُّ ...

أصَرّتْ أن تعاملها كضيفةٍ... تجلسُ في حجرة الآنتريه بأمر مِمّنْ فتحتْ البابَ و تنتظرُ ليس قليلا و تخرج هي بزيّها الرسمي كما لو كانت ستقابلُ أحدَ الضيوفِ المُهِمّةِ ... الآنَ تتضحُ البيّنةُ و تعلمُ أنها ربما أخطأتْ فى مجيئها و لكنّ الأخرى بحنكتِها و ذكائها تديرُ عقلَها لتصرَّ بداخلها أنها ما جاءتْ إلا لأداءِ مهمّةٍ رسميّةٍ تتسمُ بالجرأةِ و تجلسُ أمامها شامخةً لتعلنَ أنها ما جاءت إلا لتُعْلِمَها أنها لمْ و لنْ تُفَرطَ في حقّها فهو حَصَادُ عشرين عاما نفدَتْ فيهم كلُّ طاقتها و تريدُ أن تحصُدَ وحدَها... الأخرى استمعتْ و فهمَتِ الرسالةَ لتنظرَ إليها بعين تتقلبُ يمينًا و يسارا منَ الغيظ و ربما خزيٍ و عارٍ... تعدُها بأنها ستبتعدُ تماما فهى بالنهايةِ أمٌّ مثلها .

هذا ما قالته بالنَصِّ لها دونَ تحريفٍ أو تجاوز :-

(أنتِ جارة الهنا يا أم محمود و اطمئني .. أنا أمّ لبنتين و أخشى عليهما من أي رجل مهما كان سيظلّ غريبا عنهما).

نظرت (إيمان) التي كانت تستنكر منها لقب أم محمود وتعلم ماهيته لتذكرها

أيضا أنها ليست أما لبنتين فقط وإنما أخوهما الأكبر (فريد) بالطبع سيصبح رجلا بالغد القريب .

لم يطمئنُّ بالُها بما سمعت ، و لم تصَدّقْها ، لأنها تَعِي تماما أنها أوقعتْهُ بشبَاكِها و ما لها أن تحيدَ.

خلصَ الكلامُ بينهما و لكنها علمت من نظرات عينيها أنها لن تفلتَ أبدا من بين يديها.

تعودُ إلى بيتها و قد ترقرقتْ عيناها بالدموع الملحوظةِ و تتمَنّى أنّه لو لم يَرَهَا أحدٌ حتّى لا يتهمونها بالجنون.

و لكنها سرعان ما تتذكر شيئا لتتعجب منه أشد العجب ويعود إليها عقلها لتفكر بالأمر بجدية تامة،فهي مالبثت أن خرجت من بيت(سارة) لترى أباها الدجال يهرول مسرعا وهو يتكئ على عكازه ولكنه لم ينظر إليها فهو ما رآها من قبل كما أنها لم تره أبدا ولكنها عرفته بحدسها الزائد وأدركت فى الحال سبب مجيئه فتمنت لو لم تكن تنصرف ، فهي تود مقابلته التي طالما حذرها منها الناس نظرا لاشتهاره بالدجل فما كان منها إلا أن تنسى كل همومها وتفكر بجراءة في مقابلة هذا (الدجال) على انفراد.

ما غاب عنها أن تدرك تماما أن مجيئه ليس غلا إشارة من ابنته لتحتمي به خوفا منها.

أصبح متقلب المزاج، لا يدركها بل يراها عقبته الوحيدة أمامه في تحقيق ما تمناه من الأخرى التي باتت سيرتها على كل لسان ليدافع عنها بل يهدد ويتوعد لمن يلفظ بكلمة عليها وكأنه سياج دفاع أقيم عليها بل يقيم الحد على من يقترب منها.

ولأنها اعتادتها كما اعتادت أن تحمل همومها وحدها،وتعودت أن لا يسمعها أحد أو تجد من يقف بجانبها بكلمة حق،فليكفه منها أن تنطق لفظا مع أحد أبنائها أو يعلو معهم صوتها كأي أم إلا قام بنهرها وزجرها كأنه في انتظار الفرصة ليجدها غنيمة أمامه يلتهمها،ومالها إلا الصمت والسكوت كي لا يفتضح أمرها أو تذهب هيبتها بين أبنائها،وحتى لا يصابوا الحطام مثل ما أصابها.

ناهيك عن دورها الذي كاد أن ينتهي كما انتهى كل شيء لها..لا يتبقى لها سوى ابنها الأكبر الذي كان يتمزق قلبه لأجلها حيث يتفقد حال أبيه حالا تلو الأخرى..حتى انه يتفهم منه أحيانا ما لم تفهمه أمه فيكتم بداخله مشاعر أقسى من أن يبوح بها.

الأم مختنقة ، مكتومة من أجل ابنها..تحس به وتحثه دائما على الصمت الدائم والكتمان مثلها.تبذل قصارى جهدها أن تتغاضى عن ثورته التي تكمن داخله كأنما يخوض معركة تشبه معركة الحياة معها.

تدرك أنه شارد تائه، في حالة خزي وعار من حال أبيه بل في حالة يأس وبأس شديد.

فالأب كان قدوته التي طالما اقتدى واحتمى بها ...فهو من لازمه بفراشه ثم في حضانته والأكيد أنه أستاذه الأول في الحياة والمدرسة.

ليصدق أبدا أنه تبرأ منه وإخوته..أيسميها لحظة ضعف أو كيف يدركها فهو لا يستطيع أن ينسى مقولة أبيه لأمه حين راجعته في موقفه وتستحلفه بأبنائه ليرد عليها قائلا بأنهم لا يلزمونه أو بصريح العبارة (أولادي تتحرق بجاز بس أنا أعيش).

لن ينساها أبدا لأبيه الذي انتزعت من قلبه الرحمة على يد من لا رحمة فيها...مع أن الأم قد تهاونت حين سماع هذه العبارة أما الابن فقد سجلها له

لآخر الزمان.

الويل منه يكظم غيظه ويريد حق أمه التي لا تقدر ولكنه فى حيرة وعبوس دائما يفكر في أي شيء بشرط أن يمنع هذه الزيجة ويقف لأبيه عرض الحائط فيها.

ينظر إلى أمه إخوته ينظر هنا وهناك يقاوم ما يدور بداخله وما يكنه لعدوه بيته من أذى...تنظر إليه ،تقرأه دون أن يتكلم ولأنها تقطع صمته بأن الذنب ليس ذنب الأخرى وبالتالي تقنعه أن يتناسى أمرها...وتقنعه أيضا بأن أباه حرا يفعل ما يشاء توصيه به خيرا إن استطاع وأنه البديل عنها فى كل شيء.

يلجأ الابن إلى حيلة ضعيفة تناسب تفكيره كشاب حيث يحاول الوصول بأي طريقة لمعرفة رقم تليفونها وبالكاد يحصل عليه ليشترى خطا تليفونيا ويحاول أن يبعث إليها برسائل تهديد ظنا منه بجدوى نتيجتها ...فى حين أن الأم لا تعلم ذلك شيئا إذ تفاجأ أن من يسمى زوجها(نظرا لليمين الذي رماه ولم يرده حتى الآن لانشغاله بغيرها) يبحث بمرارة فيما يخص ابنها...لا تستطيع أن تسأل ولكنها تدعو الله أن يكفى ابنها عواقب أمر ما.

يأتي الابن من الخارج ليرى مستلزماته قد تبعثرت فيدرك الأمر ويجمع قواه للحكى لأمه ويطلب منها أن تثبت على حالها بعد معرفتها للأمر.

لا يبوح الأب بشيء سوى أنه يطلب منها وأبناؤها بارتداء ملابسهم حيث ينوى النزهة معها ومعهم...فما كان منها ومنهم إلا أن تلبية طلبه لهم...لتخرج اليه وهو ينتظرها بدكانه المتواضعة وتعلن انتهائها وأولادها وأنهم جاهزون للخروج معه.

بالفعل لم يفرح قلبها حيث طلب منها أن تسبقه وأولاده وأنه سوف يلحق بهم.

تعلم بعد ذلك أنه كان بصحبة(سارة) قبل أن يأتيها ليذهب معها إلى مكان النزهة ولكنها تتغاضى عن التفكير حتى فى ذلك أو الرد على من أعلمها.

النزهة كانت عبارة عن دخول إحدى محلات نوع من الحلويات وتناول واحد طبق منها ثم يهموا للانصراف حتى إذا ما وصلوا إلى مكان خال ليطلب منها أن تقف بعيدا لأنه يريد إن ينفرد بابنها...فما كان منها إلا التجاهل والانصياع التجاهل لقلبها الضعيف والانصياع لأمراللأب.

بالفعل انفرد بابنه لينظر بعينه التي تملؤها التأكد بالمواجهة (طبعا أنت عارف الموضوع ؟

قبل أن ينطق بكلمه يوقفه ليخرج له ورقة مكتوب فيها كل الرسائل في يد واليد الأخرى بها الخط التليفوني حيث لا يستطيع النكران.

لا يخشى الابن أباه في ذلك الوقت ولكنه تعمد التظاهر بكل الثقة فلربما يستطيع أن يلقن أباه درسا لا ينسى ..وهو (الباب اللي يجيلك منه الريح.....).ولكن يقطع هذه الثقة طلب أبيه له بأنه سيأخذه الى هذه السيدة ليعتذر لها ويقدم أسفه على ما فعل ولكن يوقفه الابن بانفعال يكاد يتسم بالهدوء مع الرفض التام(لو دخلت عندها.....) علم الأب من تعبيرات وجهه استحالة تنفيذ أمره ليكتفي بالسكوت .

يعلم الأب أنه مخطئ بحق ابنه فلا يطلبها منه ثانية ويطلب منه أن لا يتكرر ثانية وأن ينسى هذا الموضوع...لن ينس أن يسأله عن أمه إن كانت بعلم بالأمر لينفي محمود العلم بذاك الأمر عن أمه تماما.

حان دورها وتريد ثأرا لكرامتها ليس لحبها الشديد لذاتها وإنما لحبها لمن حولها وبمن تختصهم باهتمامها.

اليوم دون الأيام السابقة دون العمر كله..اليوم تريد أن تضربها ضربة قاضية ربما تودي بنهاية حتمية لرحلة عنائها الطويل بمن لا يقدرها ويفهمها..ولكن كيف وهى تعد بين يديه أسيرة لظلمه الذي كاد أن يوقعها في فخ الهلاك وحدها.

ليل طويل تتقلب يمينا ويسارا تفكر طويلا وتحاول أن تستجمع كل قواها...ربما الهيبة داخلها ولكن تقتلها القوة والصلابة والإرادة فيها....ولكن كيف تبدأ حديثها فهي ما عادت مدللته لتنتظر الفرصة ويلبى طلبها..وينصاع لأمرها كما كان يفعل من قبل.

هو يحسها ويقطع عليها حبل أفكاره حينما حاول أن يلفها بين ذراعيه ربما لحنينه لها أو ليتلاشى شر فكرها لتنام وتريحه من تقلباتها...فما كان منها إلا أن دعت ربها بأن يجيب أمرها.

بينما هي بين أحضانه التي تعلم أنها زائفة وما عادت تؤثر فيها تهزه بيدها وتوقظه بحجة صلاة الفجر الذي قارب أن يؤذن له وتستغل الفرصة في أن تتذكر بعضا من ماضيها وماضيه وتطلب منه السماح ليعطيها فرصة أخرى أن تستعيده لها فما كان من رده أنه لا يرضى عنها إلا إذا حققت له رغبته دون لوم أو عتاب وأن يتلاشى الفضيحة..ولم يكن يعلم أن ردا كهذا قد وفر عليها جهدا كبيرا للوصول إلى ما تريد قوله...فهي لم ترد أن تشترط عليه تريد بمكر النساء أن تنال منه ومنه دون إباحة الظلم أو الظهور النية فيه...فتمسح بيدها على رأسه وتوهمه ببعض حنانها وتبدأ في طلبها أن يوافيها حقها أولا وتتركه يفعل ما يشاء.

الأمر فيه شرط فقد استوعب كلامها ويرد عليها بأنه مستعد أن يوافيها ما تطلب فلم تترد وبمكر أيضا ونبرة فيها مسكنه تلقبه (حبيبي) وتدير وجهها عنه بعض الشيء لتثبت أن الأمر لا يعنيها وأنه يملك الحرية في تنفيذه.

تذكره بماضيها ورحلة عنائها وحصاد رحلتها معه هو بيتها التي عانت الكثير لتحصل عليه فلا تطلب ال أن يكتبه بل يوثقه باسمها حتى لا تشاركها فيه أخرى...وتسكت فجأة عن الكلام ولا تتوقع منه قبولا أو رفضا بقدر ما تتوقع منه

جم غضبه عليها وهذا فعلا ما تريده ليستفيق.

هو يتكلم بكل هدوء ليدير وجهها بيده نحوه ويبتسم بسخرية توحي بأن الأمر بسيطا ومستعد لتحقيقه حتى دون أن تطلبه ولكن بشرط أن تترك له ولها كامل الحرية فى التصرف مع بعضهما أي (عشيقته) دون التدخل بينهما.

تقوم من سريرها و تعلن بداية رفع راية الانتصار عليه و تستعيد قوتها لتتمنّى من ربها أنْ تأتيَهُ سَكْرَةُ و حالة تَنَاسٍ فيُلبّي طلبها و لكنها ما لبثت أن انشغلتْ بأمور بيتها و تجاهلت بداخلها تماما هذا الموضوع ربما لشعورها بصعوبة أداء دورها في مَهَمّة طلبها.

أمّا هو فقد نهض من نومه ليصلّي الفجر بعد حديثهما معا ليعود و قد فتح دكانه و لم يدخل بيته ثانية فظنّت أنّه تظاهَرَ برغبته أن يلبّي طلبها ليس إلا تهَكُّمًا وهذا ما جعلها تتناسى الأمر تماما.. و لكن في حقيقة الأمر يبدو أنّه انشغل عنها بمكالمة تليفونية تَعَوّدَ عليها كلَّ صباح كمراهق يطلب ملذاتها.

تجلس على كرسي في حجرة الصالون تتَذَكّرُ طلبها حين فراغها من عملها لتبتسم شفاهها و تُذَكّرُ نفسها بأنها ضلّت الطريق و لكن في قرارة نفسها تتمنّى منه الصَدّ ليثبتَ لها رجولته و احتفاظه بما تبقى منها بعدما ظنّتْ بإعدامها.

تديرُ وجهها قليلا بعدما تحسُّ بحركة و احتكاك وَرَقَةٍ بخدِّها فإذا هو آتٍ إليها بابتسامة عريضة ليس فيها من الهزيمة شيء سوى أنه يمدُّ يدَهُ دونَ كلمة منه و هى لا تصدّقُ عينيها و لا تعي بعقلها تمامًا ففي نظرها أنّه من رابع المستحيلات وضع إمضاءه على ورقة منه تُدِينُه فهو مَنْ يُدينُ الجميع مِنْ واقع مهنته التي يتمرّسُ فيها و هى كتابة العقود و الأوراق الموثقة.

ماذا تفعل و قد ترقرقت عيناها بالدموع و بدون تفكير وجدت يَدَهَا تمتدّ لتمزّقَ بالورقة بدلا من أن تحفظها و تنبه بفعلتها أنها ما تريد منه إلا وضعه تحت بندِ

الاختبار لتعرف إلى أيّ مدى يستطيع أن يقدم التضحية من أجل نزوته الفارغة

تترامى برأسها على " أريكة " الصالون فما زالت تجلس مكانها بعد تمزيقها للعقد الذي كتبه لها لرغبتها فى ذلك تركها دون أن ينطق بكلمة سوى أنه لبّى طلبها وهذه حريتها.

هي تبكى ليس فقط على حالها بل تنعى زمنها و تنعى نفسها في أنها رضيت أن تستغني عن نفسها لترتبط به وتخسر من أجله كل من حولها.

و كأن الزمن يعيد نفسه و كأن إعادته لزاما عليها و كأن عصيانها لأبيها حين رَفْضِهِ التام له حان أن تدفع ثمنَه.

لا يهم .. المهم ما حدث ماذا تفعل وهى تريد تماما هذا العقد بين يديها تعلمُ أنّهُ رَدُّ انفعال غريب منها لتمزيقها للعقد بين يديه فربما هي فرصة لا تُعَوّضُ

تقوم و تنهض من مكانها لتذهب إليه بعدما مَسَحَتْ دموعها و استجمعت كلَّ قواها لتنظر إليه فهي في ريبة من أمره فيما يبدو أنه ليس الشخص الذي عاشرَتْه فيما يقرب من عشرين عاما.. تتساءلُ بحُرْقةٍ و هي تدرك إجابتها كاملة لتمُرّ فيها مَرّ السحاب.

كيف استطاع أن يبيع نفسه في لحظة ؟ و كيف هان عليه كلُّ شيء؟.

بالرغم من نظراتها القاتلة التي يفهم مغزاها جيدا إلا أنه يرُدُّ بكلّ برود بأنه ما يهمه سوى راحتها

فى حين تدرك أنه أصبح سفيها لا تملك إلا أن تتكلمَ معه بجدية ربما فقط هذه المرة فقد تكون فرصة ذهبية و لا يمكن أن تضَيّعَها

يقرأ فى عينيها ثانية حيرتها ليقطع هذه الحيرة بأنْ مَدَّ يَدَهُ على رَفِّ الأوراق ليأخذ منها عقدا و يملؤه أمامها بالبيانات.. و يضع إمضاءه هذه المرة أمام عينيها

فتطلب منه بكل جرأة أن يتمّمَ إياه بشاهدين ليكتمل أركان عقدها ب هديتها.

نعلم جميعا أنه ما فعل ذلك إلا بمقابل جلوس سارة معه على انفراد و على مَرْأى و مَسْمَعٍ منها دون اعتراض حتى و لو وصل الأمر للجلوس داخل منزلها فما عليها الاعتراض.

كل ذلك لا يعنيها بل تفكر في أن يختفي عقدها و لا يظهر أبدا مهما كانت الظروف..

توقظ ابنها الأكبر من نومه و تخبره بما حدث ربما لشيء في نفس يعقوب

تجَهّزُ نفسها لتخرج و تقول له أنها ذاهبة للطبيب إلا و تجده يجلس معها في ركن عن أنظار الناس في دكانه... تمتعض الموقف فهي قد أخذت مقابل سكوتها... و لكنها كانت من الداخل تحترق بنارها ليتآكل جسدُها

تذهب إلى بيت أبيها و يستشيط غضبها و هي في الطريق لا تستطيع أن تخبئ دموعا

تتمنى لو أنها ماتت من قبل أن ترى ذلك . تفكر في الأمر لتجد أنه ما تحَوّلَ إلا خنزيرا يتبلد إحساسُه حينا و حينا أخرى لا يلجأ إلا إلى النتنةِ

تبكى بين يدي أمها و تطلب منها أن تتصَرّفَ لها كيف تنسي يا أمي أنّ أباها دجّالٌ ضيعتني و أخذته منّى و ستأخذ عمري و عمر أولادي فهمت أمها ما تريد و تبغي و ما لبثت أن ارتدت ثيابها و خرجت من منزلها معها لتتوجه إلى ما تسميه طوق النجاة .. و أخيرا قد وصلا إليه ليطرقا بابه و تفتح زوجته الباب لتخبرهما أنه بالخارج و سيأتي بعد منتصف الليل لتعودَ أدراج الخيبة في حينها.

بعد وقت قصير يرنُّ هاتفُه (أشرف) ليعلنَ لها أنه أمام منزل الدكتور فعليه أن تقابله فترد عليه بذكائها المعتاد بالرغم من ارتعاش أوصالها بأنها في طريق

العودة لبيتها فما منه إلا أن هدأ صوته ليستعجل قدومها.

طلبت من أمها أن تسبقها في سيارة أخرى حتى لا يراهما أحدٌ و يحدث ما في بالها

يبدو أنه قد شك في الأمر حين خروجها فاستعجل فضَّ جلسته مع الأخرى لما ظنه قادمًا عليها من خروجها

و ما خاب ظنُّها حين أخبرها في حين وصولها أنه اتصاله ليس إلا لظنه بأمر سوء منها و نيّةِ التفريق بينه و بين (سارة) و لكن سرعان ما انتهى الحوار لأنّ كلا منهما بدا طبيعيا أمام الآخر إلا أنها لا تنكر أبدا أن تذكر ربّها و تتوسل إليه و تقول (حسبي الله و نعم الوكيل).

الأحرى من ذلك أنه يستفيق من غفوته ممّا حدث في الصباح الباكر، يستفيق ليفكر بعقله قليلا و يدرك حقيقة ما كان و ما سيكون ،ربما أنه قد نال من الأخرى و انتهت مهمته في أن يعطيها الثقة بأن زوجته توافقه الرأي فيها أو ربما استشار أحدا من المقربين إليه فيما حدث فوَجّهَ له اللوم و التوبيخ ليذكره بأنه أعطاها التصريح لطرده من البيت في أي وقت يأتي إليها و قد بدا عليه الندم و اليقظة يطلب منها أن تعيد له العقد و أن يبقى الحالُ كما هو عليه حيث الأخرى قد رفضت منه الزواج ، الأحرى أنها خديعة جديدة يبدو أنهما قد اتفقا على مبدأ جديد ليعيشا في أمان و سلام من الزوجة و يبدو أنه قد بدأ في تنفيذ ما اتفقا عليه

و لكنها مع همومها المتراكمة تتمتع بذكاء حاد لا تفقد منه ذرة واحدة تردُّ عليه بكل برود و عدم اهتمام بأن هذا العقد لا يعنيها أرادت، أن تحرك بداخله ساكنا ،و لأنه لا يعنيها مزّقَتْه و ألقته ممزقا في سلة القمامة فإذا هو يذهب غير متردّدٍ إلى السلة ليبحث فيها فيجدها فارغة تماما حتى من القمامة فيثور قائلا : (تخدعينني؟؟؟) و هى لا تنطق بكلمة فثار أيضا و استشاط و هدّدَ و تَوَعّدَ و هى لا

تنطق حتى قطع هذه الثورة صوت ابنه الأكبر و كأنما اتفق معه القدر ليسأل أباه عن سبب ثورته و هو يعلم و يردُّ الأب ليخبره بحكاية عقد البيت فينتشل أمَّهُ برَدٍّ مقنع و يقول له : هى ورقة زرقاء ؟.

يرُدُّ الأب بنعم فيقول الابن الذي يريد أن ينصف أمَّه ناظرة إليه و يطمئن بالها : إمتى يا بابا .. في الصباح الباكر؟

يرد بنعم فيقول له : رأيت أمي حين استيقاظي من النوم تمزّقُ فعلا ورقة زرقاء و قد ألقتها في سلة القمامة أمامي و أنا مَنْ رمى القمامة بيده في سيارة القمامة.

هدأت الثورة شيئا بداخله بالرغم من عدم اقتناعه و لكنه يقترب منها و يقول بصوت خافت (صدقيني لن يهدأ بالك طالما تملكين هذا العقد ..اجعليه ينفعك) .

ما زالت تحتفظ ببرودها و تنتشي من السعادة حيث استطاعت أن تذيقه بعضا من الحرقة التي بداخلها.

الصراع في تزايد و المشاكل والخلافات لم تهدأ و رائحة الخيانة تشتمها منه كل وقت فلم يعد يفصح لها عن شيء مثلما كان يفصح في أول الأمر..

لم يصدق نفسه فيما حدث بأنه نال حريته بأخذ تصريح من زوجته ويعتبر أيضا ممن حوله حيث تلاشى فضيحته بشكل أو بآخر فما لبث أن هيأ نفسه بشيء من الخداع فأوهم زوجته(إيمان) المغلوبة على أمرها انه يريد الصلح بينها وبين غريمتها أو ما تسمى(عشيقته)...ورغما عنها بعد تفكير طويل قررا أن يكون اللقاء في بيت الزوجة نعم هي من قررت ولكن الله أعلم بحالها ونية موافقتها لهذا الأمر بالرغم من صعوبته عليه وبالرغم أيضا من أنها الآن تملك سلاحا قويا تستطيع أن تفتك بهما عن طريقه في وقت واحد ولكنها للأسف تعتبره سلاحا خفيا يجب أن تحتفظ به لنفسها فقط ألا وهو عقد البيت التي يعتبر أن تملكته

بأعجوبة وهى تدرك قيمة ذلك.

بخبث يدخل عليها ويربت على كتفيها ليلقى على أحد خديها قبلة خفيفة ويقول لها (حبيبتي ..هي تنتظر منك دعوتها إلى بيتنا) تبتسم الزوجة بوجهه ولكنه ما عاد يستطيع تفرقة نوع هذه الابتسامة فهي وحدها تعلمها.

تخرج من بيتها لتطرق باب الأخرى فإذا هي تنتظرها فقد وجدتها ترتدي ملابسها وكأنه اتصل عليها هاتفيا وأخبرها بقدومها إليها.

تصطحبها إلى منزلها أمام الجميع لتعلن أنها أصبحت بقبضتها وتفتح بيدها الباب لتدخل راضية مطمئنة.

أما هو فقد جهز لهما طراوة المجلس فهو الآن يعتقد أنه ملكا يتربع على عرشهما (الزوجة والعشيقة)أو على ما يعتقد (سي السيد)...على ما يزعم(المدينة الفاضلة).

تأخذهما النشوة في جلستهما لينسيا الزوجة تماما التي طلب منها أن تجهز العشاء حالا وهذا ما لم تكن تتوقعه فما توقعته أنها ستكون أميرة الجلسة...علما أن جلستهما كانت فوق السطوح حيث تعمد الزوج وضع كرسيين فقط أمام الأريكة لتفاجأ الزوجة بوقوفها بينهما وتستحي أن تشد كرسيا لتشارك الجلسة.

قررت الزوجة النزول حالا بامتثال أوامر زوجها أو ما يسمى الخائن لها علانية...وهى لا تعلم ما يحدث في الظلام الحالك حيث وقت جلوسهما ولكنها تفكر وتحس بحرقة في جسدها فماذا تفعل؟!، فرصتها الوحيدة.. الغنيمة في بيتها بين أنيابها ...(سارة)التي تدعي العفة وأنها أما لبنتين وتتجاهل ابنها رضيت أن تدخل بيت عشيقها وتتسبب في حرقة قلب (إيمان).

آن لها أن تثبت للعالم كله وقوعهما في الشرك وتملك الدليل ألان تستطيع أن تقول أنها تفاجأ بوجودها في بيتها..ولكنها الحيرة ...فماذا تفعل؟

لكنها في النهاية تقع فريسة المساومة فهي تفعل كل شيء برضاها...على الأقل أمامه.

تفكر قليلا وتتمهل وتترك ما بيدها وتدعو ربها أن يسهو عليه وينساها لدقائق معدوده...بالفعل نسيها من زمن ولكن خوفها جعل قلبها يدق بالاستجابة له دائما.

تصل إلى أختها التي تجاور منزلها وتراها ترتعش وترتعد وتصيح وتبكى فتفهم أختها من بعض كلماتها ما يحدث بمنزلها لتسرع إلى المنزل تاركة أختها لا تستطيع حتى الوقوف على قدميها وتصل إلى المنزل لتدخل والعنف يظهر على وجهها لترى ابن أختها الأكبر يختبئ بجوار السلم وينظر إليهما في خلسة وتحتبس دموعه داخل عينيه..فإذا هي تندفع اندفاعا تاما محكما لتحسم القضية ربما لصالح أختها أو ضدها وتمد يدها لضربها مع التلفظ بكلمات تثير غضبها فإذا هي تفاجأ بأختها وتتوسل إليها أن تكف عن اندفاعها لتخبرها بأنها ما زالت تترك من الصبر الكثير فاتركيه لينفد...

نعم تتركه لينفد لأنها مازالت تحبه وما زالت تبكى عليه وما زالت تشعر أنها لا تستطيع الاستغناء عنه وهى تريد أن تكون عكس ذلك تماما ... تريد أن ترى مالا عين رأت وتسمع مالا أن سمعت لتستطيع كرهه وتستطيع التصرف معه.

العجيب أن الأخرى متبلدة الإحساس أثبتت فى ذلك الوقت أنها لا تبغي من الدنيا ولا تعلم فيها إلا الرجال وكأنها ما نهرت ولا وجه إليها سباب أو شتم وتجلس بكل برود.

العجيب أيضا أنه مبهور ببرودها حتى إنه ظل مرفوع الهامة برد فعلها.

العجيب أنه ذكر ذلك وأعلنه بينهما.

الأعجب أيضا أن الزوجة والأخت أخذتا بأدراجهما إلى الدور السفلى ويكمل العشيق وعشيقته باقي جلستهما وكأن شيئا لم يحدث بل الأغرب أنه يرسل ابنه الأصغر يشترى عبوتين من المناديل حيث الأخرى تبكى من شدة هو المنظر والأعجب أنه يبادر بلم المناديل التي تبكى فيها ليحتفظ بها..الأغرب أنها تبكى وهو يبتسم ويضحك.

لا تملك القدرة أن تسيطر على المواقف أو أن تكون متسلطة تملك القدرة فقط في السيطرة على نفسها ولا تلجأ بالشكوى لأحد ولكن عيناها هي التي تشكو ليدرك من يراها دون النظر داخلها أنها بحر من الهموم.

تضطر أن تغيب عن عملها وتأهمل بيتها وتنسى كل ما لديها من مهام لتعلن للجميع بوجهها الشاحب أنها تعيش حالة التمرد.

تتوقف عن الحياة ولا ترغب فيها ويوبخها كل من أبيها وإخوتها أن تنساه وتنتبه لحالها ، يظنون منها أنها تعانى من أجله.

لا بل كل ذلك لأنها تحاول أن تتكيف هرمونيا على كرهه وعلى قسوته عليها وعلى الجميع كما قسي عليها الزمن هي تريد أن تجبر نفسها على أن تقبل الخيانة لأنها سمة هذا العصر.

أصبحت تشك في كل شيء حولها بل أصبحت تكره حتى الهواء الذي تتنفسه وكلنا يعلم أن هذا حقها.

تقوم من النوم في الصباح الباكر لتراه وقد ارتدى ملابسه يعلن لها أنه سيذهب إلى بلدة قريبة منه ليحصل على بعض مستلزماته تستعجب قليلا ولكنها سرعان ما تدير بهذا العجب وراء ظهرها...فلا ترد عليه أو تناقشه كعادتها فكما يقال

(رمت طوبته)ويذهب ليأتي بعد ساعتين وهى لا تنتظره بل تتمنى عدم رجوعه وتراه يدخل فارغ اليد عليها لتدرك بعض الحقيقة ولكنها أيضا تتناساها ..وحين تناول الغذاء الذي أعدته له فإذا بالباب يطرق ويدق الجرس فتسرع الى القيام بإحساسها ليذكر لها أن تجلس (خليك انته ..سأفتح) لم تبالي بقوله لتسبقه خطواته التي دق معها قلبه إذ ترى بالباب إحدى قريبات (سارة) وفى يدها كيس أسود وتقول (عمتي بتقول خدهم ..أو إما تاخد فلوسهم)وهو يرتبك ويكاد الخزي من الموقف وتمد الزوجة يدها لتتعجب من المنظر فالكيس به أربع عبوات من اللبن لطفلتها ثمن الكيس ما يقارب ثلاث جنيها فلا يسوى أن يذهب ويسافر ويجازف ويكذب بحجة أنها بحثت في كل البلدة عنه فلم تجده واضطر(أشرف) أن يسافر ليجلبهم خوفا على الصغيرة بنتها.

بالطبع إنه نوع من المكر الذي يمل دلالا تريد به وأد (إيمان)لتدرك الحقيقة التي لا يريد هو إدراكها.

هذا الموقف ما هو إلا درس تتعلمه الزوجة لتعطى خيبة الأمل فرصتها وتتسرب إليها لتحطم حياتها وتحاول بعده أن تعامله رغما كما ذكر لها البعض حين تفسير حالتها(معاملة الذئاب والثعالب)مع أنها حقا لا تفهمها إلا أنها استوعبت المغزى في ذاك الوقت.

أصبحت حياتها روتينية بحتة ليس لها معنى بل أصبح كل ما لديها يتحطم أصابها من الخرس الدائم ما أصابها لكن إلى متى سيدوم هذا الحال فالحال حتما لا يعجبها وهى بطبيعتها تهوى التغيير وتهوى الحرية وتأبى أن تقيد في تصرفاتها.

فجأة تراه يطلب منها طلبا غريبا لا تستطيع تفسيره يطلب منها أن تعطيه مفاتيح بيتها زعما منه انه سينسخ عليها لضياع نسخته وبأمان منها تلبى طلبه وكعادتها

تنتظر أن يعطها نسخة من المفاتيح الجديدة لتراه كل يوم يحتج بأنه لم ينسخها سيذهب غدا ..فيا ترى ما قصده؟!(أيقصد شيئا هي لا تعلمه أم يدبر أمرا على حساب حياتها.

يقطع حبل أفكارها ابنها الأكبر الذي يفهمها ويحسها جيدا بل يقف معها في محنتها ولا يفارقها ليخبرها بان أباه ما فعل ذلك إلا للحجر عليها مم حيث دخولها وخروجها ومن يقابلها ومن يدخل بيتها فتنكر في داخلها وأمام ابنها أن أباه لم يكن ليفعل ذلك ولكن مخاوفها تتحرك حين يرد ابنها بان الأيام ستثبت ذلك ولكن بطبيعة الحال وبقدر ما تعودت منه أن يقف دوما بجوارها يقول لها (اطمئني يا أمي)لتنظر إليه بعجب وأيضا بسرور للمس الحنان منه ناحيتها فاخبرها بأنه احتفظ لنفسه بنسخة من المفاتيح تنفعهما وقت اللزوم ولكن حقيقة الأمر لا تعنى مفاتيح أو غيرها بل تعنى الموقف نفسه وما وراءه من مغزى فهي لا تنسي تهديده لها كل ليلة وطلبه لها أن تعطيه عقد البيت وإلا تتحول حياتها ويلا، تتذكر أن هذا العقد سبب سكوتها وصمودها أيضا وتحديها وإصرارها على موقفها فهي تريد أن تكسر شموخه المزعوم ووجدته وتر احساسا تلعب عليه بمن مثله،حيث وهو في كامل نشوته معها أو مع غيرها أو بأي حال يتذكر ذلكفينقلب مزاجه ويعكر صفوه لتشفى هي غليلها بل غليانها.

الكرة في ملعبها كما تظن ،بمفهومها، ويطمئن بالها قليلا ،فما زالت الأمور هادئة وما زال أمر الزواج متوقف لسبب لا تعلمه ،وهذا أيضا ما تتمناه ومن حولها ولكن المريب في الموضوع أن من يلقب بالكبير ما زال تائها مكرسا حياته ووقته كله فقط ل(لسارة).

ما شفى غليلها أنها بدأت تسمع كثيرا عن (سارة)مالا يسر،.. سمعت عنها حكايات خرافية مع رجال كثير، ولكن تريد توصيل الفكرة للمخدوع(أشرف) فتطلب ممن يحكى لها بتولي هذه المهمة لتراهم ينكرون ما قالوا لخوفهم منه

فماذا تفعل وهى قليلة الحيلة معه .

الغريب وكل الغرابة أنه ربما يستمع ويعلم ولكنه يرفض تماما أن يصدق بل يتجاهل الأمر في نفسه بحجة أنها ما كان بحياتها سابقا أما الآن فقد تبدل الحال بعد ما طليها وأنصفها أمام الناس.

الغريب أيضا أنها تمر بحادثة غريبة مريبة وهو يرى شواهدها عليها على جسمها والناس يقصون ولكن دون عدمه ما يقال.

يطير عقل الزوجة وتحتار فأي خطا فيها وكيف يصل الأمر لهذا الحال.

من المؤكد أنه فعلا كابوس يطبق على القلب كابوس عمر أو زمن لا يمكن الاستيقاظ منه أبدا.

مما يخيف الزوجة أنها فعلا بدأت تستنفد كل طاقاتها حتى بدا عليها نسيان الأمر تماما وكأن شيئا لم يحدث ومما لا يتصور أنها بهذه الحال بدأ من حولها يتهمونها بالجنون.

الجنون في نظرهم سكوتها ويسمونه ضعفا ،فلربما هذا السكوت يواري شيئا خفيا أعظم من أن يتقنوه.

عاشت في بيتها التي شيدته مما يقارب عامين فقط بعد صبرها على إقامتها في البيت العائلة تسكن في حجرة واحدة هي وأولادها الثلاثة وزوجها، إياكم تتخيلوا هذا المنظر الرهيب المريب وكيف كانت عقبة ،مع أنها كانت تبذل أقصى ما في جهدها للحصول على بيت يليق بمقامها ومقامه حيث هي الحاصلة على مؤهل جامعي وفى وظيفة مرموقة هي وزوجها تخيلوا أنها كانت تخشى من استقبال ضيف في يوم ما أو يحدث لها طارئة تجبرها على هذا الاستقبال فما تملك من المكان شيئا إلا حجرتها الموصدة عليها في ركن من أركان منزل العائلة ومعها حمام

ومطبخ متواضعين.

تحملت الضيق ليأتي الفرج بعده..لا يتخيل أن الشخص الذي يخونها هو نفسه الشخص الذي كان يدعوها دائما إلى الصبر والآية الذي تلاها دائما فيدعوها للصبر: (إن مع العسر يسرا) ويقوم بتكملتها ليزيد صبرها وأملها بالحياة فما كان لها إلا أن ترضى.

الغريب أنها تتذكر معه ماضيها وبداية حياتها.

الأغرب أنه ليس غريبا عنها بل يوجد صلة قرابة بينها وبينه من الدرجة الأولى.

ابن عمتها وهي بنت خاله

نعم الآن ندرك معنى سكوتها فما هو ضعف أكثر مما أنها لا تريد أن تخسر العائلتين بعضهما البعض بسببها فهي تعرف تماما أنها ارتبطت بطريقة لا يسمح لها الفراق عنه أبدا حيث عاهدت نفسها أنها لا تفترق عنه إلا بالموت .

فى الحقيقة ليس حبا فيه فقد اكتفت منه ويمكن أن جعلها شبه موجودة بالحياة وقريبا ستكون دون الوجود.

تتذكر تلك السنة ولا تتناساها أبدا، كانت بالثانوية العامة جاء ليخبطها ليرفض أبوها رفضا تاما لم تكن تعلم بالأمر وحاول أبوها أن يخي عنها الخبر ونصح الأم بذلك أيضا لحين الانتهاء من الامتحانات ليدير (أشرف) وجهه خلسة ويعلمها بالأمر وأن أباها قد رفض .

جاء ليتوسل إليها ،لم تكن تعرفه سابقا إلا هو ابن عمتها فقط ، فما تعرف للحب جانبا ولا خطر لها أمر الخطوبة أبدا ولكن رأفة بحاله ،حيث أحست منه وبكلامه أنه يحبها حبا جما وأنه مستعد أن يقف أمام العالم لرضاها.

أي شيء لم تكن تفهمه في ذلك الوقت، من أين يأتي هذا الحب ؟!.....وكيف

تكون الاستماتة فيه ،عمرها سبعة عشر عاما يزيد عمره عنها بعشر سنوات له من الخبرة ما يجعله يتمكن منها حيث لا تجربة لها في الحب سابقا.

ترى نفسها تنصاع لأمره ولا تعرف السبب ربما هو القدر الذي أراد أن يجمعها أو ربما الدمار الذي كتب عليها لكي لا تستطيع أن تتخلص منه أبدا أو ربما هو الفرح التي لم يكتب لها واعتاد منها الهروب أبدا.

تراه أمامها في كل مكان وفى كل زمان أصبحت تراه ظلها الذي لا يفارقها أبدا ناهيك أنها نسيت أن لها أبا يرفض تماما هذا الارتباط وتسبب له فى الريبة والضيق ولكن الآخر تمكن منها جعلها لا تبالي لأمره.

تعترف الآن في قرار نفسها أنها ارتكبت خطئا في فادحا في حق أبيها بل في حق كل عائلتها ...تعترف تماما أنها المذنبة الوحيدة في هذا الموضوع وأنها من جنت على نفسها.

كان ينال منه الفقر الشديد ما لم يناله أحد مثله فهو يفتقر إلى العقل والحكمة وأيضا ليس بوسيم زيادة عن إن أخلاقه سمحت له ولها عصيان الأب وأوامره.

لم تندم طيلة عمرها على هذا الارتباط ربما لعدم التمرد داخلها على الوضع الذي ليس فيه ما يسر أبدا.

عاشت في حالة شرود تتذكر ذلك اليوم قبل امتحان الثانوية العامة بشهرين وأبوها يعارض دخول ذلك الشاب بيته لتنتبه لمذاكرتها أو ربما من باب الحيلة أنه يعتبر غريبا عنها فلا تربط بينه وبينها صفة رسمية...وبدلا من أن ينصاع للأمر إذ وجدته يختلق مشكلة غريبة تصل لحد أن وقعت العائلتين يبعضهما ضرب وسب وشتم وأهانه وإصابات بالغة.

كل ذلك يوحى بعدم حكمته وأن الأب على حق للرفض ولكنه كان سحرا بالنسبة

لها...كلامه..دفاعه...توسله... كأنه أجرى عليها عملية تنويم مغناطيسي جعلها لا تدرك حتى ما يحدث أو ربما غسل مخها بطريقته.

تنزل دموعها وتنهمر بغزارة وندم وحسرة فكم من خطأ وقعت فيه معه وهى أخطاء لا تصحح أبدا.

فالأمر صعب والرجوع صعب.

تتذكر خطبتها بعد أن حصلت على مجموع عال في الثانوية العامة تتذكر أن أباها توسل لها بعد النجاح فمستقبلها سيكون أفضل إن صبرت.

يذكرها أبوها أنه ستدخل الجامعة وتقابل كثيرا لتختار بذاتها من يريح قلبها ومن هو أفضل منه فهو حاصل على مؤهل متوسط وقد حان لها أن تفكر بجديه طالما ستحصل على مؤهل عال وتكون مميزة عنه.

ولكن لم يعلم أباها أنه في الناحية الأخرى شبح لشيطان مريد يوسوس لها بذكائه أن لا تتخلى عنه، سيكون خادما تحت قدميها فهو يهب لها حياته ويطلب منها أن تهب له أيضا حياتها.

يعرف قيمتها في ذلك الوقت ويعرف قيمته أما هي فقد تناستها تماما بل تناست ذاتها لأجله.نسيت أنها بذلك ستكون أسيرة لمكره وخداعه .

الندم كل الندم بعد عشرين عاما.....

الحق يعود للأب المغلوب على أمره....

الكل يقول هذا وذاك ....

الاعتراف بالحق فضيلة...

الأفضل أن الزمن أجبرها على أن تكفر عن سيئاتها في الأب الذي كانت عاصية

له.

.....

اليقين

شئنا أم أبينا : قدر من السماء أتانا ولا بد لنا أن نستجيب.....

بدأت حياتها بكابوس لتنتهي به أيضا مع اختلاف في الزمان والمكان إلا إن النتيجة حتما ستكون في غير صالحها فقد عاشت حياتها رهن كابوس أليم يتحكم في مسيرتها بالحياة وفى حكم مصيرها بالرغم أنها لا تعيش ولا تعرف وما اختلطت بأفراده أبدا.

تعرف أنها حتما ستقع فريسة فيه يوما ولكن ما كانت تصدق طريقة الوقوع المؤلمة فقد كانت تجد نفسها في النهاية ناجية دون إيذائها مما كان يطمئنها ويعنيها بعضا عن التفكير فيه فما كان لها إلا التناسي حيث لا تملك التحكم بقدرها.

الدنيا لعبة ، إنها اللعوب أيضا حين تغدر، (يوم لنا ويوم علينا)والناس على خلاف وصراع بحكم الطبيعة الفطرية وكما يقال(الطيور على أشكالها تقع) ولكننا نخطئ أحيانا لنقع على من ليس لنا ،بالفعل ..إننا لسنا طيرا وإنما نحن من فصيلة البشر.

اليوم عندها دون الأيام السابقة والزمن كأنه يتوقف بالإرادة والصمود يمتلكها الخوف أو إن ينفد أمنها.

فكل إنسان منا له طاقته يعيش ويستمد يد الحياة بقوتها وبفعلها ،ولأنها طاقة محدودة يمكن أن تنفد بأي وقت لتسير الحياة على غير ما يرام أو دون ما خططنا.

هذا ما حدث لها بالفعل ليجعلها كما يقال عنها أو عن مشكلتها إنها مشكلة القرن حيث لا يوجد لها حلا إلا مع ربها..في النهاية تسميها طامة كبرى شاء لها القدر أن يكون له فيها باعا معها واختارها دون غيرها...من المؤكد للخير دون الشر. تصبر والكل يتعجب وأحيانا يحسدونها. تسخر من قدرها وتهوى اللعب معه برضاها لا سخطها.الحياة لا تعنيها شيئا توقف عقلها ولم يجحد قلبها ولكنه عاهدها الصمود إلى الأبد فهي في دار جهنم التي أوقدها لها البشر وفي نعيم مع ربها..سيمنحها حتما الرضا أكثر وأكثر فطالما معها ربها لن تضام أبدا.

أحيانا التمس لها العذر وأحيانا أبكى عليها أحيانا أخرى أحسدها وأحيانا أتحسر لحالها أحيانا أعذرها وأحيانا اسخط عليها ولكن حين اجلس معها للحظ أراها تقنعني بأنها اسعد البشر حيث لا تعترض على قضاء ربها فأتعجب من أمرها ولا أملك إلا لدعاء لها.

ضاق الحال تماما وضاقت الدنيا ولكن يتسع صدرها لترحب بما يؤتى من كل حدب وصوب فقد تعانى وحدها لا تشكو أبدا ولا تريد من يرثيها في حالها تبتسم دوما في أحلك الأوقات ولطالما عجز الجميع عن تفسير هذه الابتسامة التي تبدو صافيه فبوركت وبورك صبرها وبورك حبها للمحن التي تتباهى أنها أعطتها القوة زيادة لا الضعف وقلة الحيلة.لا الحيرة والعقل والحكمة لا السفه وغياب الضمير...فدوما تقولها بسخرية وهي تبتسم (هل من مزيد؟).

ساومتها نفسها على فعلة ربما في نظرها شنيعة و فى نظر الجميع عادية جدا و لكن ليس وقتها... ساومتها نفسها أن تضع حدا لموضوعها بطريقة كيد النساء و

مكرهن ساومتها نفسها أن تفقد دورها الملائكي و تلجأ إلى الحيل الشيطانية .

تناقشه كثيرا في الأمر و تردد بعضا ما لتنفذ فورا ما جال بخاطرها.

شاء القدر بإرادتها السابقة أن توضع بذرة جديدة في رحمها لطفل جديد ربما يأتي إلى الحياة أو لا يأتي (كما يشاء ربها).

تريد أن تثبت للجميع بذلك أنها ما زالت تتمتع بأنوثتها و أنها كباقي النساء حولها فبدأت تشيع خبر حملها ليرفضه الجميع لأنهم يعلمون السبب و ينتقدونها نظرا لسوء حالتها الصحية فهي ما عادت تملك من جسدها إلا هيكلا حتى ملامحها تبدلت و تغيرت تماما لتنال شفقة الكثير حولها. و هم يعلمون أن لها عذرها في كل شيء فهي ما زالت تصمد أمام الجميع و أمام زوجها الذي يريد الخلاص منها و يتمنى موتها دون أن يتعرض لها.

تعلم ذلك و تدعو ربها أن يكمل لها محنتها بسلام .

الأمر يبدو فيه سرا لا يعلمه إلا هي بعد الله سبحانه و تعالى تخفيه حتى عن نفسها و تساوم من خلال حملها لتحدد مصيرها.

(لله الأمر من قبل و من بعد)

الزوج يصرّ على دمارها لدرجة أنه يلجأ بعرض بيتها للبيع دون رضاها أو الأخذ برأيها ظنا منه أن هذا الأمر سيكيدها و يجعلها تنتهي من الحياة للأبد.

حذرته منه كثيرا لكنه لا يستجيب و بدون جدوى لتجده بين يوم و آخر يأتي بأناس لتعيين البيت لشرائه... الأمر الذي زوّد الكره بقلبها له... حتى لدرجة أنه يفقد البيت سعره ليتمكن من بيعه.

استحلفته بالله كثيرا و بكت بحسرة بين يديه فالبيت هو ذكرياتها بل حياتها سعيدة كانت أم كئيبة ليست مستعدة للتفريط فيه أو تركه مهما حدث فقد

ضاع هو و تأبى أن يأتي الدور على بيتها الذي يؤويها و أولادها.

و لكن دون حالة مبالاة طالما توصيه بالحفاظ على البيت طالما يتمنى التفريط فيه بأي ثمن فقط لدمارها.

ينسى تماما أنها تملك زمام أمورها في مسالة البيت ،بموجب العقد المالكة له و مما يوحى أنها أخفت هذا العقد بعيدا عنه بل تجاهلته حتى في أثناء عرضه البيت للبيع فقد كانت تتركها للنهاية.

تنظر إلى الأمر بحيرة و تحمد الله بنفس الوقت أنه لا يملك من البيت عدد طوبة واحدة.

مع ذلك زاد من تعذيبه لها ، فلم يكتفِ بغلق الأبواب و الشبابيك بإحكام عليها أو حتى بالمفاتيح بل يأتي اليوم لمطالبته لها بالتخلي تماما عن مسؤوليتها و بيتها بأن تسلم له و فى يده مرتبها كاملا و بهذا اكتملت عليها. لا تنكر أنها تقاوم و لكن في النهاية تعودت الاستسلام فقد وصل الأمر حين رفضها أو تذمرها للشتم و السب و الضرب وأيضا مجالس الرجال أو اجتماع العائلة لشأنها و يبدو أن هذا كان مفرحا له في النهاية و منصفا له لأنها أشد ما تكره ذلك فما لها إلا الاستسلام.

يطلب منها أن تعيش خادمة في بيتها لأولادها أمّا هو فتنساه تماما وهى غير مسئولة عنه و إن أرادت فالباب مفتوح أمامها تخرج و لا تعود أو حتى إن عادت فسيرحب بها.

تستوعب الأمر تماما فلزاما عليها أن تطيع.

تعلم تماما أنه تحت زمام امرأة أخرى تتحكم فيه و تأمره في الصغيرة و الكبيرة و ماله إلا أن يثبت لها بأنه في بيته الآمر الناهي خاصة بعدما حدث بينها وبين

(سارة) أكثر من مشكله ، بدلا من أن يهدىء من روعها ماله إلا تزويد المشاحنات بالانحياز لواحدة وتهديد أخرى بل الضغط عليها بكل الوسائل الممكنة ولا يخشى منها الانفجار.

هو لا يريد منها الخلاص بطريق رسمي و لكن يريد تحطيمها و وضعها تحت وطأة الرأي العام ،يعلم تماما أنه ما عارضها الرأي العام إلا و أنهاها تمام ليس إلا حفاظا على الوضع الاجتماعي أو ما تبقى منه حيث قرب أن يتلاشى وهو لا يدري..

يشوّه دائما صورتها و يطلق عليها مجنونة و يصطاد الفرص إذا ما رأت منه فعلا لا يعجبها لينكره تماما ليعلق بذهنها فكرة جنونها. و الأكيد أنها أصبحت تصدقه و لا تصدق نفسها حتى عيناها إذا ما رأت الشيء تصدقه سريعا بل تحاول أن تنسى ما رأت.

الحقيقة أحيانا موجعة و الهروب منها مستحيل إلا لوقت قصير و الشيء الوحيد الذي لا نستطيع فعله هو الهروب من ذاتنا.. فالحقيقة ليست بتائهة و لا ضائعة منا ، دائما فينا لنتجاهلها إن أردنا ،و النهاية الحتمية تترك للأقدار.

تذهب إلى الطبيب بميعادها و للمرة الثانية ليطمئنها على حالها و حال جنينها ليخبرها بشيء غريب.

فالجنين ببطنها مشوه بالرغم من تناول الأدوية و العقاقير بشكل منتظم وهى أيضا مصابة بأنيميا حادة و هبوط في الدورة الدموية دائم و مستمر فوضعها الصحي في خطر و عليها أن تتصرف بشأن هذا الحمل .

الأمر كما قلنا فيه سر بالنسبة لهذا الحمل بالذات يربطها بمصير حياتها... و لهذا حينما اضطرت للخلاص منه بدأت شكوكها تساورها و بدأت تجهز نفسها لأمر ما و بدأت تنبه أولادها إليه و تهيئهم على تحمله.

بالرغم من ذلك تطلب منه أن يتقرب إليها ليثبت لها أنها مازالت على قيد حياته و لكنه يصر على موقفه بالتجاهل و الابتعاد.

بمن تستعين غير ربها الذي يعلم حالها ومرارة نفسها و الصراع الذي تعيش فيه و حيرتها في مصيرها المحتوم فهي تتخوف التراجع و تتردد في التنفيذ.

تدعو ربها أن يكتمل لها الأمر بأن ترى بعينها و تسمع بأذنها ما يقنعها أنها على صواب ... ترى ما تتغاضى عنه طيلة عام كامل و يكشف عنها الحجاب لتملك حجتها.

تريد أن تعتزل حياتها سالمة غانمة تريد أن تنهى حسابها و لكن نهاية تحمد عليها و فى الأصل هي لا تريد بل يفعل الله ما يريد.

هو في غلة ليته يعلم ما يدور بخلدها تسرقه السكين و لا يبالى.

لقد حان وقت الرحيل و انتهت حالة الخضوع دون سابق إنذار.

تنام ليلا ليتأخر هو عن موعده المعتاد و تقوم من نومها فجأة على كابوس يوقظها لتنتفض من مكانها و تخرج إلى بوابتها لتراها موصدة عليها و ترى منظرا مريبا من ثقب في البوابة .. فالليل حالك و الناس كلهم نيام بمنتصف الليل فتراه يخرج من البوابة الأخرى بذلك الوقت المتأخر و يبدو عليه النشوة و السعادة

تمسك بالباب الذي أغلق عليها بمفتاح، أغلق إجباريا، لا تملك من الأمر شيئا...تريد أن تكسره و تكسر الدنيا من حولها فبمن تستغيث و من يسمعها و يفهمها فقد أصبحت عاجزة عن التصرف خلف الأبواب المغلقة ، ليتها تجد الحجة و البرهان الملموس على خيانتهما فهي لا تنسى قسمه المستمر على انتهاء العلاقة بينه وبين عشيقته و أنها ما عادت بحسبانه.

تعلم جيدا أنه ارتاح قلبه إلا لأنه استطاع أن يتزوجها عرفيا أو أنه أقام معها علاقة غير شرعية.

يخفى الأمر تماما حيث رغبته في عدم فقدانها المعاش الكبير من جهة حكومية بزيادة ميراثها المرهون عند أهل زوجها وقد سمعت عرضا عن اعتراض أبيها عن زواجها خوفا أن يطمع في أموالها التي لا حصر لها من زوجها السابق(مسعود).

جلست (إيمان) مع نفسها لتتذكر ما فيها و طعن الحياة لها لتقارن بين حالها سابقا و ما سيؤول إليه مستقبلها من حرمان في سبيل الدفاع عن مبدأ حياة داخلها ، حتى كاد عقلها يتزحزح جانبا لما رأته من آراء حولها لانتقادها أو لزيادة التمسك فيه.

و نظرا لأنها تعلم أنها على يقين فإنها لا تبالي و لكن بداخلها حزن عميق لجهلهم و إدراكها سبب ما أحاط بها.

لم تيأس و لم تنس ما دار بينهما في الليلة الماضية من صراعات و مشاجرات بينها و بين نفسها و كأنها تحلم أو تعيش كابوسا أرادت أن تستيقظ منه بأن تأخذ حقها كامرأة من بين النساء بفضل تمردها و رفضها للواقع الأليم الذي تسبب في قرب نهايتها.

.و تفضل الآن أن تنفد بجلدها مهما كلفت من ثمن.

في صباح الليلة السابقة يأتيها زوجها و قد بدت عليه علامات الرضا ليطلب منها أن تتناول الغداء بمفردها و أولادها و لا تنتظره لذهابه مع أحد أصدقائه لتلبية دعوته بقضاء أحد المهام له يضرب قلبها ضربات سريعة ليوشك على التوقف و لكنها تنهض للتمتمة ببعض الكلمات التي لا يفهمها الزوج و لكن يفهم مغزاها كاملة لينظر إليها نظرته الثاقبة ليشفى غليله فيها.

فما كادت تتمزق من داخلها إلا و يتمتع هو بنشوة كأنما أغشيت جوارحه كلها.

و ما زالت.....

تدرك تماما أنه ما اصطنع إلا كذبة ليبرر فعلته الجديدة التي طفح منها الكيل دون تحملها.

فما لها إلا أن تسكت مشروخة دون جدال لتفكر بحزن و خوف شديدين من حالها و مستقبلها التي تقرأه و تعلم أن الفشل فيه لا محال.

يتصل (أشرف) ب(إيمان) في وسط النهار ليؤكد لها خروجه وعدم الانتظار لتساورها شكوكها أكثر و أكثر.

في هذه المرة بالذات تريد أن تستند إلى دليل مادي خاصة بعدما رأته يخرج من بيتها ما يقارب منتصف الليل و لم تستطع التحرك لإغلاقه عليها باب دارها .

فى حين شكواها لمن حولها بتكرار هذه الحال إما أن سخروا منها أو يلحون عليها لمراقبته..... ربما بالجنون يتهمونها.

يتردد بذهنها مراقبته بالفعل فلم لا ؟ و قد كثر خروجه وتتبعه (سارة) بنفس الوقت ليعودا معا دون خشيتهما من رؤية أحد لهما و كأنه حق مكتسب لهما

.تأخذها الريبة لتأتى من عملها دون انتهائه لما في عقلها من وساوس تريد تأكيدها لتصطدم بالأخرى تخرج من بوابتها ليتبادلا نظرات عميقة لبعضهما و لكن كل منهما تحمل مغزى مختلفا لهذه النظرة بالرغم من أن كلتيهما تفهمان ما يدور بخلد الأخرى.... و لكن بالنهاية تريد أن تنقل لها إحساسا يحول دون سعادتها في يومها التي تشك أنها رتبت معه له سابقا فما إن تهم بالمشي إذ توقفها إحدى جاراتها لتعطي لها مهلة لزيادة النظر إليها و يلحظهما المارة ليتعجبا من الأمر. و ربما يزيد التأكد قدوم زوجها ليلقى عليها السلام و يقطع حبل أفكارها بأنه على

وعده معها فما لها إلا أن يزيد ألمها ليصيح أنينا بداخلها لا مفر منه ، في حين علم الزوج بما في قراره نفسها ليفسرها في الحال بأنها أنانية مفرطة و سوء فهم منها و لكن تأخذه النشوة لوقوفه بين الاثنتين و لا يدرك أن واحدة منهن تعيش بنارها... و الأخرى متعتها برؤيته جديرة بدونية إنسانيتها.

كان يلح عليها دوما بقوله أنها ربما تمتعت طيلة عشرين عاما والآن تستطيع أن تتركه ل(سارة)ما تبقى من عمرها لتفي بحبه ويكتمل الجميل ..نعم يعترف بالجميل ويعترف بطمعه الذي لا مناص منه..

يدخل الأب ليجد أن الابن الأكبر جالسا بمفرده الذي كاد يضيق لأنه يقف حائلا أمامه و حتى لا يرمى السلام عليه لمقاطعتهما لبعضهما لتدخل الأم و تعد الطعام متعمدة أنها ما فرطت في مسئوليتها و لكنه يرفض بجدارة و يرتدى ملابس أخرى ليرن هاتفه ليسرع بغلقه قبل أن تستوعب رناته بحجة أنه صديقه الذي سيخرج معه و سيستأنف حديثه معه في الطريق.

لم يحدث أبدا أن أعطاها مفتاح دكانته من سنة كاملة ليعطيها إياه اليوم و يقول أن لها الخيار في أن تجلس فيه حيث سيتأخر كثيرا لأنه لا يعلم عن سبب الخروج و لكنه سيتنزه مع صديقه بالمرة طالما خرج من البلدة حيث يقصده (سمير) في خدمة ولا يستطيع التأخر عنه حيث الصداقة التي تربط بينهما من أمد.

أصيبت بالذهول فلم تستطع الرد مع ارتباكها لحال الموقف و شكوكها فيه.

يلاحظ ابنها ارتباكها و يحاول أن يقطع حبل ريبتها

ليسألها عن سبب قلقها الذي بدا على وجهها لتطمئنه بعض الشيء و لكنه يعلم بضيق نفس أمه ليستحلفها أن تنساه و تتذكر فقط نفسها.

و ما أن لبث أن خرج زوجها ليرن عليها هاتفيا لتسمع صوت صديقه (سمير) بحجة أنه يريد الاطمئنان عليها لترد عليه بكل برود بأنها في أحسن حال.

و ما إن تركت الهاتف من يدها لتنهى المكالمة على صوت الأخرى تتكلم مع ابنتها لتلمحها من وراء بوابتها تلبس عباءة سوداء توحي بأنها مجهزة للخروج لمكان ما إلا و أن همّت بالخروج و راءها ربما لتحبط هدفها و هدفه أيضا كما تظن.

في موكب التفكير يأخذها يمينا و يسارا، تصر على تتبعها في مهل منها حيث ذهبت(سارة) من شارع و ذهبت (إيمان) أيضا من شارع يقابله و ما كان من الأولى إلا أن أحست بوجودها تقريبا لتحاول تغيير تغير مسارها و تجرها قدميها أو ربما خشيتها منها المقابر لتقرأ الفاتحة على المرحوم (زوجها مسعود) و كأنها تطلب منه السماح عما تفعله لتجدها و قد تلامست أكتافهما ليقرءا معا الفاتحة و كأنها تعاتبها بطريقة لتجد الأخرى في لمح البصر لا تدرك خطواتها مذعورة من المنظر لتتجه إلى مكان بيتها لتجلس و لا تفكر فى الخروج بعدها.الغريب أنها رأت (أشف يدخل بيتها)

الأغرب أنها أرادت الخرج حيث دخوله في منتف الليل لا ينم إلا عن مسألة واحدة

الأغرب أن البوابة بالفعل مغلقة ولا تملك مفاتيحها

تريد الصراخ..المقاومة ولكنها لا تستطيع.

خرج من بيت (سارة) وأغلق بوابتها بيده ولا يراه أحدا إلا الله.

لا تملك (إيمان إلا السكوت) فلا يصدقها أحد عند المواجهة بعد فوات الأوان.

لم تنم (إيمان) ليلتها بعد قدوم زوجها إليها و يخيم السكون داخله و خارجه دون النطق بكلمة واحدة و كأنه يخطط للانتقام من حرمانه من مقابلة قد خطط لها

يوما كاملا و في لمح البصر تأتي تفسدها ... و ما إن غفلت برهة حتى تجد نفسها بمكان مهجور ليس فيه غيرها ..

قرأت الفاتحة ثم همت بالانصراف عنه نتيجة خوفها لترى نفسها بجوار قفص فيه عدة دجاجات فتنصرف عنها واحدة لتطير فتمسكها بيديها لتفلت منها في الحال لتتوجه إلى حيث يوجد الوحوش وتظن أنهم جياع حيث ما زالوا يفتحون أفواههم ولكنها فوجئت بمرورها دون أن يأبهوا لتستبشر خيرا وتذهب إليها لتعيدها للقفص ولكنهم يقفون كما أسودا تفتح أفواهها من السماء لتتلقفها الأرض فتواصل قراءتها للقرآن وتتسمر مكانها فيسكتوا هم عن زئيرهم ويصمدوا ليزيد اختناقها من هول المنظر وتحاول أن تستيقظ فلا تسمع إلا صراخها الذي خرج عن المعتاد وتنتفض بسريرها ليستيقظ من نومه مرتعدا ويحاول إيقاظها فتستيقظ فيسألها عن سبب ذعرها لترد بأن لا شيء وتدير عنه وجهها بعدما استعاذت .

هناك مهمة أخرى يجب أن تقوم بها (إيمان) و قد حان وقتها بعدما رأته بالأمس لتكمل ما يطلب منها زوجة أو أم و لتعلم أنها ليس مقصرة حتى إذا كلفها ذلك حياتها.

كانت تنوى فعلتها من زمن لتريح ضميرها... فهي تنوى أن تذهب إلى ذلك الدجال المزعوم الذي يخاف منه الناس بل يدعونها إلى ضرورة الخوف منه والاستسلام لما يحدث من ابنته تجاه خراب ودمار بيتها دون إحساس منها بالذنب.

سمعت عنه ما طمأنها من ذي قبل، من أحد الأفراد الذين انتموا إلى الجماعة السلفية، كان لهم أن يبحثوا في حقيقة أمره بعدما سمعوا عنه.

قص عليها زوج صديقتها (أمجد) شيئا يدعو للغرابة.

اتفق (أمجد) مع (إبراهيم) الذين اعتاد الجلوس مع (الشيخ عوض) كما يطلق

عليه على أن يصطحبه مرة ليراه على حقيقته فربما كان على حق ويمكن الانضمام إليه.

دخل (أمجد) ليلقي السلام ويجلس على الأرض بينما يجلس (عوض) على الكنبة عاليا.

جلس (إبراهيم) هو الآخر

انتظره أن ينطق أو يتكلم فما حدث ليقطع السكوت صديق أمجد الذي اصطحبه بشيء أثار فضول الآخر بل ابتسم في خلسة خشية أن يلحظه (عوض) فتفشل خطته).

إبراهيم: ممكن لأخينا فاكهة مقطوفة من الجنة يا شيخنا.

نظر أمجد إلى إبراهيم بتعجب..هذا ليس غريبا عنه..بل هو أعلم أنها خدعة ولكنه لم يبالي.

مدعوض يده في جيبه ، أخرج منها ليمونة ليأخذها إبراهيم فرحا في الحال .

الله يا شيخنا..فعلا مقطوفة من الجنة...(شوف يا أمجد) ..لم ينظر أمجد...خرج سريعا ليعلم تماما بل يعلن ذهوله من الجهل الذي يعم عقول البشر.

تحذرها أختها بعد ما أخبرتها بما تنوى فعله و تريد أن تذهب معها لتلتمس لها قولا أنها مهمتها وحده لتقتنع بكلامها.

لم تعلم حينها لم فعلت ذلك و لم لا تخشى ما تفعله و هذا ما جعلها ترفض مصاحبة أختها لها تماما بل اكتفت بإخبارها وتوقفها حينما نوت اصطحابها ليحدث ما يحدث بل لتحميها و هى بجوارها لتبكى و تخبرها بأنها رسالة لا بد أن

تؤديها وحدها و ستذهب و تعود في أمان الله.

في يوم جمعة.. حيث كان الصباح كئيبا... صباح يوحى لها بالخوف و الذعر التي اجتهدت في إخفائه حتى تنسى تماما ما رأته ليلا.

تذهب حالها و لا تعلم إلا الشارع الذي سكن فيه ،هو هدفها فما مرت بالبيت يوما رغم أنه بنفس الحارة التي تسكن فيها من سنين ، و إذا بيديها تشتبك لتعانق صدرها و تتوكل على الله و تمشى و تصر على أن تصل إلى البيت لحالها دون السؤال ، تسرع في خطواتها قبل أن تنتهي خطبة الجمعة، اختارت الوقت المناسب، لا تخشي منه، لا تخش إلا الله لترى نفسها و هى تقف أمام بابه و تطلب من زوجة ابنه التي عرفت البيت لوقوفها أمامه أن تأخذ إذن لدخولها.

و الشيء الذي لن الذي لتعرف مغزاه أبدا و لا تفسره إلا قدرة الله عز و جل عليه و أمثاله حتى الآن إنها لا تهيب هذا الرجل أبدا، فلماذا يهابه الناس وكأنه شبح يتسبب في موتهم؟ ! فقد دخلت عليه حتى دون أن تطرق الباب يكفيها أنها استأذنت من بالخارج لتدخل إليه لدرجة أنه تعجب من جراءتها حين رآها تجلس بجواره أو تهم بالجلوس ليخيفها و يطلب منها التوقف عن الجلوس لغلق الباب عليهم. ربما انتظر منها في ذلك أن ترفض أو تهم بالانصراف أو ربما يمتلك ذكاء أمنيا ب يخيفها قامت و قفلت الباب و بكل ثقة جلست بجانبه متشابكة الأيدي لا تنطق بكلمة واحده. فلو أنه متمرس في الدجل كان على علم بسبب دخولها عليه و إن لا فسيظهر عليه. تنتظر و هو ينتظر من سيتحدث.

اطمئنان بالغ دخل قلبها حيث ذكرت أنها سمعت ضربات قلب ذلك الرجل و أحست فيه الخوف و لا تعلم السبب و لكنه الله سبحانه و تعالى الذي يظهر لها الحق من الباطل و إنها أكبر بينه... فأين الدجل و أين الهيبة و أين الرجال.

لا تنطق عن الهوى و تثق بكلامها و تذكر له ما رأته ليلا فما كان له من رد سوى

عدم التصديق و براءة ابنته.

و هذا ليس بغريب فمن تتهمها ابنته و من تتهمه زوجها و من تحكي له هو من يرفض الزيجة بل هو كان يريد الخديعة فقط من الابنة ارتبطت به ثأرا منه فكيف يصدق وقوع بنته بين يدى عدوه؟!.

لن ينسى (عوض) ماكان يصل منه في أنه نصاب ومحتال ..صحيح مر زمن على الكلام ولكن لا يريد أن يترك حق.

الناس من حوله قد بلغوه وهم أيضا من يرونه الآن ذليل يطلب يد ابته وهو يرفض بل هي من ترفض بالنيابة عنه.

هذا ما تنتظره (إيمان) ... عوض الدجال جاهل تماما، ليس إلا رجلا عادي، انخدع فيه من حوله ليتمادي في أفعاله الشريرة بل لا يحمل أي كرامات إلا أنه تهدد و توعد و كأنه أمامها مكتوف الأيدي أمامها.

تقبل على الانصراف فقد أصابت هدفها ما جاءت لتبلغ و إنما تتيقن و الآن عين اليقين بقلبها.

تعود إلى بيتها في صمت علما أنها اختارت الوقت الصحيح لزيارتها و هو وقت صلاة الجمعة فمشهور عن الرجل أنه لا يصلى و لا يدخل المسجد أبدا و أمر آخر أنه إن يملك مفاتيح السحر كلها سيقف عاجزا في هذا التوقيت بالذات حيث تنتشر الملائكة و يتقيد الجان... بالنهاية أصابت الهدف و الله أعلم.

ليس مهما ما حدث من الأب لابنته بقدر ما أهمها أن (سارة) تزجرها بعينيها.. معنى ذلك أنها بدأت المعلومة في الوصول إليها.

باقي زوجها يعلم و هي منتظرة كيفية وصول الخبر لها و ما نتيجته لتبني عليه أشياء كانت تصعب عليها.

تعلم أنه على الاتصال ب(سارة)، حتما ستبلغه هاتفيا و وقت معدود و يعلم كل ذلك.

استنكر (أشرف) منها كلام الجميع و تحدى سمعته و سمعتها كل يوم هي في شأن و كل يوم يأتيه خبر عنها بأنها فى أحضان فلان و فلان و هو لا يصدق أصابه العمى فلا يرى مثلها و السبب(الله أعلم.)

تنتظر و تنتظر و ينتهي اليوم و لكن ما من تأثير فيه إليها إلا و تراه أذان المغرب و يدخل بيتها ليجلس بالداخل معها و يغلق الباب عليه وعليها.

لم يكن هذا أول مرة بل تكرر مرات عديدة لتسكت هى و يضيع هو ليضيعها و أولادها.

تثور و تفكر في الأمر و لكنها تتأكد من أن (سارة) أصبحت زوجته بالفعل ... ما جعل تفكيرها مشتتا و جعلها تفقد عقلها بل تفقد التركيز و تفقد قدرتها و رغبتها في الحياة و ما لبثت أن استجمعت قواها لضرورة المقاومة.

حدثتها نفسها كثيرا أن تذهب إليها لا أن تستعطفها أو تطلب منها أن تبتعد عنه من أجل أولادها و لكن لتعلم منها الحقيقة التي طال غموضها فالأول باعها زوجها و الآن يبيع البيت ليشتريها به العشيقة.

قد تكون مطمئنة من حال البيت و لكن لا تطمئن لما يحدث منه....

لا تطمئن لخوفها و ارتجافها الذي كاد يزين لها أنه يريد التخلص منه بقتلها....

ربما زين له الشيطان و الشيطانة عشيقته أيضا أنها عقبة في طريق لا بد أن يزيحها منه.

هل تسكت على ذلك أم تفعل ما يمليه عليها ضميره لتريحه.

تنام بهذه الليل و تحاول أن تهدأ قليلا بل تنس أنه رأته يخرج من البيت الأخرى نسيت الأمر تماما و لتحاول أن تستكين مع أولادها فيكفيها هم و ليبارك الله و يعوضها فيهم.

تعمل بنصيحة أولادها منذ فترة أن لا تعلق على ما يحدث و تتلاشى حدوث أي مشاكل حيث افتعلت منها الكثير دون جدوى بل الأمر يزداد حدة وعناده وصل إلى منتهاه.

تحاول أن تنام و لكن وساوس الشيطان تمكنت منها بهذه الليلة الضالة.

تحاول حتى أن تكون بجواره فلن تستطع....

تحاول أن تقترب من أولادها ترى كل عواطفها منتهية....

تحاول و تحاول وتتمنى أن يضيء النهار سريعا و ينتهي هذا الليل الحالك على خير و بدون فائدة تتقلب يمينا و يسارا و يهتف بها شيء بداخلها يحذرها من القادم يخيفها من الغد بل يخيفها منه و يمنعها عنه. رأت بعينيها و تأكدت و أزيح عنها الستارة و انكشفت غمة قلبها فماذا منه تنتظر؟

و لكن ليس بالأمر الهين عليها أن تترك كل شيء لتغادر و هو تقريبا المطلوب منها يجب أن تفسح المكان لغيرها فما عادت الحياة لها أو الشخص أو المكان كل منها ذهب و راح عنها و لن يعود أبدا بل هي تحس أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة لترحل عن الدنيا كلها.

عقاب عسير عاقبته به الدنيا دون ارتكاب ذنب إلا لشخص بل لزوج لم يقدر أبدا وجودها باعها أبخس زمن اغتال منها حياتها اغتال منها عمرها اغتال كل شيء..... يأتي الصباح إليها بوجه جديد افتعلته في نفسها و نوت الحفاظ على حالها بعدما ما نسيت ما كان من ليلتها الماضية لتواصل عملها بالمنزل و بصبرها

تعيش لتفاجأ و كأن الدنيا تنكب على وجهها ... يخرج من بيتها ثانية اليوم في وضح النهار و بالأمس في الليل الحالك... يا لهذه الجرأة ما لها إلا أمارة واحده و ما لها إلا أن تواجه لتمسك ببوابتها و تريد الخروج فتجد البوابة موصدة عليها و هى بالفعل لا تملك لها أى مفاتيح. تريد أن تصرخ أن تصيح أن تقاوم و تدافع تريد شاهدا و لو واحدا على الحق و الله شهيد عليها.

ترى نفسها و قد ألقيت على الأرض و تبكي و لا فائدة فقد ضاعت هي و بالفعل ضاعت حياتها و بالفعل لم يعد لها أي طريق للكلام فالسكوت علامة رضا وقد سكتت و تمادت بسكوتها إلى أن كتب عليها السكن بالجحيم نعم فقد شيدت باب جحيمها بيديها هي من حافظت عليه و جعلته بين الناس رجلا هو الآن يجازيها خير الجزاء فقد استطاع أن يوافيها حقها بل هي المسئول الأول عما حدث و سيحدث لها

يأتي بعد قليل لا تستطيع أن تسكت ، تبكى بحرقة و تلطم وجهها و تقول له أنها لا تريد إلا الحقيقة فما كان منه إلا أن يذهب للمطبخ و أتى بسكين في يده ليهددها إن نطقت بكلمه هو آخر يوم بعمرها.

حولها أولادها ينظرون و لا يفهمون....

فهمتها و استوعبتها كما استوعبت أنا من ذي قبل، ليتها فعلت من زمن ما أفعله الآن ليتها رفضته بكل قوة فما خسرت نفسها و ما خسرته أنا ،نعم اعترفت أنى خسرته بل نال منى الشتات أنا و أولادي حين هدم المعبد و حين انكسر صرحنا المنيع.

بنيناه سويا لنهدمه سويا..صرحا بكل معانيه حمل فيه كل المعاني بل ضدها و التغلب على كل ما فيه و بالنهاية وجدنا أننا لا نفهم حتى المعنى بل سخرنا كل قوانا للتنازل عنه بسهوله.

قلبها يبكي و هى تقول تلك الكلمات قلبها يبكي و أنا أحدق فيها عاجزة فاقدة لوعيي لا أستطيع أن أقدم أي شيء لها سوى مواساتها و هى ترتمي بأحضاني حتى الدموع حينها غضبت منها و أبت أن تذرف.

أشفق عليها و هي جارتي أشفق عليها و عدوها من كان حبيبها أشفق على العدو نفسه لا نعلم و لا ندرى من أين أتت العداوة.

أهو كابوسي ؟.

أخوفي الزائد عليها هو السبب؟

أم الوهم و ارتقاب المنتظر؟

بالنهاية إني نادمة على ارتكاب معصية فيها حين سردت عليها الحلم من سنين و لم أفقه منه شيئا حين منعتني من إكماله و علمت الآن سبب انصرافها عنى و الدموع بعينيها تحتبس و ما تركت حينها لى إلا الحيرة.

هل أنا من وضعت النهاية أم أنه القدر الذي لا يرد؟

بالنهاية أبكى عليها حسرة و لم أسطع النظر إليها...

بالنهاية في نظرها أنا الجاني و كلهم مجني عليهم...

بالنهاية أنا من تنبأت بمصيرها و حملت ذنبها على عاتقي...

بالنهاية أطلب منك العفو و السماح يا ربي...

بالنهاية لها رب.

تحمد الله أن ابنها الأكبر خارج المنزل لتنزل عليها طمأنينة بقلبها و تمسح دموعها لتهدأ .. كل ذلك في ثوان معدودة تحاول أن تخرج من بين يديه بالفعل لتغلق الباب بمفتاح و تخبره أنها لن تعود لهذا البيت بل ما يجب أن يسمى سجنها أبدا

بالفعل تخرج لتذهب بكل هدوء إلى جارتها و تخبرها أن تذهب لتفتح له الباب لأنها ستذهب و لن تعود.

و فى لمح البصر قبل أن يلمحها أو يحاول أن يلحقها خرجت و لم تعد.

.....

حلم اليقظة يحمل آهات الخوف بداخلها بكل ركن من كيانها كي يتمزق عبر الأجواء. نظرت بعينيها إلى عالمها بخوف شديد تحدثه و كأنما يحدثها تلومه كأنه يلومها تحاول أن تخاصمه و هو بالفعل لا يستطيع خصامها تريد أن تجادله لتتبعثر أشلاء الكلمات داخلها تفكر و تتوه فى الظلام الحالك بين أعاصير كفيها.

من أين أتى .... تسأل و لا مجيب.

ليس الواقع أليما فالألم يكمن في ماضيها التي يجب أن تهرب و تتخلص منه فهو عبء ثقيل على عاتقها.

ما زالت خطواتها متثاقلة و ما زال عقلها يتيه في الأرض .. تخبط كفا على كف و تحاول الهرب ..عيناها تشرد يمينا و يسارا قلبها يدق دقات عالية.. تنظر لترى كل شيء حولها يحمل نفس الصورة عدة مرات ... لتدرك أن الدنيا تلف بها تريد أن تتمالك أعصابها لتزيح عنها الخوف فتكمل خطواتها.

لماذا هربت ؟ كيف اختنقت ؟ كيف ضاق بها الحال ؟ هل نفد صبرها ؟ أم أنها أرادت الراحة من حالها ؟ أم أرادت التكفير عن ذنب و همت به نفسها أنه اقترفته في حق نفسها و حق غيرها ؟ أم أرادت أن تخلق فى نفسها شخصا جديدا لم تكنه بداخلها ؟.

كل هذه الأسئلة بداخلها تصارعت و كلها ليس لها إجابة إلا أن تصمد.

تصمد فقط تستمر بخطواتها لن تتوقف لن تعود أبدا للوراء.

أسئلتها تقتلها صراعا حيث لا تجد لها إجابة كافية.

بالأمس بل من دقيقة واحدة كانت ببيتها تأمر فيه و تنهى و تعيش مر العيش و حلوه لم تتوقع أنها كانت تلقى آخر نظراتها على أركان بيتها..لحظات أخير..لا تعلم إن كانت ستعود أملا ،حين قامت من نومها لتجهز إفطارها لزوجها و أولادها.

فى صبيحة يوم السبت ليست سيئة المزاج و ليست مهيأة للعزلة عنه طيلة حياتها بالرغم من أنها عزلته منذ سنة تقريبا و عاشت معه بنفس البيت الذي لم شملهما و عزمت أن تبعد تماما عن المشاكل و تهيئ لأولادها أحسن حال كي يعيشوا في استقرار للأبد و كأن شيئا لم يكن الماضي، الحاضر ،المستقبل، كلهم

أمام عينيها، تبكى و كأنما تحتضر وقت وقوعها وقت سقوطها فى منتصف الطريق.

الطريق خال تماما إلا من أحد السيدات التي تجلس بعيدة عنها تجلس أمام باب منزلها و عيناها لا تراها إلا حين السقوط فحينما سقطت صرخت صرخة عالية جعلتها تنتبه إليها تجرى و تجرى لتلحق بها لتراها و هي تجرى تراها صورة بطيئة تتحرك أمامها و يتخيل إليها أن تلحقها قبل السقوط.

تعثرت خطواتها لتقع هي الأخرى من هول الموقف لتنهض سريعا فتراها و كأنها جثة هامدة وقعت فى الأرض لا حراك و لا جدال فيها.

صرخت السيدة بصوت عال أن يأتيها أن يلحقها أحد دون جدوى فالناس نيام و أبوابهم ما زالت مغلقة.

تنزل السيدة حولها و تحتار وحدها و تحاول تفويقها دون جدوى.

طال وقت غيبوبتها لتضطر السيدة إلى تركها لإحضار ما يساعدها أن تستفيق فتعثر على زجاجة عطر لتشتمها ربما تفيق و ما لبثت أن وضعتها على أنفها حتى رمشت بعينيها لتحمد السيدة (أمينة) ربها و تحاول أن تنهض بوقوفها.

أين أنا ؟

فتنهض السيدة و تجيب بلهفة.

أنت بخير.. اطمئني

تعرفها تماما و تعرف قصتها لذا لم تسألها أو توجه لها أي كلام فكفاها ما فيها و هذا الحال متوقع لها.

تعالى يا بنتي ادخلي استريحي..

و أشارت إلى بيتها.

أومأت برأسها و شكرتها و همت بالانصراف.

يرتعد جسمها أكثر و أكثر و يتوقف تفكيرها و تحاول التذكر.

تسأل نفسها.

أين أذهب؟

هل هو الخلاص ؟

هل انتهى كل شيء ؟

هل بدأ ؟

هل انتهيت أنا ؟

تواصل البكاء و بحرقة تناديها سرا....

أولادي

أحبابي

سامحوني.

فى الحين تذكرت كل شيء

كل شيء.

نهرها حاول أن يضربها يتخلص منها ،تبكى و تولول و تترجى و تصرخ و هو لا يطيق بالفعل تهرب إلى عالم مجهول.

تتخلى إلى آخر العمر.

العمر؟

أين عمرها

أين السنون ؟

ذهبت هباء و لن تعود؟

من ينفعها ؟

من يجديها ؟

من و من و من ؟و أسئلة كثيرة تطاردها بالأخير.

الخطوة الأولى لكي و الثانية عليك.

هذا ما قالته لنفسها لتستريح من التفكير.

اليوم ميلادها ميلاد شخص جديد فيها، ميلاد موت للقهر و الذل و الهوان.

ما أجمل الحرية !

سمعتها ممن حولها.

رددتها كثيرا في نفسها مزقتها هذه الكلمة ربما لحرمانها منها طيلة حياتها أو لأمد طويا و ربما للاشتياق إليها.

كل شيء أصبح ملوثا حولها حتى النهاية التي زينت أطرافها بيديها لوثت لتفقدها كثيرا من الحياة.

تفاصيل الحياة داخلها تمر مَرّ السحاب على ذاكرتها بقدر مرورها بقد ما تريد أن تتبرأ منها تتبرأ حتى من تمريرها على عقلها لتتذكر شيئا كاد أن يفوتها.

تحاول أن تخفض صوتها لتخفى فيه نبرة حزنها أرادت أن تكلمه أن تسمع

صوته.

منذ أن عرفته و حين صدمها (أشرف) عرفته ،برغم من معرفته الطيبه عمدت أن تغير رقم هاتفها حتى لا يتصل بها أو يجرح هذا الاتصال علاقتها بزوجها.

نظرت كثيرا إلى الهاتف بعد أن أغلقته و أنهت المكالمة دون نطق أي كلمة منها ربما الوقت غير سانح ربما تمشي في الشارع ربما تريده لا يعلم أو ربما لا تريد أن تتشبث به.

رجعت لحالها تفكر فى أين تذهب و قد أكملت الطريق حتى وصلت قدماها إلى بيت أبيها و هى الآن تواجه أمها.

بكل عزيمة و قوة حتى البكاء ذهب لحاله ،حتى الحزن غاب قليلا عن وجهها ،تسكت و لا تتكلم و تنظر لأمها تحمد ربها أن الأم مشغولة بتجهيز الأكل فما انتبهت لحالها و جلست لتتردد كثيرا في الكلام وقد ترغب في الأصل أن تخبئ ما في نفسها خاصة عن أمها..

حينها شرد كثيرا في وجه أمها في حالها فكرت في العودة في القيام في الرجوع فكرت في أن تراجع نفسها ربما هي مخطئة في قرارها حتى حدث فجأة ما لم يحمد عقباه.

الهاتف يرن و تضغط على الزر بكل قوة و عنف بل و ضيق كأنما انتظرته يتصل بها.

" قلت مش راجعة مش راجعة تاني".

و تنفطر فى البكاء.

" سنة كاملة صابرة عليك كان نفسي أشوف بعيني .

" شفت وتأكدت وعرفت إنك ظالم وخاين عرفت كل شيء".

و سكتت لتسمعه و الأم تقريبا أدركت ما يحدث.

ابنتها التي سكتت و صبرت و صمدت لحالها ابنتهم التي طالما نصحوها و طلبوا منها أن تترك الذل و الهوان و تأخذ منه موقفا لصالحها أخيرا اتخذت قرارها و رجعت لرشدها أخيرا تتكلم و تواجه و تجيب و تعلم.

لم تصدم الأم و لكنها أحست بزوال قلق من قلبها وغمة كانت تحملها.

منذ سنة و هي تعد لها الأيام و تتمنى عودتها إليهم من جديد.

منذ سنة تريدها أن تقتنع.

منذ سنة تدعو لها بالهداية ، إنها ابنتها و فلذة كبدها و لا تود لها أن ترتكب جرما في حق نفسها فكفاها عذابا فى الدنيا ليعوضها ربها فى الآخرة.

و لكن فجأة و بصوت عال تنادى الأم ابنتها بعدما لاحظت أنها انتهت من المكالمة لتذهب و تنصرف بالخارج.

بقلب الأم أدركت و بقلب الأم حاولت انتشالها.

تعالي ... "رايحة فين"؟.

قالتها برجفة شديدة لتلتفت إلى أمها و تتسمر مكانها لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة.

ارجعي ..راحة تموتي مش هيرجعك لينا مش هنشوفك تاني.."

و بكت الأم (يسرية) بكاء يكاد يمزق قلب ابنتها لتفيق و كأنما كانت بغيبوبة لتجلس بجوار أمها و بحرقة تولول حظها و تعهد أن لا تعود لمعصية أبدا.

تسمرت الأفكار داخلها بعد البكاء و بعد احتضان أمها لها لتعود للكلمة التي قالتها أمها و هي لم تسمع الحوار أو تفهم منه شيئا أو تعلم إلى أين كانت ذاهبة.

عادت إلى اللحظة الأخيرة قبل خروجها عاد إليها ما كانت تود تذكره و هي في الطريق.

عاد إليه منظره و هو يمسك بسكين و يهدد بقتلها إن نطقت بكلمة واحدة.

عاد إليها و هي تسكت من أجل أولادها حتى لا ينتبهوا.

عاد إليها وقد انتشلت نفسها منه بأعجوبة لتهرب منه بمكر لولاه فقد فارقت حياتها.

لو أن القدر لم يمهلها لو لم تستطع الفرار لو لم يغمض عنها عينيه ،ماذا كان مصيرها؟!.

استطاعت بحنكة و بدون أن ينتبه أن تفر من بين يديه بعدما أغلقت عليه باب الشقة لو غير ذلك لكان الكل ينعي فيها أمها.

عادت للوراء... لعمرها الذي فاتها جلست مع نفسها أصرت على أن تسلك طريقا بحياتها يساعدها على اجتياز محنتها.

الوحدة التي تعشقها و تود لو تعود لها.

خصامها للبشر لتستعيد الذكريات و تنتقيها بين نفسها.

العودة لنقطة البداية التي أدمت حياتها.

نقطة البداية التي قررت لها هذه النهاية الأليمة.

تتذكره و تعتب عليه ، تود لو أنه أمها.. جملة واحدة تريد أن تقولها له.

تتمنى لو تسمعه هذه الكلمة و يدركها جيدا فهو الوحيد من يستطيع فهمها.

و لكن مستحيل.

فالقدر قد كتب عليها أن تبقى عنه بعيدة من دونه وحيدة.

بقى لها أن تناجيه فقط دون أن يسمع صوتها.

.....

(إيمان) في سن مراهقتها، ما زالت تلعب مع زميلاتها ما زالت تجرى تفرح تلعب..

لم تفارق الضحكة شفتيها ، بداخلها رشاقة ملحوظة ممزوجة بإحياء الأمل، هي العيون اليقظة على حالها و حال غيرها هى كما يسمونها فراشة لحركتها كحركة الحياة من حولها.

و مع ذلك كانت جادة بأمور حياتها، تذاكر تكتب واجباتها ، تدرك كي تفهم ، تحفظ ما تراه لتحليل ما يدور حولها ، تتمنى أن تكون شيئا عظيما و تصبح أهلا للثقة التي وضعها فيها أهلها و كل من يعرفها.

تذهب إلى سريرها، تتذكره جيدا ، تراه أمام عينيها.. تحدثه بالطريقة التي اعتادت أن تحدثه بها.. تغمض عينيها و تشبك بيديها فوق صدرها .. تنام على جنبها الأيمن و توجه وجهها ناحية الحائط و تفتح باب اللوم على مصراعيه لنفسها أولا ثم له ثانية.

لأول مرة تغضب تنقم عليه، لأول مرة تأباه نفسها.

تتكلم و بصوت عال مع نفسها و تحتمي بمخدتها كأنما تحتضنها.

" نفسي فى كلمة واحدة بس

نفسي أقو لهالك.

نفسي تسمعها منى.

نفسي تشوفني وانا أبكى وبفتكرك.

نفسي تعرف إني محتجالك.

هي مش خيانة إني أحتاجك.

الخيانة إنك تركتني وجرحتني واختليت عنى من زمن".

" نفسي أقولك إنك أنت السبب فى كل اللي إنا فيه.أيوه يا (سمير)

لو ما كنتش حبيتك أو لو مش عرفتك لو ما كنتش اتعذبت بسببك ما كنتش وافت عليه عشان اهرب من عذاب حبك.

عمرك ما حبيتني مع إنك كنت عارف إني بحبك.

لأول مرة بعترف بها من عشرين سنة.كان نفسي فى يوم أكلمك تسمعني أقعد معاك كان نفسي حتى تقول إنك بتكرهني أو تساعدني إنى أنساك.

كان كل يوم بيمر عليه من غيرك بموت فيه كنت بعشق موتى فيك بتمن أصحى واموت عشان أدوق حلاوة عذاب حبك.

بصراحة أدمنتها" .

تعودت الهروب بنفس الطريقة من أحزانها من عمر فات عليها منذ أحبته و اعتبرته حبها الأول و الأخير و عاشت فيه و به و لكنه لم يعد يوما يحبها أو يهتم بها.

ربما هو إنسان فى خيالها ربما هى حقيقة بالنهاية هو مطمح الحب المدفون بقلبها.

تمتنع عن الطعام و الشراب عن النوم عن اليقظة بالأكيد لا ترتاح ولا يهنأ لها

بال بل يكدر صفوها.

تتمنى أيضا الامتناع عن التنفس طالما تضيق الدنيا بحالها.

لن تشكو أبدا ولن يتعالى صياحها فالكل هنا يعلم بحالهم وكفاهم حزنا عليها.

فكفاها أن عيونهم ترثي حالها و كفاها سكوتا و كتمانا.

تنام طول الوقت و تتأوه بأصوات مكتومة عنهم حتى لا يسمعوها و لكنهم يحسونها منها و يدعون لها بأن يصرف الله عنها.

تتعمد أن تبعد عن من حولها حتى لا يزيد قلقهم أو حسرتهم عليها فالحسرة الحقيقية حينما تتسبب لأحد بالحزن عليها لا تريد أن تتسبب في عذاب أحد من أجلها فهي كفيلة أن تعيش فيه وحدها.

تفاصيل حياة، مرة تراها دائما أمام عينيها صوتا وصورة تريد التخلص منها فلا تستطيع، تهاب اللجوء إلى مهدئات عصبية أو أخذ أدوية تضمد جراحها ،تمتنع حتى عن طلب الراحة حيث جاء أوان الخلاص.

خلاص من ذنب ارتكبته فى حياتها و تدركه تماما طال ارتكابه بيديها ..عشرون عاما من العذاب ترتكب خطيئة فى نفسها وغيرها تدفع ثمن سوء اختيارها لشخص لم يقدرها أو حتى يفهم غرضها في الحياة وبرأيها أن تكفير الذنب بالأصل ذنب لا مثيل له.

اختارت طريق شوك للجميع اختارت كى تنقى نفسها من دنس الخطيئة التى آن أوانها.

لأول مرة تكتشف أن التضحية والحب والإخلاص جريمة فى الحياة ترتكب يجب أن يعاقب عليها القانون.

ولكن بقانون البشر الغير آدميين.

لم تكن قد أحبته أو عشقته كما يظن البعض ولم تكن اختارته من بين البشر لسواد عينيه أو لحبه لها بل فقط كانت تريد بارتباطها به أن يساعدها هذا الارتباط فى التخلص من حب قديم بحياتها تسبب لها في عذاب قلبها حيث كان من طرف واحد و لا يجدي بقلبها.

كانت تعيش عذابا يسمونه عذاب الحب الذي لا خلاص منه ظنت أنه سيأتي و يخلصها.

ظلت صامتة ساكنها وهى فى سن صغيرة تستحي أن تبوح بهذا الحب أو أن تعيشه مع من تحب فبأي حق تحب و تعشق و أين من تحبه بل كيف تحكم عليه أنه الحب و هي ما زالت فى سن مراهقتها.

فقد تمكن من قلبها و لكن أين هو؟

و لم تخلى عنها طالما هو حب أمثل؟

حاولت الكتمان ليحدث بقلبها شرخا و ينكسر دون إصلاح.

علمت أن الشخص الذي أحبته يكبرها ما يقارب عشرة أعوام بل هو الآخر محب لأخرى كاد أن يهيئ نفسه بالارتباط بمن أحب لتسمح نفسها بالعذاب الأبدي و ذاتها التي اختارت أن تكون رهنا لقدر لا يد لها فيه.

.....

ما كان بحسبانها أن يشتد ظمؤها ... الحب الذي وهن قلبها بسببه بل يرهن فرحتها و ضحكتها للحياة الحب الذي غير أسلوبها و مجرى حياتها كلها.

تحولت من الفرح و المرح إلى الحزن و الصمت و السكون بل السكوت ليتعجب الجميع و يتساءل عن طفلتها التي عاشت بداخلها لتذهب هباء منثورا.

فما كان منها إلا أن تلعن ما يسمونه حبا حيث أودى بها إلى حفر مظلمة لا تدرك فيها شيئا و لا ترغبها و لكن أحاسيسها الدفينة ما جعلتها تغلبه بكل قواها.

يمر يوم و يومان و أهلها يبذلون كل ما بوسعهم لتقديم الراحة لها و لا يتكلمون بأي شيء يخصها سوى أنهم و لكنهم حاولوا دائما أن يذكروها بالثبات على موقفها فيأتي منهم سؤال بسخرية ضاحكة.

ناوية الرجوع ؟"

نعم هم لا يرغبون رجوعها و من سترجع أصلا ينظرون إليها ليست ابنتهم التي يعرفونها ما عاد فيها شيء يذكر،تقريبا، شبه منتهية و هي أيضا لا تعلم.

أين جمالها؟

أين ضحكتها و بسمتها؟

أين إيمان أصلا ؟

فترد و تقول:

لو رجعت موتوني أحسن

" المفروض كنت أخدتي القرا ر ده من زمان

آخده ؟ ...والأولاد ..بيتي .. حياتي كانت صعبه أوى

صعبه أوى فعلا."

و تعود لتنفطر في البكاء ليدركوا ما فعلوه و يصمتوا.

و لكن يفهم أخوها معنى دموعها.

" أولادك يعيشوا بكى أو من غيرك.

أولادك لهم ربنا

كنت لازم أخليهم يستعدوا لخروجي يرضوا بالأمر الواقع كنت لازم أستأذنهم.

يعنى إيه.

يعنى قبل ما اخرج كل يوم كنت بوعيهم كنت كل يوم أقولهم.

حاولوا تعتمدوا على نفسكم حاولوا تتعلموا كل شيء حبوا بعض وخليكم مع بعض بكره ييجي اليوم اللي مش تلاقوني معاكم فيه.

واهو فعلا اليوم ده جه."

من يسمع كلامها يتحسر قلبه و لا يستطيع الرد يعرفون تضحيتها يعرفون ما قدمته في عمرها يعرفون أنه قدر مكتوب لها أدركوا جميعا أنها تريد أن تتكلم و لا تسكت ليحور أخوها الموضوع و يغيره..

"ما فيش حاجة حلوة.؟"

" عصير مثلا؟

تفهم و تحاول العدول عما هي فيه و تكتم بداخلها لتعايش واقعهم حتى لا تضع الحسرة بقلوبهم أكثر من ذلك.

تمر الأيام و تخشى أن يأتيها أحد أبنائها بالرغم من شوقها الشديد إليهم تخشى أن يأتوها و يطلبوا منها العودة و الرجوع و تدعو ربها ألا يحدث ذلك أبدا بل تدعوه أن يثبت قلبها على ما عزمت عليه من عدم الرجوع.

بالفعل تنتظر و تنتظر ليطمئن قلبها فالظاهر أن أباهم قام بهذه المهمة على أكمل وجه أملا على أن تأتيهم إذا لم يذهبوا إليها.

"هو بره أهه.

بحاول طرده مش عاوزه يدخل ....هو أصلا جاي يعمل ايه؟".

تنظر بخوف شديد و قلق إلى أخيها وهو يقول ذلك كأنما تلومه أن سمح له بالدخول.

يقرأ ما فى عينيها و يفهمه ليرد

صمم على الدخول "و الله كنت هاضربه بس راعيت سنه وصلة القرابة اللي بيننا".

"لو مش عاوزه تقابليه بلاش دى حاجة ترجعلك.

أنا قلتله ما فيش رجوع صمم يسمعها منك.

بس أقولك.

أبوك قاعد معاه وفيه واحد صاحبه كمان سيبوهم يتكلموا لما يطلبوك ادخلي وقولي كل اللي نفسك فيه."

اطمأنت نفسها لكلامه فهي تريد من يقف بجانبها و يزيدها حماسا و لا يتركها أحد لحالها لتقرر ربما ستخطئ القرار و لا يأتي لصالحها.

الأم صوتها يعلو ... الأب صوته يدوي فى الدار ربما هم فى شجار معه .. حالتها النفسية لا تسمح أن تحدد ما يحدث و ما يقال فهي ما إن علمت بقدومه حتى زاد اضطرابها و قلقها و لا تستوعب.

لا تود أن تراه و لا تود سماع صوته.. لا تريد أن تذكره فبالرغم من أنها عاشت

مع أهلها أياما معدودة تعدها عمرا كاملا بل جديدا يختلف تماما عن سابقه.

عمرا تعيشه دون قيد أو أسر أو حجر عليها من أحد.. جاء يذكرها بما كانت فيه معه.. جاء يزيدها علة على علتها... نعم صوته تسمعه.. ما هذه الضوضاء؟ هل يطالب برؤيتها ؟ نعم هى تسمعه.

صوته يعلو و يعلو لتميزه عن باقي الأصوات.. يجب الخروج لحسم الموقف يجب أن توقفه عند حده، يجب أن تصدمه و تعطيه الخبر اليقين.

قد جاء حتما ينادي بعودتها قد جاء ينادي زوجته يطالب بها ينادي أم أولاده فهي ما زالت على ذمته و لا يفرقهما أحد.

هى تتوجع و تتمنى فى الحين لو كانت صمّاء.

محتاج أم أولادي

ولادك عايشين هم ولادك مش ولادنا.

يا ناس بقولكم مراتى وولادى."

الكلمة وجعتها.... مراتك ... أولادك... و خطت للأمام خطوتين لتفكر أن تعود و لكن حاولت أن تواصل.

فى الحجرة المجاورة كانت تجلس و تسمع كل شيء و الآن هي أمامه تحاول أن ترد عليه.

الجميع يسكت... ينظرون إليها هي صاحبة القرار جاءت إليه ليسمعه و تسمعهم إياه.

لم تلق السلام فقد تستشيط غضبا و تود لو تنقض عليه تضربه تخنقه تخلص عليه و لكنها استجمعت كل قواها للتمسك بأعصابها و جلست على

الكرسي المقابل له في حين هو يجلس على الأرض لتراه كأنما ينفش ريشه و لا يهتم حتى لقدومها أو يهتز لها .

تراه يجلس على الأرض تراه لا يبالى ليست عليه علامات الحزن ترى فيه ثقة زائدة و اطمئنان بالغ.

ينظر إليها نظرة شماتة أو تهديد لها بأن يأخذ حقه منها.. يقول لها ستعودين و ستدفعين الثمن غاليا.

هذا ما قرأته بداخله.

و هذا ما استوعبته منه.

يذهب عنها الخوف قليلا ربما لقراءة ما بداخله و لم تعد تخدع فيه.

تجلس أمامه و لم تخف أو ترتجف كعادتها ما عاد شبحا يخيفها اليوم تحررت منه و من خوفها للأبد.

كانت تعيش تحت أمره سمعا و طاعة ... هي الآن فى حل منه... هي الآن تقاوم ما فى صدرها .. هي تجلس أمامه دون أن تنطق بكلمة واحدة... أحد الجالسين يشير إليها أن تتكلم لتشير هي بأنّ الوقت لا يحين.

أعينهم تنتقل إلى عين بعضهم لا يتعجبون منها فهم يعرفون عقلانيتها فربما أرادت أن تستفزه بسكوتها أو تتركه يخرج كل ما عنده.

" إنت يا أستاذ .... نطق أحدهم.

طلباتك"؟

نطقها بكل دقة بعدما تأكد أن ما بداخلها لن ينهار وستسنده بردها.

" عاوز مراتى وأ ولادى"

تقاطعه الأم و بكل حدة و بصوت عال.

"إانت مش عاوز مراتك إنت عاوز عقد البيت"أولادك معاك .

صعقته هذه الكلمة و انتفض ليهب واقفا إذ هم بالرد ليتردد و يسكت و لا يعلم السبب.

ربما لأنه أدرك نظراتها رآها تقرأه و تتمنى لو تمسك عليه غلطة وهو حذر تماما من أن يكشف أمره.

جلس مكانه و بكل هدوء.

"مراتى وولادى"!

هذه الكلمة لا يردد غيرها كأنما حفظها عن ظهر قلب أو أملاها أحدهم عليه كأنما حبكها جيدا أو يقصد أن يداري بها خداعه لمن حوله.

أنا عاوز مراتى ترجع لولادها و معاها عقد البيت طبعا.

الكلمة أراحتها جيدا هذا ما أرادت أن تصل إليه ما أرادت أن يقوله لتأخذها حجة عليه.

يرد أحد الحاضرين بعد ما أجبروا الأم أن تترك الجلسة و تنصرف.

"يعنى فعلا زى ما اتقال".

" هى مسألة عقد بيت مش مسألة مراتك.

لا.. ما هى معتقدة طالما معاها عقد البت بتلوى دراعى أو ملكت الدنيا وما فيها ..هى فعلا غلطتي وانا جيت أصلحها."

كل ذلك وهى تسكت و لا ترد.

تعلم أن سكوتها سيزيد من ضعف عزيمته و البقية منه تأتى.

تعلم طبيعته التي تهدد وتتوعد وتخلف و لا تفى و تريد أن تلعب على هذا الوتر الحساس لإدانته.

من هذه السيدة ؟

ما مدى صمودها؟

ماذا تريد؟

هل هي مخطئة؟

هل هي مدانة؟

هل.. هل... و هل؟

تحمل الإجابة كثيرا.

برغم أن الجالسين علموا بنيتها برغم أنها تدرك أن المصالح الشخصية تفجر دائما النوايا الحسنة من دونها.

كل فرد حينها يريد أن يأخذ قسطا وافرا من الانتقام من غريمه كل منهم يقول كلمته كل منهم ينفض عن كاهله ما يتعبه... نسوا تماما وجودها من شدة صمتها حتى خيل إليها أنما ربما نسيت نفسها.

وحل الصمت الرهيب فجأة عليهم جميعا سمعوها تتكلم تنطق تقول تبوح ليس بهدوء بل يدوّي صوتها بالمكان كله ليزلزل كيانهم حينها.

" أنا مستعدة أرجع بس بشرط " .

التف حولها الحاضرون لأجلها

اهتموا لأمرها ، استعجلوا كلامها ربما هم خائفون من قرارها أو خائفون أن تهتز أو تهز كيانها.

" أنا مستعدة أرجع بس بشرط.

طلقني..

و اخرج من البيت ما تقعدش فيه " .

قالتها و هي تعلم بعدم انصياعه لطلبها بل تحاول أن تذكره بأنه بيتها و ما عاد يملك منه شيئا أو ربما تحاول أن تفتش في ذاته و تخرج ما بها من إثم آخر دفين بداخله تجاهها فمن الصعب بنظرها أن يتغير ما بين يوم و ليلة و يعود إلى رشده طواعية..

" تتجوز تعيش ما تتجوزش المهم تخرج وتسيبنى طالما يهمك مصلحة أولادك.

البيت اللي انت خنتني فيه وعاوز تبيعه ده بيتى إنت كتبته بإسمى فاكر إمتى ؟

مقابل انك تقعد مع حبيبة القلب مقابل إنك تتجوز مقابل إنى ما اجرحهاش وهى قاعدة معاك.

إنت قعدت و اتهنيت بيها و اتفقتوا على كل حاجة فاضل إيه ؟

جواز؟

اتجوزها وعيش وسيبنى أعيش أنا وولادى فى بيتى وبيتهم."

لم يجد ما يرد به فاق و فهم الغلطة التى ارتكبها.

علمت به حيث لم يستعد الرد حيث واصلت كلامها و بكل ثقة.

" بأي حق كنت بتبيع البيت؟

بتبيعه ليه وعشان مين؟

عشان السنيورة.

طيب ليه احنا أصلا اللى ندفع تمن جوازتك؟

ليه ما بقتش راجل قدمها و جهزتلها المهر؟

لحد إمتى هتفضل تعيش على حسابى و حساب ولادى؟

فاكر أنا عملت البيت ده ازاى؟

من دمي و دم ولادى استحملت كتير و استحملت العيشة معاك وفرت و دبرت و بنيت و انت و لا هنا و لا حسيت.

و دالوقت جاى تبيعه عالجاهز.

حسبنا الله و نعم الوكيل ".

تتمنى لو يسمعها الجميع لو يسمعها كلُّ الخلق تريد شهودا على ذلك و الله شهيد تنطق من قلبها تنطق بكل قوة و حزم هذه المرة لا تخاف و لا تخشى فى الحق لومة لائم.

تود لو تستطيع مواصلة الكلام وصلت لذروة انفعالها وصل صوتها بعيدا لا تعلم مداه لم تعرف ما مكثت من زمن فى قولها أو فى بوحها و لكنها أدركت أن الصوت يدوي في الأرجاء و أن الساعة قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل و أنه الوقت المناسب لقول كل شيء.

تقرأ عينيه حتى مع شدة انفعالها تنتبه له و لا تتجاهله لتعرف ردة فعله، تواصل الكلام و تصمم على خياراتها و هو يصمم على طلبه فلا خيار أمامها دونه.

هل هو العناد حينها أم الإرادة

كل ذلك يجزم بعدم عودتها و هي لا تريد التملك لا تريد البيت لا تريد البيت لا تريد أى شيء سوى أن تحافظ على ما تعبت لأجل أن تفعله من أجل أولادها. تصر و لا تعاند بل هى تقيم إرادتها.

تريد منه فقط أن يتنازل و يردها إلى بيتها دون أن يعيش هو فيه فهو الجاني على نفسه ثم عليه.

تفجر طامة كبرى في جلستها تقنع كل الحضور بطلبها هو لم يعد زوجها تذكره و تعلم و يعلم هو تماما أنه بالفعل رمى عليها يمينا و لثالث مرة فهي ما عادت تجوز له فيجب أن يخاف فيها الله و يبتعد عنها.

منذ عام تقريبا منذ سنة مما يعدون ،فى يوم مشئوم لا تحب أن تتذكره إلا للضرورة قام برمي يمين الطلاق لثالث مرة عليها أمام من عشقها حينما همّت بطردها من بيتها بعد أن وجدتهما هي و هو يجلسان و علمت أنهما جلسا من مدة طويلة لتأخذ موقفا منها و منه فما منه لها إلا الإهانة و السب و الضرب و الدفاع عن الأخرى مما أذن بإزاحة الستار عن علاقتهما و كشف أمرهما أمام الجميع و أمام الله و أذن الله بالتفريق بينهما عقابا له على عدم عدوله عن خطيئته التي ارتكبها فى حقها و حق الله أولا ثم حق أهل بيته كلهم.

فبأي حق يقول زوجتي و بأي حق يطال بها و بأي حق يأتي في الأصل إلى هنا.

يريد أن يعيد ماضيه القذر يريد أن يوهمها أنها ما زالت زوجته كما وهمها من قبل يريدها أن تتخلى عن مبادئها يريدها أن تتهاون و لو حدث فما المقابل ؟ يحتج دوما أنه لم ينو طلاقها رمى يمينه فى حالة غضب و كفر عن يمينه و ردها.

ربما بالأول صدقته أما الآن ، تعلن تماما أنها ظلمت نفسها ظلمت مبادئها ظلمت أولادها ظلمت البشرية كلها اشترته و باعت نفسها.

الله سبحانه و تعالى جعلها ترى بينة جعلها ترى رؤيا تعدل بها عن حياتها كلها قد استجابت و لم تعد للسقوط فى الهاوية مرة أخرى.

لم يكن ذاك هو الحوار كافيا و لم يكن هذا خيارها الوحيد أملت عليه من الخيارات كثيرا ليرفض خياراتها واحدا تلو الآخر و يزعم أنه يريد أن لتنفض الجلسة بطلب واحد منها له ليته يستجيب.

أن يعود إلى بيته بل إلى رشده و يعصم نفسه من خطيئة ارتكبها ليتوب عنها و يرضى الله عنه و يدعو ربه فإن رضي استجاب لدعائه و سيعود كل شيء على ما يرام.

و انفضت الجلسة على لا شيء و لكنها ارتاحت قليلا من أولى خطواتها لإعادة حساباتها مع نفسها.

تأتيها الليالي السابقة من عمرها تلاحقها و تطاردها و تساومها أن تعود إليها في اليقظة و المنام و لكن حينما تأتيها تراها كابوسا لا تطيقه لتختنق و تعود إلى حالها بكافة الطرق.

يدعوها عقلها أن تعود للوراء حيث لم تكن معه أو تعرفه.

عاشت سبعة عشر عاما من عمرها طفولة و مراهقة جميلة يانعة كزهرة يشتم رحيقها ، أحبت نفسها كثيرا و أعجبت بشخصيتها أحبت فى شخصيتها المقاومة و الإرادة القوية تشتاق دوما لهذه الشخصية البسيطة المرحة كرهت شخصيتها بعد معرفته كانت معكوسة تماما تود لو لم تكن تعرفها.

أسوأ أيام حياتها عاشت بها مع نفسها ليته ما عرفها ليتها ما عرفته أو رضيت به من الأول ليتها ردته حينما تقدم لها يربطه بها صلة قرابة من الدرجة الأولى يكبرها بتسعة أعوام لم تدرك فارق السن بينه و بينها و لم يؤثر فيها... فقد رأت

فى سنه نضجا يليق بها... هي فى الصف الثالث الثانوي و آخر العام تتمنى لو تلتحق بكلية لتكمل أهدافها بعد المجموع العالي الذي يشرفها أمام أهلها. لم تكن تعلم أنه سيطوي صفحة نجاحها بصفحته التى تلتصق بها خاصة ما مرت به من مشاكل رفضا لخطبته لها.

المؤهل المتوسط كان عائقا و ليس كبيرا بقدر ما كان يفتقر إلى الماديات التي تؤهله للارتباط بها أو للزواج مما كان سببا فى اعتراض أهلها ربما يأتيها الأفضل و الأحسن منه بعد نجاحها.

أما هي فبالنسبة له فرصة تكتمل عليه من كل الجهات لمس فيها من الطيبة و الانصياع لأوامره ما شجعه على اعتراض طريق رفض أهلها و أخذها مانعا أو حصنا منيعا منه للضغط عليهم لقبوله فى حياتهم كأمر واقع و الاستسلام له دون وعى منها ما يحدث و لا تعلم أنه استغلال لها إلا بعد فوات الأوان.

هى تنتظر المجموع و الشهادة الثانوية و تذاكر بأقصى جهدها فلا تعبأ أو تهتم بالمشاكل التي حولها.

ربما رضيت به.

بما وافقت لما يجمعهما من صفة العناد و الاستبداد برأيهما طالما يعتقدان أنه سليم أو فى صالحهما و شجعها وجوده فى حياتها على ذلك.

زاد الرفض و المواجهة منه حين انتهاء السنة الدراسية و حين حصولها على مجموع يؤهلها للجامعة و هو يخشى أن تتخلى عنه لأنه حاصل على مؤهل متوسط و لكنها تطمئنه بأن كل شيء على ما يرام و هي تريده لحاله ليزيد تصميمه عليها و يزيد الرفض من أهلها و لكنها تصمم و هو معها على إتمام مراسم الخطوبة رغما عن الجميع و رغما عن المشاكل التي أحاطت بهما.

الحب أعمى كما يقولون لم يكن بينهما تناسقا ، لم يكن من يستحق التضحية و لكنها راعت فيه ربها و لم تكن تعلم أن رأي الأب له أهمية كبرى أو أنه يرى المستقبل بعين لم ترها هي.

و اليوم يتأكد لها ذلك.

تود لم تعد الأيام و تختار على خير أبيها وتنصاع لأوامره.

اليوم علمت كل ذلك اليوم كل صوت يبوح فيها بأن يسامحها أبوها

اليوم تنظر إلى أبيها و كأنها تعده بأن تثأر له من نفسها و ممن يسمى زوجها فقد عاشت عمرها لتعتبره دينا عليها و لا بد من الوفاء به.

اليوم تتذكر أمها التي من شجعتها وافقت عليه وقفت بطريق أبيها ظنا منها أنه يقف بطريق سعادتها اليوم تعي الدرس جيدا و تتمنى لو يعود الزمان.

اليوم يتحسر و الأب على حالها و قلب أمها المحروق لا يطفئه إلا أن تستطع الانتقام منه بالأمس أمها ترحب به و تسانده و اليوم كرهها له يزيد عن الحد و تضطر أن تطرده من بيتها.

أصبح يتوعد و يهدد و يتخبط يمينا و يسارا و يظهر نواياه الحسنة ناحيتها.

اليوم يقول بصوت عال.

" بنتك أهه عندك هوريها لا هتكون مع المطلقة و لا المتجوزة شوفى مين هيجيب لك ورقتك شوفى مين هيطلقك."

و وسط هذا الصراع الأليم تجد نفسها مشفقة على حالها و حاله و لكن صوتها العالي يتمرد على هذه الشفقة ليدير وجهه و يستمع إليها بجدية ربما أيقظه للحظات.

" شوف أنا لا هرجع ولا انت هتاخد العقد ولا حتى هتتجوز ولا هتقدر تعيش من غيرى أو عالأقل لأنى مش راضية عنك ولا ربنا كمان راضى عنك".

همّ بالانصراف ليظهر أنه غير مبال بالكلام لتذهب إليه و لا تعلم من أين أتتها القوة لتواصل كلامها و هي تمسك بذراعه لا تخشاه و لا تخاف.

" روح ارجع بيتك افتكر ربنا اللي وقف جنبنا كتير صلى واستغفر و اطلب منه يصرف عنك كل أذى و كل شر قبل ما تصلي تب لربنا من كل طريق فرق بيننا مش عشان أرجع ليك بل عشان ربنا يكرمك في اللي الجاي من حياتك ويعوضك بالأفضل.."

يبدو أن كلماتها هزته و لكن عناده السليط جعله أن يقاوم ليهز رأسه و يبتسم كأنما يسخر من كلامها ليبين قوته.

يكفيها أنه ما هدّدَ و ما وعد ثانية يكفيها أن أعطته درسا لا ينسى ربما يفكر و يتأنى فى الأمر و ربما يعود لضلاله و يتمادى فيه بالنهاية أنه أدرك وعدها و أنه ليس سهلا عليها أن تعود إليه ثانية.

الكل يصرخ و الكل يتأذى من موقفه و هو لا يبالي لا يستجيب إلا لصرخة قلبه الخاطئة صرخة واحدة بداخله صرخة عالم خطيئته عالم اختاره هو بنفسه و لم يستطع أن يتخلى عنه عالم سيدة أخرى بحياته الضائعة بسببها هذه السيدة تدعى (سارة) ملكته من الدنيا كلها نسي بها من يحبونه كلهم و من يحبهم.

نسي الأخ الصاحب الصديق الجيران نسي كل شيء ناهيك عن نسيان أم أولاده و أولادها أيضا.

تفرح (سارة)للحال الذي تبدل تماما بدخولها فى حياته تخدعه بقولها دائما له (ستظل رأسي مرفوعة تباهيا بارتباطي بك) يتباهى هو دائما بهذه الجملة أمام

معارضيه فهذا يكفيه منها مما يدل على قلة عقله.

تعده بأن لا تتركه و لا تتخلى عنه أبدا مهما حدث و أنها سترد عمن يلومونها و يلومونه.

هي له كل شيء فى الحياة و هو لها كل شيء ، عيناها لا ترى غيره و عيناه و قلبه الأعمى أصبح لا يرى غيرها.

كانت حياتها من قبل هباء منثورا حياة بلا طعم أو لون كما تقول له ليصدقها المعنى الوحيد في حياتها هو وجوده الآن فيها لا تذكر ما كان منها إلا الأسى و الهم و الحزن.

كتبت لها الحياة أن ترتبط بزوجها لتنجب منه ثلاثة أبناء بنتين و ولدها الأكبر شاءت لها الأقدار أن تصبر على مرضه مقابل ما يمتلكه من أموال و عقارات لم يكفيها أمواله التي اختارته هي و أبوها بل كفاها أن تخرب بيوتا و تفرق العائلات بعد موت زوجها بعد زواج طال عشرة أعوام.

كأنما انتظرت هذا الموت لتشفي غليلها و لكن تشفيه في من ؟ في جارتها نعم جارتها و زوج جارتها لتعيش على سعادة من جاورتها دون أي إبداء إيذاء لها.

لم يتوقع ما حدث و لم يكن ليصدق أبدا فيها إلا إذا رأته عينها.

أتعقل أن تكون الخيانة بهذا الشكل و هذا المنظر بل الجراءة التي امتلكتهما بمرأى و مسمع من الناس دون حياء يذكر.

ليس هذا بالأمر الهين أو السهل عليها و هذا ربما ما أضعف مقاومتها صدمت بل فوجئت و لم تستطع فعل شيء.

كان هناك ضحايا كثيرون قبله كانوا و ما زالوا و لكن اختلفوا عنه في أنهم لم يدفعوا ثمن التضحية هو الوحيد الذي ضحى و دفع الثمن هو الوحيد الذي

رضي بأن يضيع على يدها و رضي بالأمر و أشهر رضاه فرحا بأنه فاز بها.

دائما ما كانت تحذره زوجة و تتمنى لو يتلاشى أمرها و يبتعد عنها و هو لا ينصاع ليتهما بالغيرة و أنها فرصة ربما انتظرها منذ زمن كان يقول لها مما قتل من نفسيتها أنه ما وجد لها نقطة ضعف أبدا طيلة حياتها ربما هي نقطة ضعفها ربما وجد ضالته فيها ربما هو يحب العند و قد حان وقت اللعب بنقطة ضعفها و ممارسة عناده لتسكت هي و تدعو ربها أن يصرف عنه شرها و شر نفسه. هي التي كان يقول لها عن زوجته دائما بأنها الملاك الطاهر البريء و كل ما قيل عنها مزيف و قد تأكد من ذلك بحبها له.

هو من نعت كل من ينصحه و يذكرها بسوء أنه يطمع فيها فلا يترك فرصة لأحد حتى يعالج أمره.

هو الآن من يحاول أن ينكر كل ما قاله عنها من سوء بعد أن وقع فى الفخ منها ليبرر فعلته بأنه ما وعى إلا بعد فوات الأوان و بعد الضياع.

تبكي على حاله و تشيعه في أمره دون مبالاة أو دون جدوى لتؤكد له أنه كان سينالها بإشارة إصبع كسابقيه ليهز رأسه ندما على ما فات نعم ظن منها أنها ملاكه.. لم يمسها أحد أو لم يستمتع بها غيره ... ليكشف فى النهاية أنها ليست إلا وهما أو خداعا داخله و لكنه كشف ذلك بعد فوات الأوان و لأنه يعتبرها أمرا واقعا فبالضرورة لا يستطيع الابتعاد عنها و لكنه يحاول أن ينكر علاقته أمام من حوله لما طال به من هذه العلاقة من خزي و عار.

(سارة) عشيقته أو زوجته فقد رفضت منه الزواج و استمرت فى علاقتها غير الشرعية منه سرا طمعا في الميراث و المعاش الحكومي الكبير عوضا عن زوجها و هو ساعدها في ذلك الكتمان بعدما كان يطلبها بعلانية منها ربما جد فى الأمر راحته و بعده عن أي تكاليف مادية أو ربما وجد في الأمر لذة فقد أعطته ما

اشتهته نفسه منها و هذا ما يكفيه . و لكن هذه العلاقة بها سر غامض عن العيون و عن الناس فكلما يبحثون عن الحقيقة كلما يجدونها دائرة مغلقة ليبتعدوا حتى عن الحديث فيها فهم حريصون كل الحرص أن لا يكون فيها ثالث بينهما.

يقسم و يحلف دائما على انتهاء العلاقة و لكنها تتعجب دوما لهذا القسم كلما أقسم كلما كرهته لأنها تعلم بكذبه تماما فهي لا تنسى كذبه عليها لدرجة أنه فى كل مرة كان يخدعها و تواجهه يمسك بالمصحف و يقسم بالله أنه بريء من تهمتها لتضطر إلى تصديقه و هي تعلم تماما بكذبه.

إلى أي حد وصلت علاقتهما لتجعله يفكر فى بيع بيتها و بيت أولادها إلى أي حد يخدعها ببيع هذا البيت و هو من وقع من سنة كاملة عقدا باسمها ليريح قلبها من ناحية الزواج الجديد و أن لا تعترض عليه و تتركهما لينعما ببعضها.

استسلمت ظنا منا أنه سيعود إلى رشده و أنه سيفيق و يعلم أنه مخطئ بحق نفسه و بحقها و سيعود إلى رشده.

كانت تظن أن الأخرى ستتخلى عنه حينما تعلم بأمر البيت و لكنها استمرت فى عنادها معها لتوصله إلى نقطة كانت النهاية بالنسبة لهما.

زوجها الخائن يشرع فى بيع بيتها الذي كتبه باسمها استنادا على عقده القديم قبل أن يبعه لها و استند على ذلك بالكتمان و السرية التامة خشية أن تقف في طريقه أو أن تظهر العقد الذي أوهمته أنها تخلصت منه بعد أن كتبه بإلقائه فى سلة القمامة و لكنه لم يصدقها.

أخفته تماما عن عينيها وعن متناول يده لحين أن تأتي الفرصة و بالفعل حدث ما توقعته لتظهر هذا العقد في الوقت المناسب فلولاه ما علمت الآن مصيرها و مصير أولادها.

بالرغم أنه كتبه لها بإرادته إلا أنه اكتشف أنه ارتكب غلطة عمره حيث يظن أنه قد ساعدها و شجعها على الطلاق منه وجود هذا العقد فهو نقطة خلاف بينهما و يظن أنه صغير الشأن و الناس تلومه على ذلك و تشجعه بأن يتصرف فى الأمر خاصة أن الزوجة على وشك توثيقه فى المحكمة و ربما يطرد منه مما جعله يصاب بإحباط و الخوف من القادم معا و مما جعل الزوجة تثق فى نفسها جيدا و تثق في حالها فلطالما عقد البيت نقطة صراع بينهما بالفعل زيجته من الأخرى ستتوقف تماما أو ستفشل و هي بعيدة عنه في بيت أبيها.

نعم أبوها و أمها التي كان يزجرها باسمهما و يهددها بأنهم لن يتحملوها هم الآن من يقفوا بجوارها و هم من يعينونها على مواصلة حياتها بل و يعالجون أمرها بالمرور من هذه الحالة النفسية المستعصية.

لا تفكر في شيء تحاول أن تتفرغ تماما لتهيئ للمقاومة القادمة، حملة شنيعة عليها، بالرغم من طلاقها و انفصالها عنه تماما إلا أن الإلحاح يزيد عليها ممن حولها لوجود مبرر أو الرجوع إلى دار إفتاء فالغاية تبرر الوسيلة و الدين يسر لا عسر و هناك حالات كثيرة مثلها و عادت آمنة مطمئنة و مع أن الأمر صعب إلا أنها ما زالت تتمسك بمبادئها.

هناك أقاويل حول طلاقها و ضرورة رجوعها منهم من يقول أن عقد البيت هو السبب طالما لها الحق و امتلكته و هي تريد أن تطرده من بيتها بعد التوثيق أو ربما بحضانة أطفالها و منهم من يقول أنها لم تستطع أن تتحمل المسؤولية فهربت و منهم من يقول أنها لم تصبر و لن تتحمل أخرى فى حياتها و منهم من يقول أنها خدعته و أجبرته على الطلاق و أوهمته على حد زعمه بأن الطلقة الثالثة واقعه لتتخلص منه.

لا تفتح فمها بأي كلمة و لا ترد غيبتها هي صاحبة مبدأ و تتمسك به في النهاية و

لن تسمح لأقاويل غيرها أن تودي بها.

هو من حطم بالفعل هذه الأيام و ذهب عقله سدى، لا يستطيع أن يفكر أو يعالج أمرا.

اكتشف بعد الطلاق أنه كان أعمى و يحاول أن يتذكر تماما ليجد نفسه أنه ما عزم على توقيع هذا الطلاق.

تناديها الأم بصوت عال يربكها و يخيفها و تظن أن في الأمر شيئا يخيفها لكن ظنها فى محله حينما تلبي نداء أمها لتمد يدها و تعطيها إعلان من المحكمة و تطلب منها أن تقرأه عليها لتقرأه و تخبرها بما فيه لتنطق الأم و تدعو عليه بقولها (حسبنا الله ونعم الوكيل) لتهدئ من روعها و تخبرها أن الأمر ليس فيه شيئا ضد مصلحتها و أنها محاولة روتينية منه لإعادتها إلى عصمته هذه المرة و ليس فقط إلى بيتها نعم فقدها للنهاية فقد بيته أولا و أولاده و مستقبلهم بين أب و أم مستقرين ثم فقدها هي للأبد بعدما وثق الثلاث طلقات في قسيمة بالمحكمة ليكتشف خطأه و يريد أن يصلحه بعدما شاورها لترفض تماما و بعدما أشار محام رفع له هذه الدعوى.

نعم يجب أن تمتثل و تقف أمام القضاء نعم يجب أن تنكر وقوع الطلقة الثالثة عليها يجب أن تكذب و تدين المأذون أمام القاضي أنه أخطأ فى التسجيل.

هل يستحق منها ذلك هل تخون ربها أن تخون نفسها أم تخون قانون البشرية أم تخون القسيمة التي كتب فيها (ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره.(

أين عقله قد ذهب سدى مع الأخرى الآن يبع دينه يبع مبادئه يبع دينه يبيع كلام الله ما الذى أوصله إلى ذلك ؟

أليس عناده

أليست خيانته ؟

إحساسه أنه رجل البيت و يتمرد بل رجل العالم حين وجد أخرى سيأتي هذا الإحساس و يخلصه حتما مما هو فيه.

اللهم لا شماتة يشرب من نفس الكأس و يتجرعها و يأتيه الموت من كل مكان و يبحث عن مخرج فلا مفر.

اليوم كما تدين تدان.

(اليوم لك وغدا عليك).

يظن(أشرف) أنه رجلا عن باقي الرجال كان يظن أنه جبروتا، كان يظن بضعف من يملك أمره و تسمى زوجته ليلعب و يتلاعب بها لتلقنه بالآخر درسا يتعلم هو منه و يتعلم منه غيره لأن لا يسلك طريقه أحد و الآن تظن أن تعليم الدرس قد وصل و وصل بإتقان بالرغم من أنه جاء على حساب أمور كثيرة إلا أنها تقول دائما (قدر الله و ما شاء فعل)

صوتها يصرخ و يقول كلمة حق لا تتمرد و لكنها تتعود حياتها الجديدة المفاجئة و تعود عليها الجميع تحاول أم تنتبه لحالها و تغير من نفسها تغير من طبعها إلى الأحسن تغير من شكلها تحاول أن تسلك طريقا جديدا تفاجئ الجميع عكس ما يتوقعون وضعت فى حسابها الأول سبب مأساتها لا تقول لنفسها أبدا قد فات الأوان فربما تعلمها هذه المحنة أن تنتبه لحالها.

لا تنكر أبدا أنها السبب الرئيسي في أن ضيعت بل أهملت نفسها طوال عمرها تنتبه إليه هو تنظر إليه على أنه رسالة في حياتها يجب أن تؤديها على أكمل وجه و تحاول جاهدة أن يكون بين الناس كبيرا تبذل كل ما بوسعها على أن تحقق ذلك وهو بدوره لا يدرك ما تفعله أو لا يهمه الأمر أو يصر على تجاهل ما تفعله

لأجله فهذه صفة الرجال الذين تعودوا من أن يحبوهم نساؤهم و يهتموا بهم فمنهم من ينكر فضلهم و منهم من يضعونهم تاجا فوق رؤوسهم.

هو من أنكر فضلها و لكنها كانت تعطي ولا تنتظر منه المقابل.

تود لو يرضى عليها فقط تود أن تراه فى أحسن صورة و تتباهى به عن كل الرجال.

تريد أن تمسح صورته القديمة عن أهلها و تحسن وضعه و وضعها أمامهم لتثبت أنه جدير بها و هو جدير لها باختياره كزوج.

اختارته رغم رضا أهلها وقفت أمامهم و اعترضت طريقهم لتتمسك به و يتمسك بها.

بالرغم من أن الظروف و الحياة الاجتماعية و المادية حالت دون راحتهم ألا أنهم في بداية حياتهم تغلبوا عليها ليعشوا راضين ساعين إلى التقدم للعيش فى أحسن حال.

تقدم لخطبتها، كانت في السابعة عشر من عمرها بالصف الثالث الثانوي العام، لم تطمح كثيرا فى كليات القمة لأسباب كثيرة فهي أولا بالقسم الأدبي و يكفيها مجموع يؤهلها لأحد الكليات التربوية هذا كان طموحها و لم تطمح أو تطمع فى أكثر من ذلك.

برغم حصوله على مؤهل متوسط برغم أنها كانت تقتنع به تماما على الرغم من انتظار الجميع أن لا يتم هذا الزواج إذا لم يتم التوافق الدراسي فقد كانت الظروف وقتها لا تسمح بهذا النوع من الارتباط فالمؤهل الدراسي كان عاملا رئيسيا في الارتباط بين أى اثنين لتأخذ كل فتاة من يستحقها و لا يأخذ الشاب إلا من تناسبه.

ما نسيت أبدا فترة طفولتها و خضوعها إجباريا ممن حولها بضرورة تعليمها بل لا يكتفون بذلك يجب عليها أن تكون من الأوائل يرون في مستواها استعدادا أن تكون أفضل مستقبلا كانوا يحمسونها و يضغطون عليها حينا آخر لدرجة حرمتها أن تعامل كما يعامل الأطفال فى سنها.

لا تنسى أنها كانت تعاقب حين تشرع فى اللعب كالباقي من الأطفال.

ذاكري..

احفظي...

"ما فيش لعب "

حتى النوم كانت تحرم منه لأجل مذاكرتها كانوا يلقبونها دائما بكلمة أستاذة ليزيد حماسها وحبها و رغبتها في التعليم.

تعرف واجباتها دائما لم تتذكر يوما أن تدخل أحد في إيقاظها من نومها لذهابها للمدرسة.

عرفت ما هو مطلوب منها لتقوم به دائما كأنها تعيش فى معسكر أو في جيش تلقت الأوامر فى الأول لتمشي عليها طيلة حياتها.

الكل مسرور بها و هي ليست مغرورة بذلك حيث لم تجتهد كثيرا فى رفع مستواها فقد حباها الله بذكاء أعانها على التحصيل السريع فهي متفوقة بالفطرة و لا داعي لها إلا التواضع.

أحبها زملاؤها و مدرسوها و كانت هي تحب ذلك . تعودت فى طفولتها أن تهتم بمظهرها و تختاره هي على ذوقها لا يتحكم أحد فيها و لا في سلوكياتها تمشي برأيها في كل شيء و لا تهاب أي شيء.

كانت محبوبة و روحها طيبة تتمتع بذكاء حاد و لكن فيها سمة أنها لا تجتهد في لفت الانتباه إليها حيث حكم عليها تقريبا بطبع الانطواء بالرغم أنها لم تكن كذلك فهي في الحقيقة لن تجد من يفهما لذا آثرت الانفراد بذاتها.

بل كانت تجد من يعترض عليها دائما وعلى عنفوان طفولتها من أهلها الذين خافوا عليها من هذا العنفوان و لا يريدون تحطيمه و لكن يريدون إحجامه أو كبته بشكل مؤقت لحين ميسرة.

فى الحقيقة هي تفهم ذلك و تضيق نفسها ذرعا لحالها و لكن سمة العناد و الإصرار داخلها جعلها لم تقدم أي تنازل للتغيير من طبعها مما جعل أهلها يختنقون منها و يضيقون عليها الخناق فلا لعب و لا اختلاط بالآخرين و لكن يلزمها معاملة خاصة هما هي هذه المعاملة يا ترى و هم من البسطاء بل فى بلد ريفية لا تسمح للعيش فى رخاء بطفلة كهذه.

تدبر أبوها الأمر في نفسه عدة مرات و بالأخير قرر لها الالتحاق بأحد الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم وقتها كان الكتاب يفتح طوال اليوم للتعليم و الآن حلت مشكلتها لتدرك من أول يوم فيه أنها صارت ملزمة بالتحصيل المستميت فى التعليم حيث لمست معلمتها قمة الذكاء و الاستيعاب السريع و هذا ما يعجبها فيمن يأتون لتلقى التعليم على يديها.

لابد أن تصبح حججه واهية و محاولاته تبوء بالفشل محاولة قام بها أوهمه عناده أنها ستصحح أخطاءه و أن الدنيا خلقت لهواه.

يذهب أخيرا بعد اليأس و بعد البكاء الطويل على حاله.. نعم بكي و استبكى و سالت دموعه أمام الجميع يبكي أمام أولاده فيلقون اللوم عليه.. لم فعلها ؟ و لم استجاب لها ؟ و لم ما أشار عقله قبل فعلته؟ يبكي و يجيب بأنها خدعته أو بالصدق أوهمته أنها ستعود وسط أولادها بمقابل أن يأتيها بورقة طلاقها

ليطمئن قلبها من ناحيته و ستعتزل عنه تماما و يعتزل فيفصل المكان بينهما و تعيش هي مع أولادها ليعيش هو وحده.

أي قدر هذا الذي سيكتب عليهم بالأمس كانت زوجته و حلاله يتصرف فيها كما يشاء و اليوم هي طليقته و غدا لن ألقاك أبدا أي ذنب اقترفوه ليدفعوا ثمنه هكذا.

هل هو ذنب الإخلاص ذنب الوفاء ذنب الحب و العطاء هل هو ذنبه لأنه أخطأ بحقها ؟ هل هو ثمن خيانته و متعته مع أخرى دون علمها أم انتقام من رب العالمين لأنه ربما فعل ما حرم ربه ؟.

بالأخير يعلمه الله فما من إفتاء بهذا الأمر و الحال محير للغاية كل منه في ذهول ليترك هو وحده و يمارس اللعب في ملعبه دون لذة فالمتفرجون كثيرون و يضربون كفا بكف و هو ملقى على الأرض قيل عنه أنه الآن يسف التراب ، منهم من يشفق عليه و منهم الشامتون. فالآن لا مخرج له و لا حيلة إلا أن يذهب إلى أحد المحامين و يستشيره فى الأمر و يطلب منه التصرف لا بل فعل أكثر من ذلك فعل ما يثير العجب و ما تقشعر له الأبدان و إن دل ليس إلا على قلة عقله و سوء بل دناءة تفكيره و تدبيره.

يحاول و يجازف و يصل إلى رقم هاتفها بعدما غيرته خصيصا لأجل الخلاص من رناته التي لا تسكت عنها أبدا ترى رقمه على الهاتف الجديد مرات و مرات و تتجاهلها ليبعث إليها من يخبرها أن ترد عليه لأمر مهم يمكن أن يريح الجميع و بعدها لن يتصل أبدا بل تستطيع أن تغلق الهاتف بعدها نهائيا و تغيره أيضا و استجابت لتستريح من الإلحاح المستمر.

تسمع صوته تسمعه نعم صوت مكسور ليس هو ليس من كان يضربها و يهينها و يسبها ليس هو بجبروته ليس هو من يتكلم سبحان من غير حاله.

يرجوها أن تسمعه لم تتحمل سماعه لن تتحمل بكاءه و ضعفه أمام سمعها أغلقت الهاتف و بكت نعم بكت كثيرا و لم تستطع أن ترد على رناته المتواصلة يتقطع قلبها لم تعلم حينها أيتقطع حسرة عليه أم عليها أم عليهما هما الاثنين بالأخير ضاع كل شيء و لن يجدي البكاء أو الحسرة أو الندم لن يجدي منها أو منه شيئا بل يزيد اتصاله تعبا على تعبها بالرغم من عدم علمها سبب اتصاله فما أعطته فرصة لأن يتكلم و ما استطاعت أيضا أن تسمعه و هو يحس الآن بقلة حيلته يحتار يتمزق من الداخل يريد أن يفعل شيئا قبل فوات الأوان يريد أن يصلح و أن يتصالح مع نفسه و مع من خسرهم في حياته يريد أن يصالحها يريدها أن تسامحه.

باءت محاولاته بالاتصال بها بالفشل تغير ، رقم الهاتف كالعادة و أغلق نهائيا بل مالا يعلمه هو أن أهلها اضطروا لسوء حالتها النفسية و تدهورها بسبب رناته و بعد سماع صوته أن يأخذوا منها الهاتف بعدما استأذنوها في الأمر و طلبوا منها أن لا تلمسه حتى يديها لترتاح قليلا من اضطرابها الذي لازمها و لم يتركها منذ طلاقها.

نجحت حيلتهم معها و نجحوا في أن يبعدوها بعض الشيء عن توترها أما هو فما ارتاح و ما هدأ له بال.

يذهب إلى المأذون الذي قام بتوقيع الطلاق يطلب منه أن لا يقدم الورقة الرسمية للطلاق في المحكمة و يستطيع أن يتخلص منها مقابل دفع ما يطلبه من مال فهو ما زال يحب زوجته و ما زالت هي امرأته بل زوجته و لم ينو طلاقها بورقة رسميه و إنما هو من كان أعمى حينما استجاب لطلبها و قد أكره على تنفيذه حيث أقنعته (إيمان)وحدها بوقع اليمين الثالث..

يستمع إليه المأذون ليبدي عجبه فهو من جاءه طواعية دون إكراه و معه

شاهدين على الطلاق و هو من أملى عليه ثلاث طلقات بتواريخ مختلفة ليدونها بدفتره و هو من وقع إمضاءاته بتقرير على وقوع الطلقة البائنة و هو من قرأ وقتها بل ذكر بها كثيرا نعم ذكر بالأمر النهائي ذكر بأمر الله (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فليعد خائبا خالي الأمل فلا عودة و لا رجوع و سيبقى الوضع كما هو عليه.

المساواة في الظلم عدل فكما ظلم غيره الزوجة الأولاد حتى حقوق الرب ظلمها و عاقها ظلمها حين تخلى عن رسالته كاملة رسالة الأب رسالة رب الأسرة بل ظلم من حوله الذين ظنوه كبيرهم ليشاوره في أمورهم صغيرها و كبيرها فينصاعوا لأمرهم ليس لأنهم عاجزون عن فض أمورهم و لكنهم رأوا فيه قدوة يحتاجون أن تكون موجودة بينهم.

هو أهل لذلك يفهم في كل الأمور أحبه الناس و أحبه يعلو شأنه فى وسطهم لم ينكر أنه كان أهلا لذلك و حباه الله من الصفات ما يجعله أن يكون أهلا لهذا الأمر بل هذا سبب ارتباطها به و حبها له و تشجيعه لمساعدة غيره و لم ترد عنه أحدا أبدا بل حبذت حب الناس له وسعت في أن توطد علاقتها و علاقته بمن أحبوه و أحبوا مساعدته.

و لكن حين مرّ بمحنته و حين وجد طريقا أخر غير طريق زوجته حاد عن طريقه الذي بدأ فيه و أحبوه الناس لأجله.

قرر أنه تعب و طلب الراحة لأجل نفسه لتذكره زوجته بما علمه لها و رسخه داخلها.

تذكره بما حفظته ليس عن ظهر قلب بل شجعها و جعلها تدعوه و تدعو له.

ذكرته حين اعتراضها في أول الأمر لانشغاله بأمور غيره ليذكر قول رسولنا الكريم (إن هناك أناس اختصهم الله بقضاء حوائج غيرهم فإن عدلوا أخذها الله منهم

و أعطاها لغيرهم).

عاشت معه حياة سعيدة ساعية أن ترضي ربها فيمن حولها ليبارك لها في حياتها في زوجها و أولادها وجدتها رسالة ترضي ربها عليه و عليها و وهبت نفسها لتكملة هذه الرسالة بل أحبت دورها فيه بتشجيعها و وقوفها بجانب زوجها و مساندتها له. و وقوفها بجانب زوجها و مساندتها له.

حتما سيجازيها ربها و يجازيه و حتما حب الناس سيكون درعا واقيا من مخاطر الزمن فلتسلم أمرها لربها و تعيش دورها و تقوم به على أكمل وحه.

تتذكر يوم أن كانت نائمة و في وقت متأخر بعد منتصف الليل بساعتين و جرس الباب يدق و تستعجب بعد استيقاظها الباب يدق و الجرس بلهفة يرن و هو يقوم مسرعا دون تفكير و يهم بفتح الباب دون أن يرد لتمنعه هى ليتأكد ممن يدق الباب ليقول لها بأن تسلم أمرها لربها و يفتح و بالفعل يجد من يمروا بمشكلة ليحلها هو و لم يصبروا إلى أن يأتي الصباح.

و أخرى بيوم آخر فى نفس التوقيت تأتيه و تبكي ابنها و طرده لها من بيتها لإرضاء زوجته ليتصرف هو بالأمر و يذهب هو ليعيدها إلى بيتها و يؤمن حياتها بهذا البيت بحيث لا يستطيع ابنها طردها ثانية.

لا يبتغى مما يفعله إلا دعوة يستجيب لها الرب فتستره في الحياة.

هذا ما كان يطلبه دائما.

أين هي الآن مما كانت فيه أين بأسها الذي تحول إلى يأس أين تعبها أين حياتها و حياته الذي بني على يديهما سويا.

تتذكر ذلك و تسخر و تبتسم لقدرها و تحمد ربها على ما هى عليه ربما يعوضها بعد ذلك فى صحتها و أولادها.

نعود إلى الظلم لنفسه كيف هانت عليه هيبته و كيف ضحى بها سهلا و كيف لم يتحسر عليها بقدر ما يتحسر الآن على زوجته التي خسرها.

أهي زوجته التي كانت سببا في كل ذلك أهي من ساندته أيعلم فضلها الآن أيعلم قيمتها أيعلم أنها حين تتخلى عنه تخلت عنه الحياة كلها أيريد أن يعيدها بل يتمنى عودتها بعد ضياعها تمنيا لا يجدي ولن يقدم أو يؤخر أيتمناها ليشفي غليله فيها أم ليكفر عن سوء معاملته لها أم لاستعادة ما ضاع منه.

بالأخير هي تعلم أنها بانفصالها عنه كأنما انفصلت روح عن جسدها هي تعلم أنها ببعادها أبعدته عن أن يكون حيا بهذه الحياة هو أيضا يعترف بذلك أمام الناس كلها هو يبدي استعداده لتقديم أي تنازل في سبيل رجوعها.

هي لن تضحي ثانية كما ضحت من قبل و لن تقدم أي تنازل فهي ما تخلت عنه برضاها و لكن لرضا ربها لشكها فى أمرها معه حين رمى عليها اليمين الثالث لتحتكم هي في الأمر و تقرر مصيرها على حساب هذا اليمين المشكوك في أمره من ناحية الزوج المؤكد لها فى حين هو يدعي أنه يمين خطأ أو غضب و يستطاع التراجع عنه فى حين هي تتمسك بالأمر و تقرر القرار النهائي بانفصالها.

تتذكر يوم طلاقها و لن تنساه أبدا و لن تنسى ما حدث فيه بل تتمنى لو لم يكن هذا اليوم بحياتها.

تتذكره و هو قادم إليها فاقد عقله كم من مبرر أتى به و كم من كذبة و كم من حل و لا فائدة من هذا الكم كله.

حبيبها دائما كما لم تظن و حبيبته دائما كما يدعي .. زوجته... أم أولاده ... رب الأسرة و رب البيت جاءها خاضعا ممتثلا لأمرها مستجيبا لطلبها من ضرورة إتمام الطلاق جاءها و مقتنع تماما بأنه رماها ثلاثا جاءها أمام شهود بأن ما قالته حدث بالفعل و بدلائل منها ليستجيب لأمره جاءها بأمر شنيع قاله و ذكره

بينها و بينه فقط طلب منها أن لا تخبر أحدا بالأمر فتطيعه و تستجيب لتصل بنهايته معها و هذا ما تتمناه فى ذلك الحين لا تود أن تتخلص منه فقط بل تود أن تخلص عليه و يكفيها الله شره بل و أولادها أيضا منه فبالأكيد هو آت إليها و عقله عنه تائه بل مفقود بالفعل.

له أم و أب كباقي البشر أم تسهر من أجله الليالي و أب يجتهد في عمله كي يوفر لزوجته و أولاده ما يعينهم على الحياة يعيشون عيشة هنيئة فأبوه موظف في أحد المصالح الحكومية و له أخ و أخت غيره من أمه و أبيه.

الأم من عائلة تكاد توصف بالعائلات الراقية نسبا أما من حيث المال فهم يملكون صيتا أكثر من الغنى لينتسب هو إلى عائلة فوق المتوسطة حيث أبوه ينتسب أيضا إلى أحسن العائلات أصلا في بلدته.

هو طفل ربما في مرحلته الثانوية و كباقي الأطفال كان يداوم على مساعدة أمه و أبيه فى أمور المنزل فيذهب و يشتري لها حاجياتها حتى أنه دأب على تربية بعض الحيوانات التي تعينهم على قضاء حوائجهم ليحصلوا منها على جزء من المال أو ربما يوفروا منها ما يكفيهم من لحوم فالبيوت في القديم ما كانت تخلو من هذا النوع من الحيوانات من ماعز أو إبل و لكنه كان يمتلك من الماعز ما يعد على الأصابع ليتولى هو تربيتها عن أبيه و أمه فأمه ليست ربة منزل فقط و لكنها تدأب على المشغولات اليدوية التي تصنعها ثم تبيعها لمن يهمه الأمر .

أما هو بدوره الذي يعرف كان يحاول أن يسقيهم فيذهب إلى الحارة المجاورة لحارتهم فالشوارع تتداخل فى بعضها و البيوت كانت قليلة مما كان ييسر النقل من حارة إلى حارة و من شارع إلى شارع.

الحصول على الماء ليس بالأمر الهين في هذا الوقت قليل من البيوت بل كان بيتا أو بيتين ما يملك طلمبات مياه أو تقريبا اعتمادهم و تركيزهم كان عليها و هو

بالفعل يذهب ليسقي الماعز من حارة أخرى ليتقابل به كل يوم كأنما متعمدا و ينظر إليه و كأنما أراد أن يقول له شيئا أو يتأهب لمقولته فيسكت و لكن عيناه تنطق بما يريد أن يفعل و الطفل ذو المرحلة الابتدائية لا يملك إلا أن ينظر بعينيه إليه لينتبه له كثيرا و بغريزته الطفولية لا يستطيع أن ينطق على الرغم أن قلبه يرتجف لهذه النظرة التي بالأكيد وراءها شيئا سيقال و ينصرف الطفل ليفكر فيه كثيرا و سرعان ما ينساه و ينسى هذه النظرات و لا يبالي إلى أن جاء اليوم الذي شردت فيه منه الماعز و قد سبقته حيث حفظت المكان و علمتها وجهتها إلى أين تذهب فسبقته و هو يتركها مطمئنا أنها لا تشرد منه و ستصل إلى المكان المنشود.

شيء غريب انتظره في ذلك اليوم كأنما علم بشرودها وحدها دونه يراه يسقيها و يهو جالس أمام طلمبة الماء عيناه بهذه المرة لا تنظر إليه فلسانه يتكلم و لغز عينيه ينطق ليقول له عبارة واحده عبارة جعلته كأنما كبر عن عامه عشرة أعوام في الحال و هو لا يفهمها و لكن دقات قلبه ربما أدركت أهميتها.

الأخوات اثنان غيرها و لكنها بالكاد أصغرهم سنا.

تركها أخواتها لزواجهما و ارتباطهما مبكرا تركاها مع أبيها و إخوانها السبعة تركاها لتشد أزرها وحدها بعد موت أمها و هي في صغرها لتحرم من حنان الأم و يعوضها كل من حولها فيكفيها أصدقاء أبيها الكثيرين فهي صغيرتهم و لشأن أبيها كما يقال أو يدعي حاولوا رغم صغر سنها أن يرفعوا من شأنها كانوا يدللوها دائما و كانت هي حبيبة أبيها.

الأكل ينطق اسمها على لسانه و الكل ينتبه إليها أبوها يأتيه من كل حدب و صوب هو بالتقريب ذائع الصيت و الشهرة فهو كما يعتقد فيه البعض أو سعى لوضع هذا الاعتقاد فى داخلهم

ربما لجلب المال أو ربما ليعينه الآخرين على تربية أبنائه عن طريق المنحة و العطاء.

لم يكن يملك من المال شيئا سوى قطعة أرض تساعده على قوته و قوت أولاده و الأرض لم تكن بمقياس غنى في هذا الزمان فهو من قرية ريفية و الكل فيها سواسية و الجميع يملكون الأراضي بزيادة عنه.

يسقط أمامها على أرض الواقع و ينتفض انتفاضة توحي بأنه مصاب بحالة صرع شديد قد تأخر وقته في أن يشفى منه أو يتداوى يهذي ببعض الكلمات الغير مفهومهما فسرها البعض بأن ما فيه ليس حالة صرع و إنما وقع تحت تأثير سحر أو كيد شيطان مريد مما جعل البعض يهاب من الاقتراب منه للحاقه و لكنهم هَمّوا بالإسراع بعدما غاب عن الوعي تماما قام أربعة رجال لحمله و ذهبوا به إلى مكان ما ينام و يحب أن يجلس بينما البعض الآخر سخروا من الموضوع تماما بل تمنوا له الموت و الرحيل أفضل مما هو فيه فهو ما زال فى ريعان شبابه و المرض بدأ في تآكل زهوته بل تآكل جسده و ذهاب عقله ذهابا تاما فهو ما يفيق من صرعه و غيبوبته إلا يعيش حالة ذهول لا يدرك و لا يعرف من حوله و يقولون أن موته و رحيله أهون مما هو فيه.

ربما غضب الأم و الأب يغتفر له فالأم مهما فعل بها ابنها أو تخلى عنها لم يكن يعرف قلبها الغضب عليه أبدا بل تظل جهرا و سرا تطلب له الهداية و تتمناها و تتمنى لو تضحي بنفسها في سبيل استعادة ابنها عن شر لاحق به و هو عقوق الوالدين فالأم حتما من تتحمل ذلك وقلبها فاقتربت منه زوجته ثم قالت في خشوع أحتاجك أن تحتويني الليل فأنا خائفة منك لألجأ إليك عزيزي.

استنكر قولها وأبعدها عنه حين تراها تدنو منه لتغط في نوم عميق ثم ترى نفسها في مكان مهجور به من الوحوش ثلاثة فتحوا عليها أفواههم ويريدون أن

يلقموها .

قرأت الفاتحة ثم همت عنهم بالانصراف لترى بجوارها قفصا به عدة دجاجات وتهم عنها واحدة لتطير فتمسكها بيديها لتفلت منها في الحال لتتوجه الى حيث يوجد الوحوش وتظن أنهم جياع حيث ما زالوا يفتحون أفواههم ولكنها تفاجأ بمرورها دون أن يأبهوا لتستبشر خيرا وتذهب اليها لتعيدها للقفص ولكنهم يقفون كما أسودا تفتح أفواهها من السماء لتتلقفها الأرض فتواصل قراءتها للقرآن وتتسمر مكانها فيسكتوا هم عن زئيرهم ويصمدوا ليزيد اختناقها من هول المنظر وتحاول أن تستيقظ فلا تسمع الا صراخها الذي خرج عن المعتاد وتنتفض بسريرها لتستيقظ من نومه مرتعدا ويحاول إيقاظها فتستيقظ فيسألها عن سبب ذعرها لترد بأن لا شيء وتدير عنه وجهها بعدما استعاذت بربها في الحين راض و لم يستطع أن يغضب أبدا فهو ابنها بل فلذة كبدها و ربما وضعه هذا يثير الشفقة عليه دائما و تحاول أن تقترب منه لتضع عليه سياجا يحميه شر ما هو فيه فلقد فعلت الكثير من أجله و توسلت إليه كثيرا للابتعاد عن طريق الهلاك فهي أم و قلبها يعرف الكثير و أيضا قلب الأم لا يخطئ ..

أشرف منذ صغره و دمه يغلي إذا وجد أمام عينيه خطأ يواجه و يتذمر و يدافع و يقاوم حتى لو دون جدوى المهم قام بما يمليه عليه عقله وعناده الدائم دائما أن يشاكس الباطل و هذا ما جعله مرفوضا بين أناس خوفا من قوله الحق و اعتراضه على حالهم و الآخر يخاف منه أن يخطئ أمامه فيفضح أمرهم و من الناس من يجعلوه قدوتهم و مشورتهم مع أنه يمتاز بالعصبية و التعصب الشديد لرأيه مما يجعلهم ينتفضون عنه سريعا فهو مع حزمه لم يملك من الحكمة و العقل ما يجعل متزنا ليثق فيه غيره و هذا عيبه الوحيد العصبية و التعصب و هذا بالفعل ما يجعل الحق يتوه منه سريعا و لا يجده إلا هرب منه فى النهاية فلا يصير كبيرا بين الناس بل يصغر من شأنه حيث ينتهي به الأمر كما

يقولون (على ما فيش)

هذا ما جعل أبوها يرفض الزيجة تماما و رفضها خلق من الأزمات بين العائلتين كثيرا فصلة القرابة من الدرجة الأولى و خسر بهذا الارتباط رباط هذه الصلة بعناده وعدم محاولته إرضاء أحد من أهله الذين هم أهل خطيبته الذي صارت زوجته أيضا بعد ما يزيد عن أربع سنوات اعتبروها فترة خطوبة و لكنها طالت كثيرا.

هذه الفترة من حياتها اعتبرتها أسوأ الفترات بل ظلت طوال عمرها بعد زواجها لا تريد أن تتذكر منها شيئا بل تنكر أصلا وجودها في حياتها لما فيها من كره بين العائلة ربما هي السبب بدون سبب فجهلها و صغر سنها و هي ما زالت في المرحلة الثانوية يجعلها تجهل الأمر و توافق عليه و تشتري علاقتها معه رغم عن أبيها مما دفع أباها يخاصمها طول فترة خطوبتها و يقاطعها مقاطعة تامة.

تتم زيجتها و هي في لسنة الأخيرة من الجامعة تحاول بكل جهدها أن لا تفوتها سنة حتى لا يقع اللوم عليه وعليها فهما فى رباط تام مع بعضها و لا يستطيع أحد أن يفرق بينهما و هو يحثها على النجاح دائما و تستجيب لحماسته.

. لم تعلم و لم تقرر ذلك في نفسها إلا بعد وقوعها منه بعد عشرين سنة من عمرها معه فقد كانت تعيش في ظله تحس بالسعادة دائما قبل ذلك و تتباهى باستمرار علاقتها و تصير لتسير بها فى طريق مستقيم بل اقترب بعضا ممن اعترضوا ارتباطهم أن يتباهى بهم بعد مرور سنوات طويلة عليهم بل نستطيع أن نسميها سنوات كفاح لتحقيق ما يريدونه فكل يوم يمر عليهم بالرغم من صعوبة معيشتهم إلا أنهم امتازوا بالتغلب على هذه الصعوبة بل امتازوا بالتفوق على من كانوا أفضل منهم بالرغم من عيوبه التي يستعجب لها البعض بل يواجهونها علانية كيف تحملته أو تعيش معه بالرغم من أنها تبتسم بوجوههم قهرا و يكون

هذا الاتهام له دافعا لها بأن يكون بالأمام دائما مما جعلها تتجاهل نفسها تماما لتكرس حياتها له ليس في سبيل إسعاده بل فى سبيل أن يكون متفوقا دائما و تصير حياته للأفضل.

المأساة الحقيقية أنه لم يكن يدرك ذلك فهو راض بقسمته و نصيبه راض أن يوجهه قدره كيفما يشاء راض بأن كل شيء قسمة ونصيب و لكن مبدؤها كان له بالمقاومة دائما نقاوة بمرصاد لسلبيته مبدؤها له أن لكل مجتهد نصيب هو يائس و هي على أمل ترسم له أحلامه و ليس لها حلم فى الحياة إلا أن يعلو شأنه بين الجميع عوض عما أصابه من أقرب الناس إليه و إليها عن زيجتهما على العلم أن السبب الرئيسي و الأساس هو الحالة المادية لم يملك ما لا لم يملك بيتا فكيف له أن يتزوج مما جعلها تسنده و تقاوم لتؤمن بقول الأسلم في أمره (.إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد كبير) تكرر هذا القول دائما في ذهنها و جعل تكراره أن تعترض طريق من يعترضون طريق ارتباطهم ببعض رسمت مستقبلا جميلا له في خياله رأته بعد كم سنة من الزواج أعظم شأنا ماذا لو هذا الخيال تحول إلى حقيقة فلها أن تندم لو لم تكن مرتبطة به قاومت و تحملت وقفت بجانبه ليجتاز محنته هي الوحيدة فعلا من وقفت بجانبه تخلى عنه أهله و لم يستطع أصدقاؤه أن يساعده صبرت عليه أربع سنوات كان كل يوم يمر عليها هو نفسه أربع سنوات يمر عليها وعليه.

في لياليها التي اعتبرتها سوداء و التي كرهتها رغما عنها حيث يجلس معها زوجها فالحيرة في وجهه و في تصرفاته تسمعه يتمتم بكلمات كأنما يستغيث تسأله عن السبب و هو لا يبالي ربما لا يريد أن يجود بما فيه إما نكرة للفعل أو رفضا له أو عدم تصديقه و تلح عليه بأن يريح نفسه من التفكير لينام أو أن يبوح لها بما فيه ليستريح فما كان رده إلا أن لا تشغل بالها و لكن يبدو عليه القلق ليقوم من سريره و يصعد فوق سطح منزله مدة دقائق لينزل لها ثانية و لا تستطيع أن

تسأله عن الشيء و تدعو ربها بالستر و تنام لتجده يتقلب يمينا و شمالا و يستغفر ربه حينا و يلعن شخصا لا تعرف من هو حينا أخر.

تعودت منه الصدق و تعودت منه الصراحة و شغل بالها ما صدر من زوجها و ما كان يضايقه في الليلة السابقة و تود لو يخبرها ليطمئن قلبها فجهلها بالأمر جعل قلقها يزيد.

لمس فيها هذا القلق يريد أن يقول لها شيئا بل هو يخشى أن يذكره بل يحتار كيف يذكره قبل أن يتأكد.

أحس قلبها بما فى عقل زوجها خمنت و تريد أن تتكلم فسألته بالفعل سألته سؤالا مباشرا.

" أنت شاكك في سارة جارتنا؟

شفت منها حاجة تقلق ؟"

تعجب من سؤالها أراد منه التهرب و لكن لم يستطع.

لحقته بالرد قائلة.

" شفتها من كم يوم بتهزر بطريقة مش كويسة مع محمد جارنا.

حتى سمعت من ضمن الهزار بيقولها بحبك وهى ردت عليه وقالتله هقول لخطيبتك ".

واصلت كلامها لزوجها و هو يسمعها فلا يرد.

أنا استغربت أصلا للحال زوجها ميت من كم شهر واقفة في البلكونة وهو واقف تحت بيكلمها بالإشارة.. هو أنت سمعت حاجة عنها مزعلاك؟ ".

قالت لزوجها ذلك لعلمها أن سارة لها معزة في القلب منذ أن تزوجت بجوارهما

فهو يحس أنها مغلوبة بهذه الزيجة و يشفق عليها.

قالتها وهي تخشي منها بعدما مات زوجها و تركها وحيدة في أواخر عقدها الثالث.

قالتها و هي لا تعرف كل ما هو آت إليها منها.

أما بعد

مرت الليالي منذ سألته و تعدها تحس أن الأمر عظيما ، تراه انشغل بها أكثر تراه و كأنما يريد أن يواجهها، علمت ذلك من نظرات عينيه..إليها .

ما احتارت فيه كثيرا و هي تخرج من بيتها فيناديها لتلبى نداءه وهي مرتبكة من النداء لتتساءل مع نفسها فى حين الوصول إليه.

تعود أن يكون كلامه دون مقدمات.

تحتار الزوجة و تريد أن تسأل و لكنها تحاول أن تراقب الوضع من بعيد.

بدت تطفو على سطح الماء دموعها و هي تنادي بكلمة أمي و لا تدري لم لا ترد عليها و تجيب لتجد أصحاب الرداء الأسود حولها منهم من يبكي و منهم من ينعي همّه و منهم من يتذكر لها محاسنها و كلمات كثيرة لا تفهم معناها و لكنها تدق كالطبول على أوتاد قلبها لتبعث فيه خوفا من مجهول منتظر.

يودعونها ... في الأمر تحتار تسأل ..نفسها تساؤلات عدة عن ما يحدث و عن ما سيكون بعد ذلك.

فى هذا اليوم بالذات كبرت كم عاما على عامها أحست بالحقيقة حينما احتضنها أبوها دون أمها أحست بتغير الحال أحست من وشاح الحزن على وجهه بل من دمعة استطاع أن يخفيها.

ما زالت طفلة لا تعي شيئا و لا زال الجميع يهتمون بها تعرف سبب هذا الاهتمام

ربما لأنها فقدت أمها هو اهتمام زائد عن الحد فضلا عن أنها آخر العنقود فهي بطبيعة الحال مدللة من و أخواتها و الكل يقوم برعايتها ويهتمون لشؤونها و لكن الاهتمام الأكبر كان من أبيها يجب عليه أن يعوضها حنان أمها فكان لها أما و أبا ..ما أحست بعد رحيل أمها بنقصان إلا قلبها الذي يتمزق بالفطرة على فراق أمها لتناديها دائما بينها و بين نفسها حين تحس أن شيئا ينقصها و تود لو تسمع ردها.

بات سماع صوت أمها هو أملها وهي تعلم جيدا أنها لن تعود و برغم ذلك تشتاق دوما للنداء.

فى يوم من الأيام وجدت نفسها وحيدة كل مشغول بعمله تركها أبوها وحدها كانت نائمة ليذهب إلى أرضه هو وأخوتها تقوم من النوم و تفزع و تنادي بصوت عال (أمي) نعم هي الأم التي كانت يتكون معها بهذه الظروف و لا يلهيها شيئا عن رعاية ابنتها تجلس أمام منزلها و تنتظر قدومهم و تنكفئ بوجهها على ركبتيها و هي تبكي فأول مرة منذ رحيل أمها ترى نفسها وحيدة و الكل عنها منشغل تراه يجلس أمامها يضع يدها على رأسها لتنظر و تراه.

بالرغم من أنه جارها بالرغم من لعبهم بالرغم من قربهم إلا أنها تحس لنظرته لها في هذه اللحظة و يده التي تربت عليها لا تعلم لماذا رأت في نظرة عينيه لها لماءا رأت نظرة أمها.

يناديها باسمها (سارة)، فى سنها الصغير ، لكنها تدرك و تحس بالكثير

و تحتاج أيضا للأكثر و هو بجوارها دائما

تحكى و تسرد له ذلك و هي تبكي و تتوعد لما يقال عنها . مات عنها زوجها و قبل أن يموت عانت معه عمرا من المرض).

تزوجت من (مسعود) في السابعة عشر من عمرها بعد إتمام دراستها الثانوية مباشرة تزوجته مريضا تزوجته و حرمت من أحلى أيام عمرها تزوجته برأي أبيها تزوجته لأن أباها و أخوتها صمموا على الزواج.

فقدان أمها في سنها الصغير تقربت إليه ما يدعى حبيبها بحكم الجيرة لم أر أمام عيني غيره لم أحب غيره فأفاجأ و أرى نفسي مرغمة على زيجة لإرضاء الجميع تزوجته يا ليت المرض فقط بل يكبرني بعشرين عاما تزوجته ليرضي الجميع و ليستفيد على حسابي.

أما آن لي أن أعيش.

بالفعل استمع إليها و دخل حديثها بقلبه ورق لها و بالفعل نجحت دموعها و جاءت إليه بنتيجة.

بالفعل هذه الاسطوانة المشروخة التي حفظتها عن ظهر قلب و تقولها لمن تريد أن تصل إليه و إلى قلبه و بالفعل لم يكن يعلم ذلك عنها فقد خيل إليه حينها أنها اختصته هو لتفيض إليه بما في قلبها و مأساتها.

كانت تحكي ذلك لكل من يراها و من تحب أن تخدعه تحكي حتى قبل وفاة زوجها تحكي بعد أن فقدت أمها تحكي لزميلاتها في المدرسة في الفصل تحكي وهي تبكي لتكسب ود وحب الجميع و لتلتصق فى القلب فلا تنسي

و الآن هي فعلا كذلك المكر و الدهاء و الحيلة يدركها صاحب الحكمة فقط و يدعو الله أن يصرف عنه شرها.

هذا ما كان يحدث للزوجة بل هذا ما علمته حين رأتها أول مرة بحياتها.

هذا ما أدركته حينما عرفت من زوجها أنها العروس و هي جارتها.

هذا ما أدركته بالفعل حينما كانت تجلس بيوم مع زوجها و أبيه ليس رجلا بل

شابا ظهر عليه الشيخوخة المبكرة ليفسر أبو زوجها سبب سقوطه و حكايته مع من تسبب إلى وصوله لهذه الحالة.

ما نسيت ما قيل من كل الجلوس و الكل يخبط كفا بكف.

ما نسيت أنه محمول كالميت على يد أربع رجال فيذهبون به ليس إلى بيت أهله بل إلى بيت آخر.

كانت أول مرة تسمع عن الشيخ (عوض) تستمع حينها بتركيز و يدق قلبها.

بل يرتجف جسدها لسبب لا تعلمه بل يعلمه الله وحده.

نظرت إلى البيت المقابل لبيتها نظرت و سرحت بعيدا نظرت و كأنما رأته تابوتا بل قبرا به تابوت لجسدها.

تدني إبليس بأفعاله أمام أفعالها زعما منها أنها ظلمت في هذه الدنيا و ما عرفت الفرح أبدا تريد أن تعيش دوما على حساب غيرها ظنا منها أنها المظلومة الوحيدة بهذه الدنيا فعيناها حاليا لا ترى إلا نفسها.

هو بعينيه يراها و يرى ما فيها و يراقبها من أول يوم مرض فيه زوجها يراقبها طمعا لأنه التمس فيها قربه إليها تعويضا عن زوجها المريض من قبل أن تتزوج منه.

ما خاض فيها إلا العابثون

سمحت لهم بذلك للاستعداد النفسي الذي حال بينها و بين أن تلتزم حتى بمراسم عزاء زوجها فأم زوجها هي من تدفع الثمن حاليا و هي التي ترفض بالأساس أن تأخذ عزاء ابنها ليس في بيته بل في بيتها.

الحاجة (هانم) كما يدعونها الكل يحترمها دوما ينادونها بأم (مسعود) ابنها

الأكبر الذي توفى و رحل عنه و لن يسامح قلبها أبدا ما تسبب له فى الرحيل.

حرمت منه حتى زيارتها له حرمت منها بالأمر حرمت أن تكون أما بمعنى الكلمة لابنها(مسعود) حرمت أن تفرح بشبابه تفرح بعمره فقد ذاق جسده من المرض ألوانا على يد من لا يرحم مثله من البشر.

نعم لم يرحمه و لم يترك رحمة الله تنزل عليه أو على أهله الذين فوضوا أمرهم لله في ابنهم و ضياعه منهم و احتسبوه عند الله منذ أن كان شابا في العشرين من عمره فيذهب به الحال أن يتبرأ من أمه و أبيه علانية و لا يستحي ليعلن أن أباه و أمه بل كل حياته مع الشيخ (عوض)

نعم هو الشيخ الذي وعده منذ أن كان صغيرا في طفولته حينما رآه.

وعده بعينيه قبل لسانه.

وعده حينما رآه يقبل على حارته.

وعده حينما سقى له الماعز و حفظها عنده حينما تاهت عنه.

وعده ليتذكر ذلك الوعد و يحاول (مسعود)أن يفي به كأنه كان لزاما عليه الوفاء.

وعده ليخشي (مسعود) من الوعد و يدق قلبه إلى أن شاخ على يد من وعده.

ويله من هذا الزمن لم يكن يدرك حينها أنها خطيئته الكبرى.

لم يكن يدرك حتى حين منيته.

لميظهر توبته،لن يعترف بل لا يستطيع الاعتراف..

فقد ظل كما يشبه معاقا ذهنيا طيلة حياته.

ظل عمره لا هو معروف بين عداد الأحياء و لا معروف بين عداد الأموات.

ظل رهن إشارة غيره من أول يوم انصاع لأمر ذلك الشيطان المريض الذي يدعى عوض.

لم يكن هو الضحية الأولى

لم يكن هو الضحية الأخيرة.

لم يستمع إلى التحذير.

لا يلتفت لأحد.

لا ينتبه.

بل ذهب إليه لينسي نفسه ينسي أهله ينسي أصدقاءه ينسي كل شيء.

نعم نسي كل شيء حتى نسي ربه.

لا يصدق ما يقال و ما قد قيل.

نعم على يدي ذلك الإنسان بل الأولى أن نقول الشيطان نسي (مسعود) أن له ربا خلقه نسي ليتذكر أن من يسوي أمره بالفعل هو الشيخ (عوض) و أعتذر بتلقيبه الشيخ لأن هذا ما يقال عنه.

يخشاه الناس يخشونه و هم لا يعلمون من أمره شيئا إلا سيرته و سمعته التي تسبقه.

يخشونه لشهرته و قدرته فى خراب البيوت بما يسمى سحرا أو شعوذة.

يخشاه فقط الجاهلين ضعيفي الإرادة.

و يتقرب إليه من يعتقد فيه أن له فوق ذلك كرامات.

لم تجد لها حيلة لتهرب من واقعها أو تعبر عنه أمامه بعدما أحست بسطو الأخرى عليه (سارة) و قربت أن تأخذه منه.

كانت أول مواجهة بينه (أشرف) زوجها التي شاءت الأقدار أن ينكشف أمامها و لكن بفعل أنها لا تصدق نفسها تتعشم فيه خيرا أن يعود إليه و أن يعدل عما بداخله فليته يعلم أن هذا مدخل للشيطان بينهما.

لن تنس أبدا يوم ما جلست معه و معها (سارة و أشرف) نعم جلست معهما و حاولت أن ترضيه تعلم أنه موقف لا بد أن تلام عليه طيلة عمرها و لكنها أحست وقتها أنها لا تعمل إلا الصحيح لأجله و لأجلها.

تجلس أمامها لا تصدق قبولها للأمر الواقع لا تصدق هدوءها تود لو أنه هدوء مزيف أو مؤقت حتى تستطيع أن تأخذ منها زوجها.

تجلسان معاً من أجله تجلسان و هو فرح بهما يود لو امتلكهما معا يود لو توافق على الزواج فامرأته قائمة و موافقة ألا يكفيها موافقتها لم يكن يعلم حينها أن كيد النساء أعظم لم يعلم ما بداخل كل واحدة منهما لم يعلم أن زوجته من أجله تستسلم و ترضيه رغما عنها أو ربما كما يقال تأتي بآخره و تؤكد لنفسها أو ربما تعطيه فرصة ليقتنع بطبعها الملائكي حتى و إن كان مصطنعا فيكفيه أنها تصنعت لتجمل مظهره أمام من يعترض على فعلته الشنيعة و للحفاظ على وضعه الاجتماعي و شأنه بين الناس.

الاثنان بل الثلاثة معا في مكان واحد استدعاها في بيتها ليفرض عليها الأمر استدعاها و استجابت بالفعل دون تردد استدعاها ليطلب منها الزواج أمام زوجته و هي كأنما تعلم بالخبر و لم يكن مفاجأة لها.

ما نسيت أبدا أنها سمعت الخبر منه من ذي قبل ما نسيت أنه قبل ذلك حاصرها بمشاكله لم تنس أنه كان يدقق في الصغيرة الكبيرة في البيت، في الأولاد

،دخولها خروجها أعمال منزلها لم تنس أنه منذ شهر تقريبا و هو عصبي جدا و أحست هي بالسبب و لاحظت عليه كل شيء إلى أن فاض بها الكيل لتفضفض له بما أحسته منه فيعترف و بطابع الرجولة يهدد و يتوعد طالما هي فكرت بذلك سينفذ.

لم تتهمه تكلمت معه ربما أحست أنه يمر بمحنه تكلمت معه و هي تود مراجعته بل ليفيق من الاهتمام بغير شئون بيتها و أولادها تكلمت معه بكل ود وسمحت له أن يشكي همه تكلمت و لم تعلم أنه سيقلب الدنيا رأسا على عقب و كأنما كان يستدعيها لتتكلم ليتصرف على حسب كلامها.

تتحطم نفسيتها كثيرا و هي تتذكر ما حدث لها بالفعل الآن تلملم حصاد ما مرت به دموعها دوما تحتبس حين التذكر بالذات تود لو تنزل دمعه واحدة لتريحها تجلس مع نفسها كثيرا و تتحدث و تبوح لها بما لم تستطيع أن تبوح به لأحد تمكث كثيرا على هذه الحال حتى إذا ضاقت نفسها تهرب منها لتخلد هي إلى النوم تحدث نفسها دوما و تتمنى تغير الوضع تتساءل معها إلى مدى ستظل وحيدة هكذا و ماذا فعلت وأي إثم اقترفت ليصبح هذا حالها تتمنى لو تعود إلى بيتها و تحتضن أولادها تشتاق إلى منظر واحد فيه كان يسعدها كثيرا بالرغم من بساطته منظر أولادها و هم يجتمعون على مائدة واحدة كانت تنظر إليهم و تدعو ربها أن لا يحرمها أبدا من رؤية هذا المنظر كان فعلا أسعد أوقاتها و تتمنى أن يعود.

تعود لتتذكر آخر لحظاتها في بيتها تعود لتتذكر كل ما حدث قبل أن تخرج منه لا تنس أنها حين خرجت عزمت من أول لحظة أن لا تعود لم يكن قرارها بل قراره هو بفعل قسوته عليه و غياب عقله عنها وعن تفهم وضعها و عن الاعتراف بها لا تنس أبدا أنها استحلفته بالله كثيرا و بكت إليه بحرقة أن يذكر لها الحقيقة فقط و أن يفهما حقيقة وضعه في حياته الجديدة لينكر ذلك منها بأن لا تتساءل

و يمسك بسكين بيده و يهددها أن لا تنطق في هذا الموضوع كلمة واحده و إلا كان مصيرها ... و أشار إلى السكين لتمشي على كف يده كأنما يهددها أن تمشي على رقبتها.

لا تنس أنها هربت منه في ذلك الوقت بأعجوبة و هدأت من روعها لتخدعه بهدوئها و صمتها لتفلت من بين يديه و تهرب منه إلى الأبد.

هذا ما حدث لها بالفعل و هذا ما فعله بها و هذا ما وصل إليه وما وصلت إليه بفعل شيطانة مريدة فتحت له أبواب جنتها لتحطمه و تحطمها فهي في حكم نفسها و لا يستطيع أحد أن يردها عما كانت تفعله.

الطفلة اليتيمة يتيمة الأم الذي تولى تربيتها أبوها رباها على قسوته و غلظته و شربت منه الغش و الخداع بل و وأد الخلق أحياء هي من زوجها بمسعود عنوة ، رجل مريض و عجوز و هي في سن مراهقتها لتفقد من أحبته و أحبها. هي أيضا من يسطو أبوها على مال زوجها منذ كان شابا و حرمه من أمه و أبيه و من شبابه فسلب منه عقله و سلب أمواله ليكتبها كلها باسمه هو. نعم باسم الأب الذي تحكم فيها و فى أموال زوجها مكثت على ذلك عشرة أعوام تضمد جراح المريض و تتمنى موته كل لحظة بعمرها الكل ينتظر هذا الموت أبوها أخواتها هي نفسها لو قلنا أن الجميع من يعرفه و من لا يعرفه يتمنون الموت لراحته لو قلنا أن الناس انتظروا موته و تمنونه لكي يعرفوا النهاية يتمنون أن ينتقم الله منها و من أبيها يتمنون أن تظل هي بالفعل عبرة بعد الموت يتمنون أن يروا ماذا تفعل بأمواله يتمنون انتقام الله للظلم يتمنون الثأر لأمه التي تبكيه حيا و حرمت منه و من التمتع بشبابه و من إحساسها بالأمومة ناحيته حرمت بفعل فاعل حرمت من فرحتها به حتى من حضور خطوبته خطفه منها كأنه الموت من أجل الحصول على ماله حينما علم بخبر سفره إلى إحدى الدول العربية و أنه سيجلب مالا كثيرا بالفعل حصل عليه وعلى كل ما يملك ليزوجه ابنته بعدم

دماره تماما و هلاك صحته و ذهاب عقله زوجه لها كي يحلل لنفسه استيلاءه عليه و أمواله التي كانت سببا فى هذا الاستيلاء فضلا عن الحسب و النسب و اختيار اسم العائلة فعلها و لم يلمه أحدا على فعلته بل خافوا أن ينطقوا ببنت شفة عليه خشية سحره و شعوذته. تكتب لها الحياة أن تكون بين سائر البشر و تحتم عليها أن تختلف عنهم لتدير هذا الاختلاف وراء ظهرها للبحث عن الوسامة في كونها بالرغم من انتقاد من حولها الا أنها تصمم على الاستمرار في بحثها.

عيناها لا تنطق عن الهوى حين تحمل شرودا يلحظه من ينظر إليها ليرى فيه الحزن العميق الذي يلحظه قلبها و تتعمد أن تتخفى بشكل ملحوظ بل الهروب سمتها. و لكن إلى أين تهرب...أمن الدنيا إلى الدنيا نفسها..هي تؤمن بعدم الخلود إلا في المبادئ السامية التي بني وسار بها الكون و تؤمن أن التمسك بها ما هو إلا سلسلة للاستمرار فى الحياة.

أصحاب هذه المبادئ قليلون في النقيض هناك محاربون فلا تتوقف عليهم الحياة وإنما ينتج عنها صراعا بين الخير والشر فيه الضحايا التي تحمل على أكتافها مزاد هذا التناقض دون أن يكون لهم يد فيها.

الدلائل تشير أنها سنة الحياة فبين قابيل وهابيل نشأ صراع ارتدى أبناءه زيه على أكتافهم وحملوه ليعيشوا للأبد بالرغم من أن هذا الصراع كان من قبيل توصيل رسالة لهم آدميه أكثر من حربية ولم يستقروا فيها إلا على ظاهرها وهو الصراع.

فيا ليت صنف البشرية يفيق ويصنع كل ما هو في الحياة جميل أو ليتجملوا حتى تسير أمورهم على ما يرام.

أخذها قطار الحياة التي مر أمام أعينها سريعا إلى ماضيها التي حاولت نسيانه

تقريبا عفوا عنها وليس منها (إيمان) ترى نفسها الأن وهى تهرب منه وتبدأ من جديد عمرها...لا يصدقها من تحلف له أبدا أنها بالفعل في السابعة عشر من عمرها لتضحك ضحكة عالية وتهز رأسها وتؤكدها في دلال.

تراه لم يكن جزءا من حياتها وكأنه حفنة من الماء تتسرب من بين أصابعها حين حاولت تجميعها.

هي نفسها تتعجب كيف تبرأت منه في الحال...ما بين ليلة وأخرى تستيقظ لترى نسيانه له يسعدها ولا يؤلمها.

أهو تخفيف عنها من شدة ما كانت تعانى فيه أم هروب أم حيلة للجوء للعيش بطريقة أخرى لتتبرأ منه وكأنها خلقت من جديد.

بالرغم أن ماضيها خلف لها حقائق ملموسة لا يمكن التهرب منها إلا إن الأمر لا يهمها فقد كانت قسوته كشبح في ظلام الليل يطاردها لتراه فى النهار إنسانا يكابدها الحياة ويضغط عليها أن لا ترتاح

كانت هي الضحية الأولى يخلفها ضحايا كثيرة عاشت لتتألم من أجلهم مجبورة أن تطمئنهم على حسن حالها ليصير البر حفيد الضحايا وتصير هي حليفة صبرها.

ما نسيت أبدا ذلك اليوم الكئيب التي ذهبت فيه إلى إحدى صديقاتها المقربين لتجد من يفاجئها بما لا حول ولا قوة لها به.

الواضح أنه كان يخطط لها مستقبلها ويرسم لها شبحا مخيفا لخط حياتها المحتوم عليها أن تصدقه أو لا ..ولكنها ستعيش فيه على محطة الانتظار.

الأكيد أنها لم تكن لأول مرة أن تسمع هذا الكلام المخيف لتقابله بعدم جدية ولا باهتمام زائد إلا أنها مجبورة بهذه المرة أ تصدق النبوءة القاتلة.

نعم هى سيدة نفسها وتملك زمام أمورها دون أن يتحكم بها أحد ولكنه القدر

بالذات الذي ينفرد بأن يكون حائلا بيننا وبين ما نملكه من قوة وجبروت.

ينظر فى وجهها حين إلقاء السلام على الجلوس ليشير إليه أن تأتيه لتستجيب لإشارته في الحال وما منه إلا أن يمسك بمقدمة رأسها أما الجلوس ودون أن يتمتم عليها بأي كلمة ترى نفسها آيلة للسقوط لتنهض وتقاوم كأنها متعمدة حين إدراكها الأمر أن تظهر له عدم قدرته على تمكنه منها.

الحاضرون ينزعجون من الأمر ولكن ما عليهم إلا التركيز فيما يحدث وما يقال....وما لها إلا أن تلاحقه بشدة لمجرد أنه أراد تعريفها لنفسه أولا وله ثانية وكأنه يعرفها من زمن أو رآها بدل المرة ألف مرة ليسرد عليها أحزانها ومأساتها مع من حولها فما منها إلا أن لا تستمع وتشير إليه بالإيجاب أنها تعلم.

نعم تعلم حاضرها ومستقبلها الذي تنبأ به الكثيرون وحذروها من الانزلاق في عدم التصديق.

هو يقرأ أفكارها ليشير إلى ابنها الذي يريد أن يستخدمه نقطة ضعفها لحسن الإنصات له بأن الأمر سينفذ فيها حينما يبلغ ابنها.

يلح عليها الحاضرون بأن تسمع كلامه وتستجيب ربما للعلاج أو لتسيير أمرها لتحتج أمامهم بعدم الانصياع إليه أنها سبقته إلا الكلام،فما أتى إليها بجديد.إنها الريبة في بعض الأحيان حين تتذكر ذلك الشبح المخيف وهو آلة التنبؤ أو نستطيع تسميتها آلة التنبيه،ولكنها تستعجب لعناية الله فى حين كان يتحايل عليها هذا الرجل لفك سحرها بطريقته السفلية وفى محاولة منها للتهرب منه لتسمع صوت زوجها ولا تعلم من أين أتى أو لماذا إلا أنها فرت إيه هاربة وكأنها تطلب منه النجدة أو ربما النسيان.

تمضى معه في الطريق للعودة ليجد بالها شاردا فيتساءل عن بالها وهى في حالة ذهول ،تومئ برأسها أن لا شيء ليستحلفها أن تقول ولكن مخافتها أن تكون

مخطئة شجعها على عدم التصريح بما حدث.

تتأوه في نومها وهو يستعجب لحالها ويحاول أن يضمدها دون جدوى فلا يرتاح باله الا بتناول الهاتف ليسأل صديقتها التي انزلقت فى القول لتأثرها وبغرض أن يتدخل لإيجاد حل فما كان منه إلا أن يثور وما كان منها ألا أن تنسى الأمر لحين ميسرة حتى يكرها الحاضر به لتبتسم سخرية من لعب القدر بها ولعبة القدر معها.

يشهد الله أنك نعم الزوجة وأنت من قامت بالحفاظ على زوجها وعلى حياتها الزوجية ولكن يجب أن تفكري في الموضوع وتأخذيه بجدية....

يجب أن يكون هناك حلا للرجوع والعودة....

فهو يحبك كثيرا.....

ويقول عنك الكثير والكثير....

ترد تقول...ما فرطت فيه...

ولم أقصر في حق من حقوقه...

إيمانن ..ممكن تسمعيني وبعدين تقرري؟

اتفضل....

إنت ضحيتى كتير....

إنت ممكن تضحى المرة دى.

سكتت وتذكرت ..آل تفكيرها إلى السقوط لتتمسك به ثانية وتنطق لا عن الهوى بل حقيقة مؤكده لمن يحادثها بل للجميع.

تبدل الحال الآن على يقين وتأكدت أن لا عودة ولا رجوع.

باقى لها أن تحافظ عليهم جميعا باقي لها تحدد مصيرها ومصير أولادها شبه الضائعين.

فبعدما كانوا يعيشون مستقرين بين أب وأم لم يكن همهم من الدنيا إلا رعايتهم في كفاح دائم في ظل ظروف اجتماعية صعبة بمساندة بعضهم البعض كأي أسرة من الأسر المكافحة.

كانت أول خطوة لت بد أن تبدأ بها وحبذها الجميع فيزيد حماسها رغم خوفها الشديد أن تبحث عن محام لها يتولى ويتدبر شئونها.

كان من الصعب أن تجده فلها ظروف خاصة أنها تملك عقد بيتها بيديها.

بالرغم من ترددها كثيرا وخوفها أن تقدمه لمحام يوثقه بالمحكمة ليكون البيت رسميا لها لا يستطيع هو أن يتصرف فيه فلقد فكر مرات عديدة في بيعه وتذهب هى إلى من يفكر في شرائه ليقف الحال بالتالي فهذه نقطة خلاف بينهما.

هي تخشى الآن وتخاف من طليقها تخاف أن تثق بأحد ويخونها معه وبالفعل ما كانت تخاف منه حدث فقد قدمت العقد لأحد المحامين الموثوق بهم قدمته مع توكيل رسمي منها له ليتولى أمرها قدمته وفى نفسها ثقة فى ربها وفى محاميها وبالنهاية فالمحامى الأول هو الله.

لم يخبرها المحامى بشيء...

بالفعل واصل قضيته وقدم العقد للمحكمة...

علمت من مصدر موثوق منه قريب جدا للمحامى أن طليقها ساومه كثيرا دون جدوى للحصول على العقد بأى مقابل.

مجرد عدم إخبار المحامى لها طمأنها وزادت الثقة فيه.

وكان أهلا لهذه الثقة حيث تركته يتصرف كما يشاء ولم تخبره بعلمها بالأمر واكتفت بحصانته لها بعد الله.

كثيرون ممن حوله زجروا من هذا الأمر بل واستنكروه خاصة من اعترضوا وقت كتابة الزوج لهذا العقد

كتبه فى ظروف غامضة لما يجعله موضع ريبة ولكن هى تأخذ حقها أعاده الله لها فالبيت يمثل لها سنوات عمرها وكفاحها معه.

تعبت كثيرا وتحملت وعاشت فى بيت العائلة وصبرت أملا في أن يوافيها الزمن ويوافيها زوجها حقها.

حرمت نفسها كثيرا وتحاملت عليها على أولادها.

لم تكن تملك شقة كبقية البشر في بيت العائلة بل هي حجرة واحدة اختنقت فيها هي والثلاثة أولادها.

يحاكيها المحامى في العقد ويؤكد عليها مما يزيد في عدالته ويسألها دائما إن كان زوجها قد وقع فعلا على العقد فهو على وشك أن ينكر إمضاءه تماما وانها لجأت إلى الزيف والتزوير.

لم تغضب الزوجة (إيمان)مما عرفته عن طليقها فهي تتوقع منه أكثر من ذلك تعلم أنه ما أبدى ندمه إلا على فعل كهذا وهو توقيع العقد باسمها عقد البيت الذي كان يمتلكه.

عقد البيت الذي ساعدته في الحصول عليه بأقصى قواها الجسدية والعقليه.

بالاول هو بيت أبيه وفى الأخير توفى أبوه لتدفع ثمنه لإخوته الذين ورثوه عن

أبيه.

لن تنسي أبدا سنوات عجاف عاشتها في هذا المنزل وما نسيت أبدا أنها دبرت من وظيفتها ووظيفته الحكومية التي من المفروض أن لا تقضى حاجياتها.

استطاعت من راتبها وراتبه أن توفر أقل احتياجاتها والباقي تدخره بما تستطيع أن تحصل على منزل وحدها

شيء لا يصدقه عقل...

ما قامت يستحق التقدير...

بل ما فعلا ما كانت تفعله للحصول على تقدير...

كانت تتمنى أن تعيش حياة أفضل عن سابقتها...

كان تود أن تهيئ لنفسها ولأولادها العيش في أحسن منزل.

العيش في أحسن شقة.

العيش أفضل مما كانوا.....

عددهم خمسة أفراد...

سكنهم حجرة واحدة...

بعدد سريرين...

العيشة بالفعل ضيقة تستدعى أن تعمل وتجاهد كثيرا وكثيرا....

هو لا يبالى للعيش أبدا يعجبه الطريقة بل يستسلم ويذكرها أن تحمد الله أبدا.

وهى بالفعل تحمد ربها ولكن حمدا بمبدأ أن تعقل وتتوكل.

العجيب فى الأمر أنه ينكر إمضاءه ويصمم على إنكاره ويتمسك برأيه ويكسب من حوله بالزور والبهتان الأخرى(سارة)تهتم بمظهرها تهتم للفت الأنظار إليها تهتم هي أيضا بعد فوات الأوان فلم ينسى مظهرها ولا بدايتها فما إن أفاقت من موت زوجها وجرحها الغائر بنفسيتها المريضة حتى انتبهت لحالها ليس إلا للفت انتباه من حولها إليها وحتى تشبع رغبتها في أن تحس بأنها مرغوب فيها.

تغيرت كثيرا وتبدل حالها إلى الأفضل خاصة حينما رأت اهتماما من شخص ما كانت تحلم به فلتعبر عن نفسها ولتعش كما عاش غيرها.

تذهب وتروح...

تلبس.

.أهم عنصر فى حياتها فقد غيرت من لبسها وهيأت نفسها تختلف عن ذى قبل لدرجة أن اهتمام (أشرف) بها لم يأت من فراغ بل أتى مما رآه فيها من اختلاف عن الزوجة تماما التى انهمكت فى عملها ونسيت الاهتمام بمظهرها وتعودت على طريقة لبس عادية جدا وهذا كانت حجته عليها حينما سئل عن سبب الاهتمام والنظر إلى أخرى ولكنها حجة واهية غير منطقية.

فالأنثى هي الأنثى لم تتغير....

برهنت له زوجته على ذلك حينما علمت بأنه ما زاغت زوجها على أخرى إلا للمظاهر الخارجية فقط..

علمت منه ذلك حينما سألته واستحلفته فهي لم تقصر بحقه يوما ولم تهمله عمدا وكانت له نعم الزوجة.

لم ينكر ذلك أبدا ولكنه وجه لها ضربة قاضيه حينما قال لها السبب وذكره بكل جرأة (بصراحة : هي بتفهم في اللبس عنك)

قال هذه الكلمة حينها من قلبه ربما لم يعيها بعقله ربما لم يع أن من أمامها أنثى بل في كامل أنوثتها.

هى ما زالت في سن صغير(إيمان) لم يذهب بها العمر بل هو يكبرها بعشرة أعوام.

تسمع منه هذا الكلام وهى في سن يساعدها على أن تجعل نفسها أجمل امرأة بل هي أجمل امرأة فى نظر نفسها.

يكفيها أنها كانت تهتم بنفسها داخل منزلها كانت تتزين له كانت ترى نفسها زوجة فى بيته فقط.

أمام الناس بل خارج المنزل كانت تقتصد ...حجابها منعها أن تتزين إلا فى بيتها.

بل هو من حكم عليها بلبس الحجاب وعودها الالتزام به حينما كانت في المرحلة الثانوية وجاء لخطبتها أول ما طلب منها هو ارتداء الحجاب لحفظ وزنه بين أصحابه وبين أهله .

هي فعلا ترتدي حجابا ولكنه لم يعتبره رسميا بل طلب منها المزيد من التحشم بلباسها وتلتزم بالزى الإسلامي لترفض مرات عديدة حتى ما يقرب من عامين حتى استسلمت له ولحجاب المطلوب منها عبارة عن جلباب واسع وخمار يبعد تماما عن ارتداء لبس ضيق أو لبس فضفاضا بالرغم من أنها كانت لا تشتهيه إلا أنها انصاعت له أخيرا حيث الإلحاح من الشديد من إخوته عليها لتقتدي بهم في لباسها..

الآن يلومها ويلقى عليها المسؤولية وحدها.

لماذا لم يلم نفسه وهو من قصر بحقها.

لماذا لم يشتر لها من الملابس ما يعجبه أن يراها فيه.

لماذا ولماذا ولماذا؟.

لماذا بالأصل لم يتركها وشأنها وحريتها في ارتداء ما تريده ولماذا هو من يعترض الآن على طريقة لبسها وإهمالها المزعوم منه على باطل أو ليجد حجة لنفسه تبرر له أن يزيغ نظره عنها إلى أخرى.

تاهت من إجابته وتاهت فيه أيضا ولم تستطع أن تبرر ما حدث فله حق أن يقول أكثر من ذلك ولها أيضا حق التغيير من نفسها.التغيير هو الحل....

كل شيء سيتغير ربما الحال يتبدل...

ربما يعود ما فات...

وهل فعلا تستطيع أن تعيد ما فات؟

هل ما راح منها سهل الرجوع؟

الغالى راح منها وبقى ما لا يفيد.لم تفعل ذلك الآن لسواد عينيه أو حبا فيه بل تفعل من أجل أن لا تخسر حياة هى الأفضل بالنسبة لها.

أولادها أولى ببيتهم أولادها فى حالة ذهول مما يحدث يبدو أنهم غير مستعدين لتقبل الوضع بل رافضين له غير مصدقين أن أباهم قدوتهم بالأمس يحتاج من يرشده اليوم وليته قابل للإرشاد فهو لا يستمع لأحد ولا يقبل نصيحة..بل يصر على عناده ويصرح به على علم من أولاده ولا يستحى من إعلان ذلك مما يدل على غباوته حيث جعل علم أولاده يمتد بأن يعرفوا بالأمر ولا يجهلوه.

بالفعل حماقته جعلت زوجته عاجزة عن التصرف تحاول أن تلملم أشلاءها بصعوبة.

حجته التي أخذها عليها هى طريقة لبسها....

هذا الأمر هين ويعالج سريعا دون إجهاد....

فهي إن انقطعت عن لبس كل ما هو جديد أو أو تساير موديلات العصر ليس جهلا منها إنما اقتصاد نظرا للحالة المادية فهي تراعى ظروفه أولا ودخله البسيط بل ومساعدتها له في العمل أيضا موظفه فى مصلحة حكومية والراتب البسيط تعودت أن تقضي منه حاجياتها وتوفر ليس جزءا بل الكثير من أجل أن تحصل على بيت لها ولأولادها الذين كبروا وما زالت لا تمتلك حجرة منفردة عنهم.

الأمر ليس صعبا فالآن ربما الحالة المادية ميسورة لا تحتاج لتوفير المال أكثر مما تحتاج إلى استقرار أمور بيتها.

فما كانت تحلم به طوال عمرها حققته..هي الآن ببيتها وحدها لم يشاركها أحد فيه ارتاحت من بيت العائلة ارتاحت من حصارهم ومن التعب التي كانت تعانيه منهم لتذهب إلى تعب الله وحده أعلم إن أمكن الشفاء منه.

هناك مشكلة ربما تواجهها ليست بكبيره ولكن الأمر فى الأول سيكون غير مقبول.

هي تلبس الحجاب الرسمي بمعنى أن التملص منه صعب فهي سترتدي على حسب الموضة بالرغم من كونه فعل حسن إلا أنها تعلم أن استنكار الفعل ممن حولها سيحول دون ارتياحها للأمر ولكنه أمر مؤقت أمر يجب أن تقبل عليه كما تقبل على امتحان بمادة صعبة لكن يجب أن تجتاز الامتحان وتنجح بجدارة.

حدث بالفعل الكل ينظرونها ويساءلون عن سبب التغيير ترى سؤالهم في عيونهم تراه ولا تبالى وليست مستعدة لأن تجيب.

ما كانت تحمل همه بالفعل هو زوجها يجب أن يدفع ثمن ما دفعه إليها يجب أن يتحمل نظرات الناس إليه وإليها بل يجب أن يتحمل ردود فعل من حولهما.

ربما لجأت لهذا الأمر ليس رغبة منها أو تباهيا ربما بمكر وكيد النساء فعلته

ليتراجع ويفيق حينما تضعه فى إحراج فالموقف ليس بهين بالنسبة لمن مثليهما.

أو ربما فعلت لتثبت للأخرى أنها لم تقل عنها شيئا فى أنوثتها فلتنسحب.

أو أن تثبت للناس حيلة الأخرى وها هي تتغلب عليها.

نعم اللوم عليها يمكن أن ينزل حيث وصلت لمستواها بل هي الآن تعلم أنها أقل شأن منها وهذا ما قرأته فى عين غيرها ممن كانوا يحبونها فترى فى عيونهم نظرات الحسرة عليها.

تراهم ينظرون إليها ويلمسون لها العذر...

تراهم يتركونها وشأنها....

يعلمون أنها لن تتحمل كلمة منهم ويعلمون أيضا أن هذا حقها لكنهم كانوا بالحقيقة يودون ثباتها وأن تتماسك أكثر من ذلك.

قصة حياة كاملة لم ينقص من تفاصيلها شيء كل تفصيلة تكون منه قصة محبوكة بأكملها بل في نظرها هي قصة صراع بين حق وباطل قصة فتح من الله ونصر مبين لها اكتملت عليها فصولة بحنكة محبوكة حتى إذا ما اكتملت لينفض عنها كل شيء لتحترق أوراقها فما لها إلا الصراخ والعويل بينها وبين نفسها.

نفسها فقط.

نعم نفسها هي من عاشت وعاثت نفسها هى من تعبت وعامت بل نفسها وحدها هي من حلمت ليتحقق الحلم.

نعم تحقق الحلم بمعجزة لينتهي عندها بمعجزة حكايتها تقشعر لها الأبدان ويقف مذهولا من يسمعها.

أيضرب لها سلاما....

أيشجعها....

أيواسيها....

أيلومها....

قصة تحمل النقيضين معا روعتها وفظاعتها لتظل هى قصة القرن بأكمله ليس في رأيها بل رأى من يعجز أن يفسر ما يحدث لها.

والأجمل فيها بساطتها بل رضاها وصبرها.وصمودها أمام هزات القدر لها أمام فوهة بركان ثارت تحتها لتعلن نيران حرب عليها ممن حولها ممن اتهموها حينا بالجنون وحينا آخر بقمة العقلانية التي نشد من أزرها.

عانت وتحملت وعاشت قصة كفاح لها هدف سام هدف يضرب به المثل هدف يقتدي به من أول الزمان إلى أخره.

هدف بسيط لكن من عجز عن تحقيقه لها هو عزيز عليها الزمن كتب عليه يسر الحال لم تستطع أن تسميه فقرا برغم من كونه فقرا من الدرجة الأولى وبرغم ذلك رضيت وعاشت.

تخرجت من الجامعة ولم يكن لها أمل في الحياة إلا أن يسعد زوجها يسعد على يديها تريد أن تكون له نعم الزوجة والأخت ونعم مم ترعاه.

هي تعلم معنى الحياة الزوجية تعلمها معاناة من الدرجة الأولى وتجاهد وتجتهد برضاها لأنها تعلم جيدا أنها معاناة مثمرة وثمرها ناضج بل منه نأخذ من الثمار وليدها.

حلمت كبقية النساء حلمت بالبيت وبالشقة المنفردة بعد زواجها حلمت بأولاد

توفر لهم سبل المعيشة حلمت بحجرة لها بحجرة لابنها بحجرة لبنتها فى المستقبل حلمت بحجرة كبيره لاستقبال ضيوفها حلمت بأعلى مستوى حلمت أنها ستناطح الأحلام فتحققها.

لم يفارقها حلمها حلمت أيضا بوظيفة لها ووظيفة لزوجها حلمها بسيط ولكنه بعيد للغاية حلمها ينير لها طريقها يجعلها تتقدم كل يوم خطوة لا تنسي أن تدعو ربها وهى تحلم وتتمنى وبداخلها يقين بأن الله سيحقق حلمها.

طابت لها الحياة يوما بعد يوم تعطيها وتعطيها أجل تعطيها ما يكفيها فقط ولكنها تتيقن أن البركة في القليل.

هذا القليل الذي حافظت عليه بقدر المستطاع هذا القليل المبارك فيه من الله لتعبها هذا القليل لأنه حلال في حلال.

هذا القليل يزيد يوما بعد يوم كيف يتضاعف لا تعرف ولا تدرى.

هذا القليل فكرت أن تستفيد منه فكرت أن تستعمل عقلها فيه مع مراعاة ربها فكرت أن تحقق حلمها باشتغالها بالتجارة.

حجرة جلوس لم يكن السهل غلقها ولكن من المفيد استغلالها تضحى بها وتضيف على نفسها وتحولها إلى محل تجارى لتستفيد منها وكان أمرا صعبا وليس بالهين ولكن جزء بسيط من الزمن ويعتدل حالها.

لن تبحث عن نفسها يوما المهم مستقبل أولادها المهم مستقبل أفضل في الغد.

أبو زوجها الذي يحبها بل يحب إشارتها فى بعض الأمور(إيمان)الزوجة الصبورة في نظره الزوجة التي تقف سندا لابنه وقدر هذا الوقوف بأن عظم احترامه لها والانصياع لأوامره

العم (شوقي)تحبه كثيرا وتتقرب إليه حتى أكثر من أبيها تحترمه وهو قدوتها في

الحياة حيث شخصيته الجميلة الجادة الحكيمة في كل الأمور فهو لا يخطئ فى نظرها ويعلو شأنه عندها يوما بعد يوم بل تنسب وجوده فى حياته أنه سبب تحملها للعيشة بل تحملها لابنه أيضا.

صحيح أن ابنه يعمل ويعمل ولكن مبدأه(إحيينى النهاردة وموتنى بكرة) أى لا يعمل للغد حساب وهى عكسه تقريبا وأبوه من يشجعها ويحافظ على ابنه وعليها أيضا.

بل يحب أولادها ويرعاهم ويتمنى لو يملك ما يساعدهم فى رحلة الشقاء ويغني عنها يتمنى راحتهم ويساندهم بملازمة الدعاء لهم دائما بل ويحثهم على مواصلة الطريق الغير وعر ويذكرهم دائما بأن يوما سيأتيهم وهم فى أحسن حالة ورقيق العيش يلازمهم حتى أنه يبتسم وهو يقولها ويطلب منهم الدعاء له بالرحمة إن لم يكن بينهم ولم ير هذا اليوم لتدعو له الزوجة بطول العمر فربما في عيشه معهم حكمة لا يعلمها ألا الله.

اليوم هو بينهم وغدا لا يعلمه إلا الله وجد المشاكل بين (أشرف)وأخوته يزيد يوما بعد يوم وجدها لا تنقطع خاصة بعدما قام بفتح محل تجارى فى المنزل أخوه يصارعه منذ زمن أخوه الأصغر منه بسنتين يريد المنزل منذ فترة وينتظر بفارغ الصبر إما وفاة الأب أو موافقة الأخ الأكبر وهو (أشرف)

أشرف (موافق)هو يعلم ذلك أما الزوجة (إيمان)ترفض وبشدة ويحتد الخلاف بينها وبين باقي العائلة لهذا السبب.

هي تعده سببا سهلا وهم يعدونه صعبا هي تعده حرية شأن وحرية رأي وهم يعدونه نقطة خلاف بينهم وبينها.تأخذ الأمر سهلا هينا من واقع الأخوة وهم يعدونه نقطة عداء بينهم وبينها.

يعدونها صاحبة رأى صارم ولكنه ينظرون إلى رأيها أنه ليس من حقها ولهذا فهي

تصمم على الاحتفاظ بحقها بفضل اقتناعها أنها على حق ولكن هى وحدها فى الملعب ليس بينها مشجعون وليس لديها من يصفق لها .

يأتيها رزقها رغدا من كل مكان بل يأتيها النعيم كله حين سماعها خبرا تكاد تطير له من الفرح ولم تصدق نفسها أنها قادرة على تحقيقه رغم بساطته في القول فهو وعر في الفعل

بل وعورته ممن حولها وحوله فهم دائما لا يحبون لهم الخير فى أبسط أموره أيعقل أن يتقبلوا هذا الأمر. سيحيطونها بوابل من نيران إن علموا به.

هذا ما قالته لأب زوجها (العم شوقي) حين فاجأها بقراره وعلمت منه أنه يتكلم ويطلب بجديه فتطلب منه هو أن يفكر ويتمهل فى الأمر وأن يكون باقي أولاده على علم به فيتعصب ويذكر أنه حر فى تصرفاته.

يعدها بأن يريح قلبها ويزيح عنها هم تحكم أولاده فيها هى وزوجها بأن سيبيع لهم قطعة من البيت مقابل مبلغ من المال هو يحتاج إليه بالضرورة وإذا لجأ إلى أحد أولاده الميسرين لم يعط منه.

قطعة من البيت تكون ملكهم وتجعل الأمور تحت تصرفهم تصرفا بها بعد ذلك أن شاءا وهو بذلك يريد أن يريحها هم التفكير وتشتيت بالها ويعدها أن ذلك أمانا لمستقبلها بل منفعة بقدر أكبر.

لا يطلب منها أن ترد بل تأخذ مهلة فى التفكير لترد عليه.

.الأمر لم يأت من فراغ والقرار كان صارما والرجل يحب ابنه الأكبر بل يعده توأمه وله معزة خاصة بالقلب عن باقي الأخوة فضلا عن أنه يكافح ويجاهد ولا يطمع فى البيت كأخيه الذي ضغط على أبيه من فترة حينا أحس أنه يحتاج للمال أن يعطيه مقابل أن يكتب له ما يضاهى ثمنه من البيت.

هذا ما يفعله الأب أو يريد فعله مع (أشرف)الآن ولكن بدون ضغط بدون طمع وهذا ما جعل الزوجة (إيمان)أيضا ترتبك من الأمر وتراجع حماها في الأمر ولا ترحب به.

تعلم جيدا أن الدنيا تنقلب رأسا على عقب.

الأخوة متحدون مشجعون لأخيهم (فهمي)أن يحصل على البيت.

العم (شوقي)عمره قارب السبعين...

الأولاد والبنات بما فيهم (أشرف)ستة ثلاثة أولاد وثلاث بنات كل منهم متزوج وكل منهم موظف في أحد المصالح الحكومية كل منهم تزوج وله أولاد وكل منهم يريد أن يؤمن حياة أبنائه.

تأمين حياة الأبناء بمنزل كهذا لا يسمن ولا يغنى بل يزيد الطين بله حينما يفكر اثنين من الأخوة أن يصارع مم أجل البيت ولكن الأب له وجهة نظر أخرى له نظرة ثاقبة فى الأمر بل له بعد نظر وما شجعه على ذلك أن ابنه (فهمي)بعدما اشترى من والده جزء من المنزل علما أن هذا الجزء لم يغير من الأمر شيء فالوضع يبقى كما هو عليه يفيده الشراء بعدما يتوفى الوالد والوالدة ويقوموا بتقسيم المنزل فيكون له النصيب الأكبر الذى يجبر الجميع أن يتركوا له حقوقهم بزمن بخس.

العم (شوقي)تحسر على هذه البيعة حيث وجد الطمع في ابنه بل وحب السيطرة وأكثر ما جعله يندم أن الله وسع رزقه فاشترى قيراطا من الأرض فى أرقى الأماكن وهم ليراجعه في الأمر أن يستمر فى خطوة شراء البيت منفعة لأخويه ليوافق فى مقابل ثمن زهيد .العم (شوقي)اليوم يريد أن يصحح الخطأ يريد تقسيم البيت بين (فهمي)و(أشرف)يريد أن يخدم بفعلته (أشرف)خدمة العمر.

لتصميم الزوجة (إيمان)على أن تشترى منه ليس في الخفاء حتى لا يعترض الأبناء بعد ذلك أو يتهموها بظلم وتزوير أحبت أن تتلاشى أيضا طريق الغدر وأرادت أن يطمئن قلبها وأيضا يكبر شأنها وتكون محل ثقة أمام من يعلم بالأمر بل تريد أن يستريح قلبها ولا تحس أنها أخطأت فى حق نفسها أو حق غيرها.

تعلم أن قرار البيع صحيح والرجل حر فيما يملك وتعلم أنه حقها كما كان حق أخا زوجها من قبل ولم يعترض أحد حينها بل باركوا البيعة على العلم أن هذا البيع سينقص من مقدار ما يرثون ولكنه نصيب ورزق وبالتالي لا يعترضون.

الآن بعد ما علم طار عقله ثار على أبيه بل اتهمه بالجنون بل كل يوم يتعمد على أن يعقد له مجلسا ليحاسبه على ما يريد فعله ربما يكون دافعا لتوقف الأمر.

حتى الآن ما حدث بيع ولا شراء ولكن النية ما زالت موجودة وما زال الحكم مستمرا والصراع لم يتوقف بل نزيف اتهامات من الأخوة إلى أخيهم الأكبر أنه يحتال على أبيه وما جاء القرار إلا من دهائه على أبيه.

الحق يقال أنها تنتظر هذه الفرصة تنتظرها ليس لتنتقم لكن ليعلم من ظلموها أن الله لا يضيع الحقوق دائما كانوا يتفقون عليها دائما يجتمعون ضدها إخوة زوجها ودائما إنت أشرف بجلوسها بحجرتها فقط لا يتيحون لها أن تتنفس بأي جزء بالبيت كأنما حد أقيم عليها ليقام أيضا على أبنائها وزوجها لا تعلم سببا لكرههم لها تود دائما لو يتقربون إليها ليلحظوا رغبتها ويبتعدوا عنها كأنما اتفقوا عليها.

هو وحدة المعترف بها في هذا البيت الملعون التى تود لو يخلصها الله منه على خير حتى زوجها انهمك فى عمله بل يمتلك طرقا أخرى للترفيه عن نفسه بل ينسي بالفعل وبسرعة إساءة إخوته له ويفوض أمره لله فيهم بحكم الأخوة سيهديهم الله.

أما هي فليسوا إخوتها كي تعانى منهم وتتحمل أكثر من اللازم.

حان وقت الخلاص بالنسبة لها لا تريد البيت فالبيت له بدائل أخرى بل أفضل منه بكثير ولكن تريدهم أن يذوقوا ما ذاقت هي دون أن توجه لهم أدنى مقاومة.

هم يعلمون ما فعلوه بها ويخافوا من إنصاف أبيهم لها دائما هو نعم المعين

وم من الأيام تجلس بعدما ترمى السلام على الجالسين لتتكلم أحدهم تريد التعرف عليها.

قامت بتعريف نفسها لتفاجأ بالرد الذى زادها ثقة بنفسها وجعلها تصمم عاى التمسك بشخصها.

أنت مين؟

إيمان.....

نعم ، إيمان إيه؟ أبوك...أمك...

أكملت التعريف بجدية، أكملته لتخبرها من سألتها بالآتى-:

أنت ليه بتقولي...كنت...إيه اتغير في الحال؟

ردت وهى تخبئ ابتسامتها....

نصيب..

أسمع إنك قوية جدا وإنك ما بتضعفيش...

أنا حتى كلمتك من دقايق بس....

لكن فهمت فعلا إن عندك عقل بالدنيا...

لكن نفسي أفهم ليه؟

لا ترد، تود أن تسمع تود المبررات بل تود أن تعرف رأى الآخرين فيها خاصة أنها عرفت من محدثتها أنها وصلت إلى ما يميزها من أحد أفراد عائلة من كان زوجها والآن هو طليقها.

سعدت بما سمعته سعدت بشهادة من كانوا يرفضونها ويتآمرون عليها...

لا تعلم إن كان قولهم شماتة أو كان قولهم مدحا لا تعلم سبب ما قيل أو مناسبته.

طال الموضوع وطال استماعها دون الخروج بنتيجة وقالت من تحدثها بحكمة قالت باشتياق ،للحديث بقية.

انصرفت وهى تفكر بكل كلمة قالتها وتتمنى لو تجلس مع كثيرين مثلها فهى تحب العقل المثقف فى الشخص المثقف.

المثقفون في الواقع الاجتماعي ربما هم أكثر الناس حملوا المأساة بحياتهم ربما لفهمهم الكامل لما يحدث ربما لاحترامهم الزائد أو ربما لمثاليتهم الزائدة.

كانت سيدة في قمة الجمال السيدة(جواهر) قمة الأخلاق عرفته شابا وأحبته(العم شكري) بالرغم من الفارق الاجتماعي بينهما بل بالأدق فارقا ماديا.

خرجت من بيت أبيها إلى بيته خرجت ليهينها سبا وضربا بل تخدمه بكل ما في وسعها لم يشكرها لم يوافيها حقها وهى بشخصها التي تجمع فيها كل مظاهر الجمال احترام ذكاء حب ثقة وفوق ذلك كل مقومات الجمال فيها.

ازدانت حياتها بالولد والبنت ليستغلها في سوء المعاملة ويزيد فيها.

صبرت وصبرت ولا تستطيع المقاومة...

هو زوجها وهى سيدة متواضعة لم تنل قسطا من التعليم عوضته فى أولادها

ليقفوا بجانبها.

الآن كبر الأولاد وكبرت هى والآن يرد الأولاد خطأ أبيهم عنها.

حكمتها فى سكوتها على ذل الزوج لم يكن من فراغ بل لتستعطف أولادها وتأخذهم فى صفها والآن يحدث ما يحدث الآن هم من يردون الأب عن خطئه.

"هو الصوت العالي ليس له نهاية...

ما فيش غيرنا في الحارة؟"

فيسكت الأب...

الحكمة من سكوتها طول العمر تظهر الآن ذكاءها فاح بالنتيجة.

الأب تعود أن يظهر جبروته على زوجته والزوجة بدورها كانت تصر أن تبعد عنه الأولاد تتحمل مسؤوليتهم مع كل مسؤولية في بيتها.

والأولاد الآن هم من يقومون بالدور الذي عجزت عنه من سنين.

كانت تعنى(الأستاذة أمال) بذلك أن تعطيها درسا نعم تعطي إيمان الدرس حيث تعلم أنها تعي مغزاه جيدا و تخبرها عن عدم صبرها أو ربما قلة ذكائها لتردها بكل صراحة بعد طول حديث....

وصفتيني بقوية.. كنت قوية لإحساسي بضعفه أمام من يعادوه كان غشيما بطبعه لا يعرف خبثا..

قاطعتها أمال بأنها تعلم..

أكملت

منح القوة حينما اكتملت عنده اشتد بقوته على بمعنى باعني بأول الطريق .....

ردت عليها بكل قوة بل بثقة....

حتما أول من يبيع سيكون أنت...

ابتسمت بل ضحكت لتهز رأسها وتقول :

فعلا....

و يستمر الحوار من الأخرى بالفعل حوارا تحليليا كاملا مختصرا للحياة التي عاشتها فى سطرين من شخصية أو مرة تراها على الرغم أنها من بلدها.

أسعدها الحوار كثيرا و أسعدها الاعتراف التالى بل هو أدهى و أمر فى نظرها حيث وجدت من يتكلم عن لسانها ويتحدث يدينها و يدافع عنها فى نفس الوقت بل إنها تحب هذا النوع من الحوار وتود التمادي و الخوض فيه بل ينقل لها نظرة عن مجتمع آخر بل مجتمعات كثيرة.

" اللي تتزوج بواحد زى أشرف بشخصيته على فكره أنا أعرفه و أعرف إخواته و العيله وصيتها بكامل احترامها هو شخصية جميلة ويبجي منها ..إنتى لمستي موقع الجمال فى شخصيته.. حبيتي تستغلى الجمال فيه وتوظفيه وتظهري أحلى ما عنده...

كل ده عشان يظهر قوى قدام الناس كلها.على فكرة الست جواهر دي خالتي وحبيت أسرد عليك قصتها مش من أجل تعليمك شيء إنت في غنى عنه ولكن لازم تعرفي إنه لم يكن هناك توافق اجتماعي بينهم خالتي كانت من عيلة من أعلى مستوى ورضيت بقليلها لما حبيته وكان مصيرها البهدلة ولازم تصبر ومع إنك متعلمة ومثقفة وقعتي بنفس الفخ كان لازم تبحثي عن مستوي تعليمي يناسبك ."

واصلت أمال كلامها بكل دقة:..

" على فكرة إنت حبيتيه قوى.

و اخترتيه على إنه هيكون قوى...

و انت مش ضعيفة...

إنت أقوى منه بس كفاية قوته قدامك وبحياتك...

كانت حيلة منك صح بس وقتها مش خلتيه يلمس قوتك خلتيه يلمس ضعفك وبس إنت حبيتى فيه القوة وهو حب فيك الضعف مش متخيل إنك هتتمردي عليه وقت اللزوم عشان كده لعب على نقطة ضعفك."

ردت إيمان بثبات:.

" الله عليك فهمتيني.. بس فيه حاجة ما قولتهاش

إيه هي؟

هو اتفاجىء بقوتي ،مش عارف إنها سر وجودى ولا عمري أظهرتها ليه.

ردت عليها بسرعة

وده سبب براعتك...

ومين قالك أنى انسحبت أو انفصلت لأن قوتي راحت ؟بالعكس القوة مبدأ جوايا لازم أحتفظ بيه وأنا بانفصالي منه ظليت قوية وهفضل قوية عالأقل فى نظر نفسى."

الحوار دار بعقلانية أسعدتها كثيرا بل أفادتها بالخلاصة بل الخلاص كان لا بد منه.

خلاص من الحديث الشيق و خلاص من الشخص الغير مناسب لها.

خلاص من الحديث لضرورة الانصراف حيث جمعهما مكان عمل و حان وقت الانتهاء منه.

لم تذكر فى الحديث أنه خانها أنه سلبها حقها ما عاد الامر يعنيها بل كادت تنساه تماما بل نسيت أبدا الشخص والوقت.

اكتمل فيها الدرس بذلك الحين بل استوعبت جديدا آخر.

ولم يكتمل الحديث بعد كل ذهب لحاله على أن يكتمل بوقت أخر.

ليست مسألة حرب ولا مسألة دق وتد بالنسبة لها ولكن البعض ينظرون إليها كذلك والآخرون ينظرون إليها نظرة شفقة بل يريدون أن ينصلح حالها ويودون لو تقبل اله دعواتهم لها.

هى فى غاية الخجل من الحال من نفسها ومما حدث لدرجة أنه حينما يوجه إليها حتى الدعاء تخجل أن توجه كلمة توحي بالرد على من يدعو لها لتقول فقط...

(قدر الإله و ما شاء فعل).

فيحتار بالرد من يكلمها وتظهر فى عينيه بل تقرأ الحيرة لتهم بالانصراف وهى تدعو أن يفك الله كربها.

قارب الأمر أن يكون موضع خزي أو عار بالنسبة لها حيث اشتد الصراع وتزايد يوما عن يوم بينها وبين طليقها أو زوجها السابق وهى تأخذ الأمر بجدية و تود بينها و بين نفسها أن توقف هذا الصراع دون أن تهز كرامتها أو تكون متهمة بالاستسلام.

تعودت أن تفعل كل شيء بحكمة بل كل فعل يصدر منها تجاهه حتى الآن هو بمثابة درس تعلمه إياه ليتحسر أكثر على فقدانها و ليذكرها دائما بكل طيب و بالكاد هو ما يحدث الآن.

كادت الأمور أن تكون يسيرة بالنسبة لها و كادت أن تضع كل نقطة على حرفها ليطمئن قلبها قليلا.

بالعلم أنه لجأ إلى القضاء.. لجأ ليطعن فى الطلاق وكأنه هو المرأة و هي الرجل وهى من أجبرته على طلاقها ...هذا ما رفع به دعواه لينطق عن الهوى بأن الطلاق باطل و يجب أن تعود إليه زوجته حيث لم ينو طلاقها.

كيف حكم على نفسه بأنه لم ينو الطلاق و هو من رمى عليها ثلاثة أيمان بمرأى و مسمع من حوله و بوجود شهود على ذلك.

طلب منها و حاول مرات عديدة أن تقف أمام القاضي لتعترف بعد طلاقها زورا و بهتانا وما كان لها إلا أن ترفض رفضا تاما و توكل محاميها بذلك و لا تقف مرة أمام القاضي لأن لا تبدي استعدادها أن تخطيء في حق ربها مثله.

الإنصاف والعدالة والدين والقضاء وكل الهيئات قالت مثلما قالت.

إن الطلاق بائنا و لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره.

و هو ما زال مصمم على العودة والرجوع وأمله فى أن يفوز الباطل كبير وهى لا تريد أن تقطع أمله ليعيش دون أن يلجأ إلى أخرى حتى لا يكتمل هدم كيان بيتها التي بنته فى عشرين عاما و تود الحفاظ عليه فما لها إلا الرفض والسكوت..بل نصحها كثيرون بالزواج لتفتح الأبواب المغلقة و الله وكيلها لا تريد أن تغدر بأولادها بل تود لو يعطيها الله القدرة لتستغني عن صنف الرجال.

كثيرون تقدموا لزواجها و كثيرا ما رفضت و تنتظر عدل الله و إنصافه فى أمرها.

و كيف لها أن تتزوج و كيف لها بالارتباط و ماذا ينقصها ؟

حباها الله بالبنات و البنين بل جمالا و صحة و عقلا فضلا عن أنها تملك من وظيفتها ما يوفر لها المال و ما تحتاجه هي و أولادها.

الآن أولادها يعيشون مع أبيهم ....الآن يمكن أن ترهم و يرونها ولكن بأمر أبيهم...لم تتركهم له قسوة بل جعلتهم وأوصتهم أن يقفوا بجواره فهو يحتاجهم أولا ويحتاجونه وثانيا هم بيتهم يعيشون وليسوا بالسن الصغير ... بيتهم الذي يجب أن لا يهجروه فقد فكر أباهم التفريط فيه بسهوله لولا امتلاك عقد بيت باسمها و أوقفته عند حده فى الوقت المناسب .. و الآن عقد موثق باسمها بعدما طعن فيه بالمحكمة لمدة سنتين و أخيرا حصلت عليه بإرادة الله و هذا تقريبا ما منعه أن يغدر بها أو بأبنائها حيث يحتمي بهم بالبيت وهي بالرغم من امتلاكها عقدا موثقا بالبيت و نصحها الكثيرون و خاصة محاميها بطرده منه و رفضت رفضا تاما حيث صانت سنوات العشرة أولا و وضعت بتقديرها ثانيا سوء حالته المادية فلا يستطيع السكن بمنزل آخر و وضعت فى الاعتبار الأول أبناءها الذي يشفقون دائما عليه و يطلبوا منها الرأفة به.

ما بقى لها منه ليس بكثير ... بعض القضايا فى المحكمة للنيل من حقوقها كزوجة و أم لأولادها والمحكمة تنصف المرأة دائما بالفعل حكمت المحكمة عليه بكل حقوقها فما لها إلا بلحظاتها الأخيرة تقدم التنازل التام عنها برغبتها لتفاجئ الجميع بأن الزمن لم يغيرها فيشيدوا بفعلتها و يحاول هو أن يستعطفها لتعود إليه فترفض رفضا تاما فهي ما تنازلت إلا لتمحيه من ذاكرتها.

يكفيها وضعها الآن يكفيها زيارة أبناءها و يكفيها راحة بالهم و يكفيها أنها خلصتهم تماما من المشاكل.

أما علاقته بمن تسبت فى خراب بيته كما يذكر هو دائما و يبكي حاله و الله أعلم أن يكون بكاء تماسيح فيكفيه من العلاقه أنها كانت و ستظل صماء ينكرها أمام الجميع ولا يعترف بها بل لا يعترف بالشخصية نفسها و لا يذكرها أمام أحد بطيب أبدا بل يتهمها ليبرر فعلته أنه وقع تحت تأثير سحرها وباطلها و لا يعلم أو يدرى بما كان يشده لها ... يقول أنه تبرأ منها تماما يقول ذلك و يطلب زوجته

حبيبة عمره التي اعترف أنه لن يعوضها و لن يجد مثلها.

فقدها للأبد بل فقد نفسه حاضرا وماضيا ومستقبلا...

حتى نزوته فقدها

حتى ثقة الناس فيه فقدها

حتى ارتباطه بامرأة لم يعد يلقاها أبدا

و لم يجد سعادته للأبد....

فاللعنة على نزوته ...

اللعنة عليها للأبد ....

عاش حياته صريع هواها و لكن بعد فوات الأوان وعاشت هي لا تبالي به بل تبالي بنفسها الحزينة التي ما إن وطئت قدماها باب السعادة حتى أغلق بوجهها بل أحكم إحكاما تاما وما يحزنها كثيرا أنه بفعل فاعل والفاعل من ؟.

رفيق عمرها .

ماذا تعني لها كلمات الحب والغزل منه بل و التحايل عليها وعادة الانتحال ماذا تعني لها بعدما ألقى اليمين عليها ثلاث مرات متفرقة وماذا بعد نكرانه لليمين الثالث وهو يغالط نفسه بل بالأول يغالط ربه وماذا عليها وهى مقتنعة بما هي فيه وأن لا رجعة لدرب عذابها بل اعتقالها لسنوات طويلة نسيت فيها اسمها ونسيت فيها نفسها وهي في قمة سعادتها و هي تقدم نفسها قربانا له دون شكوى.

أمطلوب منها أن تستسلم لطوفان يأتيها من كل جانب؟، يدعوها للاستجابة لما تراه ضلال لا يمكن التكفير عنه أم مطلوب منها أن تصمد وألا تستسلم لتلقنه بالحياة درسا، هي أو ل من دفعت الثمن بل هي من تذوق العذاب قلبا وقالبا ولا

يوجد من يعي ما فيها أبدا.

ما يقرب من أربعة أعوام حتى الآن وهي تقاومه جاهدة بل تجاهد شوقها لأبنائها الذين هم فلذة كبدها حتى لا تخطيء بالحياة مرتين خطأ فادحا ارتكبته يوم وافقت عليه أن يكون شريكها والكل يعترض على الحال بل وابل من النصائح لم تستجب له هذا ما ليس بيدها فما بيدها هو أن لا تعود أبدا وتظل طيلة عمرها وحيدة لتثبت له أنها بدونه ستصير كل شيء و هو بدونها لا شيء و تطلب من الله أن يعينها عليه و على جبروته المزعوم بل ربما يهديه الله إلى طريق أفضل بعدما يقدم فروض الندم على ما فعل بها من آثام.

وقف بجانبه بالفعل أناس كثيرون ليعينوه و هم مقتنعون تماما أنه واقع تحت تأثير سحر من قبل من ساندته في خراب بيته والتخلي عن زوجته الفاضلة بل يلحون عليها مرارا أن تذهب إلى دار الإفتاء لفتح باب الأمل الموصد عليهما .

و لكنها لم و لن تقتنع بما قيل للأبد .

فللأسف راح ما راح وفات ما فات و كل ضيعة يمكن أن ترد إلا كرامة الإنسان إن تبعثرت، فقد ظلت محافظة على كرامتها كأنثى و ستستمر في المحافظة أبد الآبدين مهما كلفتها من ثمن.

فليكن عبرة لمن خان وغدر ولتكن هي عبرة لمن صان وحافظ على كيانه وكيان أسرته للنهاية.

و ليظل هو نادما على إثمه فيها و لا يسعدها ذلك بل بالعكس ستستمر في طلب الرحمة و الهداية له إلى الأبد.

فليبارك الله لها في أولادها عوضا عما دار بها و ما ضاع منها و ليعيشوا سعداء طيلة عمرهم و ليعلموا أنها إنما ضحت لأجل إسعادهم فقط و قبل السعادة

رضا الله عليها وعليهم.

ما تمنته حتى الآن الثأر، ليس من زوجها ،ليس من الخيانة نفسها، ليس من نفسها ،بل تريد أن يثأر الزمن لها من تلك الطاغية الكبير الذي ليس له كبيرا إلا الله وتسبب في دمار بل تشريد أناس كثيرون في عقولهم و أولهم زوج ابنته حيث ارتكب فى ابنته إثما كبيرا بل ذنبا يجب أن لا يغتفر فلولاه و يشاء القدر أولا ما كان كل ذلك الخراب هو ذاك الدجال التي بدأت به القصة و لا أكاد أنهيها حيث لم تأت نهايته بعد أكثر من تسعين عاما على قيد الحياة أكثر من تسعين عاما بظلمه و جبروته الذى يهدم بيتا ما ارتكب أى ذنب أفراده إلا إعلاء كلمة الله .

نعم هذا البيت الذي كان صاحبه يعلم القرآن الكريم للتلاميذ وللطلبة بل يعلمهم قيم ومبادئ أيضا ليهتزوا و تهتز ثقتهم دون لا يجدوا أي تفسير.

التفسير الوحيد و لا مقايضة فيه هو (قدر الله و ما شاء فعل).

نعم وجد الكبير بعدله فضاع ووجد في المقابل كبيرا بظلمته وجبروته و لا يزال على قيد الحياة والواضح أن عقابه عند الرب عسير طالما أغمضت البشر عنه أعينهم دون مبالاة بالأمر فلا يبحث كل واحد إلا عن نفسه بأنانية مفرطة و باليته درس يعتبر به حتى لا يقع أحد بمثله أبدا.

(و الله المستعان على ما تصفون)

اعتراف الزوج لم يكن بالحسبان أو محل تذكرة إلا بعد فوات أوانه ولو كان يتمتع بأقل نسبة من الذكاء لفهم الوضع و تخطاه وكأن غموضا ينتاب الموضوع بدقة و لا يمكن الجدل فيه.

منذ ما يقرب من سبعة عشر عاما بالضبط حدث ما يلى:

الشيخ عوض : أنت الأستاذ أشرف.

نظر أشرف بكل جرأة و لم يتعجب من السؤال المفاجيء بل و جلسته المفاجأة بجانبة على مصطبة داره.

نعم أنا أشرف.

نظر إليه ليقول له: حاضر.

كأنما توعد بهذه الكلمة و كأنما حان وقت الحساب من حيث لا يدري أشرف و لا يعلم.

و الشيخ يمشي وما حدث سبب ليس ببسيط أدركه أشرف تماما.

كان أشرف بالفطرة و دون إسناد المهمة له يحب أن يلقي بخطبة الجمعة في المسجد بحارته ،من المعلوم أن الشيخ عوض يسكن بجوار هذا المسجد و برغم أنه حرم على نفسه أن يدخل المسجد بزعمه الباطل أنما نزل عليه وحي من السماء ليرفع عنه الصلاة وعلى من يطلب بركته بل صحبته ومن طلب صحبته يجب أن يستغني للشيخ عوض عما يطلب منه يقال لو طلب دار من يتجلى بقدرته ويعتقد فيه أو طلب زوجته لا يستطيع أن يرد طلبه بل أمر وينفذ في الحال و الله أعلم هذا ما سمع و ما رؤي آثاره.

أستاذ أشرف أو الكبير الواثق بنفسه دائما الفرح بشبابه الطموح أن يعدل ما في الكون من هزل ليحوله كله إلى جد بل يحب أن يصل ويوصل غيره إلى المدينة الفاضلة لم يجتز هذه المحنة من فراغ و لم يصل إليه الشيخ عوض هباء.

بل وقف على المنبر يوما لينبه خلق الله كلهم من هذا الشيخ الضال وعدم الاقتراب منه بأي وسيلة حيث يكفر بالله علنا و يدعي النبوة بل يدعي نزول الوحي عليه .

فعل ذلك بعنف الشباب و من واقع اعتراضه على الخطأ.

فعل ذلك من سنين طوال و الآن يخضع لمن حذر منه الناس.

بالله كيف نعي هذا الموقف بل كيف نفسره و كيف الخلاص منه.

بالله أسميها مشكلة القرن و من فرضت عليه و قيل له بدايتها يصاب بذهول أيضا.

بالله أيقال لو لم يقف على المنبر يوما و يسب هذا الغليظ لما حدث ذلك.

بالله أ..لها حل ؟.

لا.. هي حرب بين حق و باطل و بالله لو ينتصر المبدأ أفضل كثيرا من انتصار الأشخاص و الخسارة قليلة إن وقفت على الأرواح أما إن وقفت على هدم عزيمة و قوة و إرادة بل مبدأ أيضا فعلى الدنيا السلام.

طفح الكيل حينما سمعت بالبداية و يطفح أيضا لانتظار النهاية نهاية كل ظالم جبار للعباد نهاية من لا يخاف الله نهاية من يبحث عن نفسه و لا يبحث عن غيره.

ليس له أصل و ليس له بالبلدة أقارب و لا أحد يعرف ماضيه بل لا أحد يعرف كيف و من أين أتى .

ربما لأن جيله انقرض و لم يبق غيره.

لله في بقائه حكمة بالأكيد ليعتبر به من لا يعتبر.

صحيح أني لا أقتنع أن ما حدث من فعل سحره و اقتنعت أن كل أمر بالنهاية بأمر الله مقدر و ليس من شأن البشر توجيه شعرة إيذاء لبعضهم إلا إذا قدر بصحيفة المشيئة الإلهية و لكن تعودنا أن نأخذ بالأسباب و تفاصيلها.

الشيخ عوض قبل أن يلقب بشيخ و قبل أن يعرفه الناس رجل عادي ليس له

وزن بين بني البشر يقتات يومه من شغله بالأجرة هنا و هناك له من الأبناء سبعه ومن البنات ثلاث عزوته كما يقال.

انضم إلى من هم بالطريقة الصوفية حيث يذهبون إلى الموالد و حلقات الذكر و وجد فيها بغيته بالصمت و السكوت ليصل إلى تفهم عقول البشر بل معرفة الناس على اختلاف أشكالها و لونها حيث ينتقل كل ليلة من بلد إلى بلد و من مولد إلى مولد.

تعلم من خلال تنقلاته الإنشاد و المديح.

بل كان بارعا فيهما.

و بلمح البصر فهم ما يوفرون له لقمة عيش هنيئة حيث يذهب إلى النوادي و القهاوى في بلاد مختلفة و يتعمد أن يبتعد عن البلدة التي يسكن فيها حاجة في نفس يعقوب.

هو يغني ليعطيه من يسمعه قليل من المال يأخذه و يمشي ليعود بقوت أولاده .

مرة بعد مرة تعود عليه الناس و مرة بعد مرة يغيب عن أعين الناس ليتساءلوا عنه بل يذهبوا إليه ليجلس صامتا بينهم وهم من ينشدون و يزعم أن صمته أمر من الله فيتبرك به من يجلس معه بل يعطونه ما تيسر لهم من مال بل يهابونه و مكثوا معه لخدمته.

المغفلون كثيرون فبحنكة منه و ربما مسخر الجان بين يديه فيسحر من حوله به بل يهون عليهم أن يعبدوه.

الناس في الأرياف يتشبثون بمن مثله بل لم يصدقوا أن وجدوه ليعظموه لصالحهم و هذا ما حدث بالفعل.

أتقن اللعبة جيدا بل من حوله ساعدوه على ذلك و تمر الأيام و الشهور و

السنون وهو على ذي الحال لا يعترض أحدا إلى أن نال مناه مما أراد الوصول إليه لينتقي ضحاياه و هم من الميسورين ماديا لدرجة كبيرة ليحتال عليهم بزعمه النبوة و طلب البركة إلى أن يفاجأ من حوله بذهاب عقل من يستحوذ عليه و لا حياة لمن تنادي شاء القدر أن أجد من يخصني ،أن يقع بين يديه لأفصح عنه مما ذكر لي و رأيت بعيني وأطلب ثأرا ليس من البشر بل من الله العلي القدير أن تكون نهايته عبرة لمن لا يعتبر.

و نطلب النجاة لمن قدر لها أن تؤذى دون ارتكاب أي ذنب فيه أبدا و يمكن لهذه السطور القليلة أن توضح الا بها لما حدث و ما يحدث و ما سيحدث بعد ذلك.

الزوج في حيرة من الأمر في شتات يحق له أن يكون فيه و الزوجة تدعو ربها و الأولاد على أمل أن يعود و في النهاية يجب أن يسلم الأمر لله فلا راد لقضاه وفي النهاية يجب من الاقتراب من الله إلى حد كبير و لا نخشى في الله لومة لائم و يجب الرضا بما قسم و قدر، فقد قال الله تعالى (و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم)

صدق الله العظيم

أيقال خيبة عقل أم خيبة أمل أم محنة سيعوض صاحبها و أجره على الله.

بالنهاية الكل راع و كلكم مسئول عن رعيته و رب الأسرة هو رب مبادئها يجب أن يحافظ على نفسه أولا قبل أن يحافظ عليها. الزوج يسجد لله كل يوم بل يطلب منه المغفرة و المسامحة حتى تعود زوجته سالمة غانمة إلى عشها و لكن دون جدوى فطلاقها ثلاث بقسيمة موثقة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره .

ينصحونها بالزواج و هي ترفض ينصحونه بالزواج و يعجز أن يأتي ببديل عنها و الضحية في النهاية...(زوج ..زوجة ..الأبناء).

في الحقيقة أنها مغلوبة على أمرها بل ما يحدث لها ليست لها يد فيه وليس من اختيارها.

حينما تأتيها الذاكرة و تحكي ما حدث و ما يحدث لها لتبرر فعلتها و تعطي العذر لمن فعل بها ما لا يفعل بل لا تلقي على عاتقه اللوم قبل أن تلقيه على الزمن و الظروف ليستعجب البعض بل من يسمعها يحبس دمعته بعينيه فلا يسقطها لأن لا يجرحها و تحس بضخامة الأمر و لكنها في الحقيقة تعلم كل ذلك و تدعوهم إلى الرضا و الصبر بدلا من أن تدعو نفسها ليصاب من يسمعها بذهول بل و صمت رهيب.

لم تكن المحنة الأولى التي تمر بها في حياتها هناك محن أصعب و أصعب بل محنتها هذه بالأمر الهين لسابقتها و لكنها تستنكرها دائما قبل أن تستأنف ذكرها .

(إيمان)الصبورة الهادئة التي لا راد لقضاء الله عندها لترضى دائما بمصيرها.

حوار غريب يدور بينها و بين ابنها بعد طلاقها بأعوام لتقنعه بما هي مقتنعة به ليطمئن قلبه و قلبها للأبد.

أكثر ما كانت تخشاه أن يتزعزع قلب ابنها الأكبر هو ما يخصها دائما ربما لأنه يتفهم الحياة أكثر و أكثر و ربما هو من عاصر كل مشاكلها ليشهد عليها و على أبيه و يعيش بأثر المشاكل لتؤثر بنفسية سلبا فيحاول أن يتخطاها.

ابنها محمود أكبر الأبناء بل أعقلهم في بداية عامه التاسع عشر بمعنى أنه بكامل رجولته و فهمه للحياة بالصف الأول الجامعي أكثر ما يتمناه بالحياة الآن أن يجتمع الأم و الأب سويا ليستريح قلبه و يستقر وضعه بالحياة الاجتماعية جاءها سائلا.

" أمي ..إنت ما فيش أمل ترجعي البيت فعلا؟."

أنا أعرف إن الطلاق في حالة الغضب أو السحر أو الإكراه ليس واقعا و ربما أبي كان مكرها لأني عرفت و تأكدت أنه كان واقع تحت تأثير السحر.

نظرت إليه الأم و بكل ثقة و ما خار من قواها شيئا لأنها حددت مصيره و تعلمه منذ زمن .

نظرت لتحكي له و تقنعه دون رد مباشر و له أن يحكم.

(عمره كان عام و نصف تقريبا ابنها محمود وهو أول أبنائها بل أول فرحتها بالحياة برغم أنها عانت معه كثيرا ليبق على قيد الحياة وتدعو الله أن يعوضها فيه الخير وأبنائها الآخرين.

صديقة عمرها (ريهام)منذ زمن لم تصادق مثلها و ما ارتبطت بغيرها لتظل صديقتها الوحيدة التي تزورها من حين لحين ببيت أهلها حيث لم يسبق لها الزواج و لم تهيأ له بعد فتعودت مودتها لتجلس معها يوما كاملا يعوضهما عن البعد لانشغال إيمان عنها بأمور بيتها و زوجها بالرغم من البعد الدائم فما له أن يؤثر أبدا على علاقتهما.

مرت صديقتها بسبب مرض والدتها بظروف صعبة لم يكن مرضها بالأمر الهين حيث عجز الأطباء عن تشخيص حالتها و نصحوا باللجوء إلى طرق أخرى بعيدة عن الطب فما لصديقتها إلا أن تلجأ إليها للبحث عن حل و الفرصة موجودة بالفعل يعالج زوجها بالقرآن فمالها إلا أن تتحدث معه و تأتي به لإيجاد حل ربما الرقية الشرعية و القرآن يفتح سببا لعلاجها و إتمام الشفاء.

يأتي الزوج و يحاول أياما و أيام دون جدوى ليلجئوا إلى من هو أكبر خبرة بهذا الأمر بعدما فشل في محاولاته فالأمر يبدو عويصا ليستشيروا و يسألوا عن من

ينجدهم من ورطتهم التي لم تكن على البال.

الشيخ عادل من بلدة بعيدة عنهم تعرفوا عليه من خلال سؤال الأقارب و الجيران الذين عاصروا مثل تلك الظروف و ربما أفادهم .

اتصلت (ريهام) بإيمان لتجيبها بالحال و تأتي إليها مسرعة .

إيمان تدخل الحجرة لترى ببيت ريها نسوة كثيرون جاؤوا للاطمئنان على حال أمها كل في شأنه يتكلم عن حاله ومنهم من ينعي همه و يحكي عنه و منهم من يدعو للأم بالشفاء العاجل .

ألقت السلام و جلست بينهم و لا ترمي بكلمة واحدة ليدخل عليها الشيخ عادل بل على كل الحضور و يجلس بينهم دون إلقاء السلام ففطنت للأمر.

يبدو أنه جلس معهم من قبل و تعرف عليهم و يبدو أنه كان مشغولا في حجرة أخرى لمعالجة أمر ما بل يبدو أنه أنهم مهمته المسندة إليها.

جلس لتدخل الأم و قد بدا عليها التعب و الإرهاق بل تبدو في حالة إعياء شديدة و عدم إدراك لما يحدث حولها.

كادت تنزعج من الأمر و ينفطر قلبها خاصة حينما كشفت الأم عن ساقيها لترى و قد تحول جسمها إلى كتلة زرقاء بل تميل إلى الأسود فتساءلت عن الأمر ليفسر لها بأن الشيخ عادل قام بضربها ضربا مبرحها فقد أصاب جسمها ماس من الجان و هو يحادثه و لا يريد أن يخرج إلا بالضرب.

بالكاد هي لا تطيق مثل هذه الأمور و لا تطيق الجلوس مع من يدعي ذلك الأمر و تهم بالانصراف ليلحقها الشيخ عادل بالنداء عليها لتفاجأ و تحاول أن تدير وجهها إليه لتخبره أنها ستنصرف من جلسته.

ربما تنصرف لما أصابها من ذعر من الحال أو ربما لأنها غالبا يحدث بينها وبين

من يسلك هذا الطريق نفورا تعلم سببه ولكن تخفيه حتى عن نفسها.

لا حقها الشيخ عادل بسؤاله :. أنت زوجة أشرف؟

لم تتعجب من سؤاله فزوجه أشرف كان هنا بالأمس و التقيا معا بل تحدثا و لكن يبدو أنهما لم يرتاحا لبعض حيث بالأمر نافر و نفير.

مازالت تقف بمكانها و تجيبه بكل برود.

نعم أنا زوجة أشرف.

ناداها مشيرا بيده ..

تعالي هنا و أشار لها أن تقف بجانبه لتستجيب له في وسط الحضور.

هناك أشياء يمكن أن تحدث للإنسان تتحكم به و يعيش رهينتها رغما عنه لتتوقف حياته عند مسيرة معينه سواء رضي أم أبى.

صحيح أن كل شيء يتم بأمر الله وصحيح أن مقولة كذب المنجمون ولو صدقوا مقولة يجب الإيمان بها والتصديق لها لأبعد حد إلا أن القدر إذا لعب لعبته مع إنسان ليحتم عليه أن يصدق ماضيه بضياع حاضره و مستقبله وهذا ما حدث لها في الواقع.

نعم واقع أليم لا بد من التخلص منه و لا بد من تلاشي ما يؤلم به حتى إن كان ذلك على حساب أنفسنا أو حتى على من نعزه بقلبنا ليصبح موطنا غريبا بحياتنا لا يجب الاقتراب منه.

بقدر ما استوعب حسها ما كانت فيه و ما ستكون عليه بقدر صبرها على ما آل إليه حالها .

بقدر ما تتعجب من حال الدنيا و تتساءل : أي ذنب اقترفته بهذه الحياة فكان

سببا لما هي فيه ؟

لم تنفر يوما أو لحظا بحياتها إلا من إهانتها دون سبب وجه لها الزمن ضرب قاسية قصمت ظهرها حتى إنها تحاول أن تبكي أحيانا فتتحجر الدموع بعيونها.

بعدما تغلبت على الشقاء جاءها النبأ العظيم الذي أخبرها به الشيخ عادل منذ سنوات فقد مر من العمر ما مر و لم تعلم عن هذا الشيخ شيئا لا تعلم عنه حيا أو ميتا و لكن أول ما نطقت به عند نزول الطامة الكبرى على بيتها.

(كراماتك يا شيخ عادل) عاشت طول عمرها تكذبه و تسخر بقوله بل تضرب المثل بصمودها أمام ما نبأها به.حينها أشار بإصبعه على ابنها الذي أتم سنة و نصف من عمره و قال لها : ستجني ثمرة ما أقول حينما يكبر ابنك هذا وستعرفين أني صادق معك وإن لم تستجيبي فمصيرك هلاكا لا رجعة منه سيشير الناس ببنانهم عليك سيتهمونك يوما بالجنون ستصابين به أيضا حينما ترين الكون من حولك خطأ لتظنين أنك الصواب حاول معها بل ألح عليها أن تستجيب له كان يريد أن يفك عنها السحر و كانت على رباط قوي من نفسها و ذاتها وثقة بالله أن يغير الزمن ما نجم به.

قالها بكل قوة و هو على غيظ منها: (بحياتي لم أر مثلك في دماغك الناشفة).

يملك من طقوس السحر كثيرا بل قادر على تحضير الجن و لم يستطع أمام إرادتها أن يفعل بها شيئا لتحتج بكل قوة أمامه فلو استطاع إقناعها بالتمادي بما يطلبه منه ماذا لو لم يقوي عليها أيقوى الجن الضعيف فالنار تخمد بالقرآن وستظل تعالج نفسها به و تقاوم من أجل البقاء.

لم يقف علمها بهذا الأمر إلى حد الشيخ عادل فقط علمت من غيره ليس عمدا بل عن طريق الصدفة .

ظروفها كانت تحتم عليها أن تختلط بالناس المصابين بهوس السحر والدجل لتحضر جلسات علاج بالقرآن ليقرأ بوجهها من يعالج كل ما قيل لها من ذي قبل و لم تخش إلا الله و سلمت أمرها له.

كانت تعيش صراعا مع نفسها مع غيرها مع من يريدون إيذاءها و لم تعلم عنهم شيئا ليحتم عليها الأمر أن تبقى طيلة حياتها إما رهينة نبوءة كاذبة يمكن أن جاءت بمحض الصدفة و إما وَهْمًا حتّم عليها أن تصدقه بالرغم من أنها لا تيأس من رحمة الله ولكن في النهاية تحقق كل ما نبأت به لتلقي اللوم على عاتق من سحر لها منذ زمن و لا تعلم من أمره شيئا و لكنها كانت الحجة التي جعلت الزوج بعدما يئس من عودتها أن يبدأ بها مشوار علاجه بل يفيق من غيبوبته.

جاءه الشك إلى من سلم نفسه إليها ليبدأ بها .

هل حقا و قع تحت تأثير سحر منها أم راودها أبوها للانتقام منه و أيضا بفعل ذلك السحر اللعين فهو من سب أبوها منذ زمن على المنبر و هو من حذر الناس منه على مسمعه حيث المسجد بجوار المنزل و إن لم يسمع فسيخبره معاونوه.

الحقائق متشابكة و العقل بذهول و يجب أن يخرج من مأزقه وحده فهو من نصبت عليه الشباك ليصاب من كانوا حوله من زوجه وأولاد و هو من أصيب بالعمى و لم يفق إلا بعد فوات الأوان.

خارت قواها الجسدية و العقلية بذلك اليوم و ما لبثت أن عادت إلى بيتها لتلقي بجسدها على السرير تريد النسيان أو تجاهل الأمر و كيف تنسى ما قيل بما يتعلق بمستقبلها كيف لها أن تتعب و تقاوم بالحياة دون جدوى و ما زال الصراع مستمرا أتطلب منه الطلاق و تستريح لا لن يحدث ذلك أبدا تحب حياتها معه و تبذل كل ما في طاقتها للاستمرار ربما الآن هي على حافة الطريق يجب أن تلحق بنفسها وبابنها قبل أن يحالفها الحظ بابن آخر ربما بالأصل قد نوت أن لا

تنجب منه بآخر حتى لا تكون سببا بعذاب أولادها يكفيها محمود و يكفيه أنه مهدد من استقرار العلاقة بين أمه و أبيه بأي وقت لا لن يحين هذا الوقت أبدا مهما كلفها لو حتى عمرها.

نعم ستدفع عمرها كله ثمنا لتكذيب ذلك الدجال و من سبقوه نعم هم مخطئون و يكذبون وهي على استمرار للأحسن دائما.

تتذكر حكايات أمها عنها و ما قاست منه في طفولتها و تريد أن تفتح ملف هذي الذكريات لتقنع نفسها و ترضى بالحال التي هي عليه الآن و ترضى ابنها التي تحكي له.

أخذت بيده ليجلس بين يدي جدته الحاجة(يسرية) أمها الحنون التي تعاملها حتى الآن كطفلتها الصغيرة تشفق عليها دائما حيث هي أقرب الناس إليها و تعلم بحالها بل و تعترف بضعف ابنتها دائما.

تطلب إيمان من أمه أن تتحدث عن بعض ماضيها الذي سيؤكد فيما بعد ما تقوله لابنها لتؤكد أن لا رجعة عن موقفها.

" كان عمرك سنة و كانت العلاقات متوترة بيني وبين أبوكى ومشاكل العيلة ما بتخلص اضطريت أسيبك و أخرج و أنت لسه ما اتفطمتييش من الرضاعة كنت سايباكي عشان يعرقوا قيمتي مع إن قلبي كان يوجعني عليك قوي لكن الظروف كانت صعبة ولازم آخد موقف نهائي ووضع حد للي بيحصل.

خلاص كنت تعبت ومش قادرة أتحمل خاصة إن أبوكي كان على علاقة وقتها بواحدة تانية وعقد النية يتجوز عليه وده طبعا بمساعدة أمه وباقي نساء العيلة قال لازم له ولد بعد البنتين ومستعجلين بعد ما خلفتك أنت وأختك.

فضلت عند أهلي شهر رجعت طبعا إنك المفروض مفطومة وكنت جاهلة أول ما

شفتك رضعتك من صدري دخلت جدتك وعملت شبورة لأن فعلا ما ينفعش ترضعي وخلاص بقة لبني مضرة مش منفعة.

المهم يومها انتى تعبتي أوى وقتها بس فهمت معنى اللى حصل.

أخذتك المستشفي يمكن فضلتي فيها شهر على ما روحك ردت.

خرجت من المستشفى يوم واحد بس ولقيت جسمك كله والأكثر وجهك ملامحه ابتدت تروح قلقت وذهبت بكي للدكتور كتبلك مطهر لونه أزرق دهنت به كل جسمك وبالتالي وجهك شكلك أصبح غريب في عينية مش هنكر يومها إن شكلك كان يخوف أوى..كانت حصبة بس جديدة علينا وما نعرفش علاج إلا اللون الاحمر يملى الدنيا حوالينا .

إنت أصلا خرجت من المستشفى وانت عبارة عن هيكل عظم.

يمكن كنت بطلبلك الرحمة أهون من إني أشوفك كده.

طول عمرك يا إيمان بتقاسي يمكن ده سبب إنى مش بزعلك أبدا.

المهم وصلت الحالة إني أسيبك في الحجرة وحدك واخرج أقعد برة خاصة لما كان ييجي وقت وانا وانتي وحدنا بالبيت وده فعلا كان شيء محزن بالنسبة لى بس فعلا كنت من جوايا بموت عشانك.

طال الحال أيام وما فيش حل."

" زوجة عمك سميرة الله يرحمها ويجازيها كل خير ألحت عليه ونروح عند الحاجة سعاد .

هي مشهورة وقتها إن فيها لله و يمكن الشفا ييجي على إيدها وانا عاملة زي الغريق المتعلق بقشة.

الحاجة سعاد دخلت عليها و تبص ف وشك و تقولي قومي ارجعي لبيتك و ما تفارقيش بنتك أبدا دا يا دوب أسبوع و تموت.

يومها اتحبست معاك في الحجرة كان كل واحد مننا له حجرة بالبيت وكنا لمة في العيلة لا كنت باكل ولا بشرب واليوم يمر عليه سنه وابكي وادعي لربنا ينجيك ويشفيك .

يوم ورا يوم والأسبوع خلاص انتهى وانت روحك ترد لكي و تعيشي بس لسه مريضة و مش لاقية لك حل.

يارب اعمل إيه و كل واحد كان بكلمة.

أصعب شيء بالحياة لما نضطر نعالج داء بداء وده اللي حصل.

كانت زمان الناس يومها جاهلة بس ما فيش أمل في شفاك غير بالطريقة البلدي زي ما بيقولوا يمكن الدكتور لما غلب فيك طلب هو كمان أشوفلك حل بطريقة تانية.

فهمت إيمان لغة أمها لتجدها تتوقف عند الكلام ولا تريد أن تكمل.

نظرت إلى ابنها لتبتسم ابتسامة تدري بها حسرتها وانفعالها مع ما يقال."

" سمعتك يا أمي بتحكي الحكاية من كم سنة لواحدة بعد ما مشيت وسألت قلتيلي انسي الموضوع ده أنا بهزر.

الحاجةيسرية: موضوع إيه؟.

ايمان : إنت فاهمة يا امي ..كملى.

الحاجةيسرية: مش فاكرة يا بنتي ."

ذكرتها إيمان بما سمعته من زمن لتنكر الأم بمرارة و صمم أنها لا تتذكر .

إيمان : " سمعتك يوم بتحكي إنك اضطريت تتركيني بمدفن أموات كم يوم وده كان سبب شفائي.

الحاجة هانم : بجد يا بنتي مش فاكرة.

إيمان : خلاص يا أمي احكي فات الزمن وقلبنا جامد.

الحاجة هانم : افتكرت ده فعلا حصل لكن مش بإرادتي يمكن جدتك اللى هي أمي كانت زعلانة عشاني .

اضطريت يومها اسمع الكلام ما هو كده موت وكده موت ما جانيش قلب أخدتك هي وراحت عالمدافن وقت صلاة الجمعة قال إيه يمكن انتي مبدولة ولازم صلح مع اللي تحت.

إيمان : يعني إيه يا أمي؟

يعني كل واحد مننا له قرينة تحت الأرض لو صدر منا شيء زعلهم لا سمح الله يضطروا يؤذونا أو يؤذوا ولادنا ويمكن ده اللى حصل .ما احنا جربنا كل العلاج وما فيش فايده.

جمعة ورا جمعة ورا جمعة و نفذنا اللى اتقال وبسم الله ما شاء الله كان فيه نتيجة وربنا شفاكي."

ربنا أعلم .

" كنت يا إيمان هادية جدا و وديعة بطبعك وانتي صغيرة كنت بأوقات مضطرة أسيبك وحدك بالبيت وأروح أقضي شغلي آجي ألاقيك مكانك ولا حركة فضلتي كده وأنتي عندك أربع سنين جيت بيوم لقيتك بتبكي وخايفة وخرجت من البيت وسألتك عن السبب قلتي لي إن فيه حصان أبيض بيمشي عالجدار وانك خايفة منه.

إيمان : فاكرة انا القصة دي يا أمي.

الأم : ازاي فاكراها كنت صغيرة ومش معقول."

وصفت(إيمان)لأمها الزمان والمكان وما حدث بالتفصيل لتتعجب الأم و يتعجب ابنها محمود الذي يجلس هادئا صامتا مستمعا في حالة ذهول وتنظر إليه من حين لحين ليصدق ما يقال.

كل ما قيل له هدف عند الأم تريد توصيل رسالة ما إليه تريد أن يعلم أن حالها بذلك أفضل و هذه مقدمات التأكيد له ليقتنع أن الوضع لا بد أن يبقى على ما هو عليه.

الأم :" فضلت على الحال ده يا إيمان وانا مش فاهمة حاجة لحد ما جيت مرة وشاروت على حصيرة بالحجرة وقلتيلي الحصان بيمشي عالحيطة ويدخل هنا.

يومها الحصيرة خرجت من البيت كله ويومها بدأتي تنسي الموضوع.

بعدها حسيت إن فيك حاجة غريبة حاجة كويسة يعني عارفة لو في يوم فكرت أضربك زي ما أي أم تضرب بنتها كان يومها دراعي يقف ولا يتحرك .

في يوم ضربتك أيوه أنا فاكرة اليوم ده كتير زي ما يكون النهاردة.

ضربتك جامد كنت وقتها أخوك محمد لسه مولود كان يا دوب أسبوع خرجت خمس دقايق من البيت وجيت لقيتك دلقتي عليه مياه والواد ولا نفس يعني قلت خلاص مات وما إني إلا أضربك لحد ما عدمتي العافية وخلاص عدى اليوم وجه وقت نومي والقيني ماشية بشوارع في المقابر وف شارع وقفت ولاقيه ضلام وعربية كبيرة زى بلدوزر كده إنتي واقفة في وسط الشارع والعربية تمشي وجريت عشان ألحقك ما لحقتش وداست العربية عليكي مالكيش أثر تحتها وأنا بكل قوة أصرخ واصرخ وما فيش فايدة وف عز صراخي وبقول بنتي بعلو صوتي صحيت

وايدي ولا حركة المهم لاقيتك نايمة جنبي حمدت ربنا وعملت حسابي إن عمر ما أضربك ولا أزعلك أبدا كان كفاية الزمن مزعلك على طول.

آه افتكرت .

لما كان حاصل موضوع أنك اتفطمتي وانا خرجت ورجعت رضعتك تاني مش كان عندك سنة والله كان عندك شهر بس أنا دايما لما بفتكر مش بركز لأن ده كان أسوأ موقف بحياتي يعني كان حظك كده من يومك و قالوا كلام فاضي كده إنك ولا مؤاخذه مبدولة..إنت يا محمود ما تزعلش من امك هي عارفة مصلحتكم فين."

" بعد ما فاتت مسألة مبدولة و مش مبدولة و يمكن الله أعلم كان كلام فاضى وربنا وحده هو الشافي بس لما ييجي الميعاد شهر بالضبط وكنا بنبني الدور التاني بالبيت ابن عمك فريد كان بيتجوز و طبعا ده بيت العيلة ولازم نجوزه بالبيت ما هو متربي يتيم من غير أم و أب و كان لازم نكمل جميلنا معاه .

المهم الرايح والجاي أيوه بقة طابت لكم والكلام الفاضي اللى من وراه ييجي الحسد.

و انتي واقفة ولقيتك بتقولي آه بعلو الصوت لقيتك سخنة أوي و لسه يا دوب بقربلك ولقيت ولا حركة وعملت زي القنفد على وضعك إيدك و رجلك وقفوا يومها عالدكتور وجريت ربنا يعطيه العافية دكتور ماجد الرافعي و لحقك مني و يجيب حاجة كده زي الشاكوش ويخبط عل إيدك ورجلك وقالي اطمني.. وشوية دوا على حقنة و رجعتي تاني بس فضلت أعالجك بعدها أسبوعين و الحمد لله عدت على خير.

من يوم يا إيمان وانتى معيشاني بإرهاق بس على قلبي زي العسل.

تعالي بقة سنة واحدة وقلبي ارتاح من ناحيتك شوية وف يوم كنتي بتلعبي برة مع ولادعمك في بيت جدك المندوه خال أبوكي ولقيت زفة جاية الحقي يا مرات عمي و جريت لقيتك غرقانة بدمك ما اعرفش فيه إيه عالمستشفى العام و جريت.

إيمان : فاكراها يا أمي يومها كان فيه شال أبيض غطيتي بيه الدم وجريتي.

الحاجة يسرية: خمس غرز بدماغك .

كل الولاد يلعبوا وانتي قال إيه على بوابة حديد كانت كبيرة أوي سايبينها صحابها أمانة وتطلعي تلعبي فوقها تقعي وهي تقع عليك.

يلا نصيب والحمد لله عمر الشقي بقي.

تعالي بقة بعدها بسنة واحدة كنت نورتي كده واحلويتي وكنت جميلة أوى و انا قلت لنفسي الحمد لله الشر انزاح من عليكي.

كل اللي يشوفك يحكم عليكي إن رجلك فيها شكة خفيفة وانا مش واخدة بالي شوية بشوية ظهرت أوي لاء كله إلا ده تصدقي يومها جريت على مستشفي الحميات والدكاترة قالوا الحمد لله جيتي بوقتك ويومها فضلت أسبوع هناك أو أكتر مش فاكرة وعلاج طول اليوم وحقن كان شلل أطفال والحمد لله لحقتك واتعالجتي.

إيمان : بجد يا أمي مع إن كل ده وانا لم أتم ست سنين فاكرة كل شيء.

الحاجة يسرية: عشان كده يا محمود جوزتها أبوك كان طيب و صحته حلوة قلت يتحملها وتتحمله و كان على قد حاله قلت خدوهم فقرا يغنيهم الله."

قبلت إيمان يد أمها لتهم بالانصراف إلى الدور العلوي مع ابنها الذي استراح قلبه قليلا لما سمع و أحست الأم بذلك فكان حافزا و تشجيعا لتكمل.

وضّحَت له حقيقة الأمور أكدت حينها أن ما حدث لها و لأبيه من واقع السحر فعلا و لأنه قدر و مكتوب ليسألها عن من سحر له و من له دخل أو مصلحة بذلك.

إيمان : " عشت عمري بأكمله لا أخاف و لا أخشى أي شيء يعني عشت بقلب جامد يمكن أنا نفسي بتعجب عالقلب الجامد ده بس يمكن كمان حبيت اسمعك من جدتك حكايتي مع إني كنت صغيرة بس ده كفيل إنه يوضع إني لازم اتكيف مع ظروف.

عارف مع صغر سني وعدم إدراكي فعلا كل ده فاكراه صوت و صورة حتى فاكره الوقت ده معناه إن الباطن عندي غريب عشان يخزن كل ده بالوقت الصعب ده.

مش كده بس يا محمود كل حياتي متخزنة جوايا وبقدر استدعيها صوت وصورة بالوقت المناسب.

عشان كده مستحيل أنسى أنا بيني وبين نفسي وعد لازم أعيش دور المضحية بنفسها دايما عشان غيري ويعيش وغيري ده يعني إنت يا محمود."

تعجب الابن من كلام أمه ليس وحده فقط له أخ و أخت نظر إليها كأنما يسألها عن مغزى ما يقال .

كنت بالثانوية العامة كان أول أيامي أتعرف على أبيك صحيح هو ابن عمتي بس ما كان فيه خلط بيننا اتقرب لي و أنا بالثانوية و حاول يخطبني خطوبتي له كانت مغامرة كبيرة أول بل معركة كان أبوك فيها الخصم الوحيد اللي كان الكل بيحاربه " كنت بلعب دور صعب أوي وقتها وكبير عليه كنت دايما بحمي ضهره يعني مش منتبهة غير له وبس بمعني لو حد قسم وسطي لا هو هينفعني ولا انا هنفع نفسي."

بالفعل " عديت المرحلة دي بكل قوة بس كان لها تأثير جامد أوي بحياتي تأثير معنوي بس كان صعب تحمله.

عارف كوابيس لا تطاق عايشة فيها بالليل و مكتئبة و خايفة من حدوثها بالنهار مهددة بها خاصة أن أصبح كتير منها يتحقق الأدهى إن كنت بالوقت ده من عمري لوحدي عارف حسيت بالذنب لما وقفت بضهر أبوك فاهم ليه لأني اكتشفت إن واحدة ست وما يعملش كده غير راجل وراجل بطل.

دور البطولة تعبني أوي بس كنت لازم أكمله بجد حبيت الدور أكتر ما حبيت أبوك الأدهى إن أبوك بيحسب إني حبيته هو.

لا بالعكس أنا كرهت انسحابي لدرجة إني أدمنت دوري معاه.

فات الزمن ولا حسيت بنفسي ولا حتي بالزمن .

عشرين سنة يا محمود عارف إيه حصل بوقت بالأوقات لقيتني شوية شوية يروح من ذاكرتي العشرين سنة ده فعلا قبل ما ابوك يغدر بيه عارف أنا جيت بوقت صرحت له بالنسيان ده عرفته إن فيه شيء مش طبيعي بيتم بحياتي بس الشيء اللى انا كنت عارفاه أوي أني كفاية أوى علينا عشرين سنة وانا ف ضهره يعني ما حاولش مرة يبص ويشوفني وياخدني بحضنه ويقول كفاية.

يعني أصابه العمي من ناحيتي."

و أنا بدوري كنت اتعميت عن الدنيا كلها إلا هو عارف راحت عيوني و انتهت فعلا راح نظري لأني سلطت الضوء على شيء واحد بحياتي ما " سمحتش لنفسي بفرصة أتلفت يمين أو شمال عيوني اتصلبت ومش شايفة غيره."

كان نفسي يحفظ الجميل بدل ما ينكره.

" يا الله .. ما علينا."

سجل محمود بذاكرته جملة من وسط الكلام ليتساءل عن ما هيتها فتجيبه الأم عنها ليقشعر بدنه و يعلن أمام أمه خوفه من المستقبل و لا تعلم الأم مدى ما قالته و لا تعلم كيف قالت فقد حاولت أن تجعله سرا بينها و بين نفسها لخوفها ذكره بل خشيتها على ابنها الأكبر فلا يصيبه مكروه.

كأي أم بالوجود ترفض أن ترى ابنتها بيوم من عداد المطلقات فهو أصعب ما تواجهه الأم من محن.

بالفعل أدركت الأم أن ابنتها و ما حدث لها ليس بالأمر الهين أو العادي تشك بالأمر خاصة أن ابنتها في نظرها ليس بها عيب يضنيها مع زوجها التي عاشرته عشرين عاما.

استحضرت الماضي بذاكرتها و ما حدث لابنتها و تحاول أن تبقى على يقين وأن انفصال ابنتها أهون من عذابها مع من أصبح من لا يدرك قيمتها.

شيئ غريب عم بالبيت بالأم ،بالأولاد يحتم عليها بعدما ألح الزوج على الرجوع واللجوء إلى دار الإفتاء للفصل في قضيتهما بعدما ادعى أن الطلاق باطل فقد وقع تحت تأثير سحر ذهب به عقله عنه بل لم يترك أحدا من الدجالين والمعالجين إلا و ذهب إليه ليبرر فعلته و هناك شهود على ذلك سمعوا ما قيل عن مبرره و ما يحدث له عفوا عنه.

ألح الزوج المطلق على ابنتها كثيرا عليها لتذهب و تسأل بنفسها بعيدا عنه يمكن أن تقتنع وتقنع ابنتها التي نسيت تماما أنها تزوجت بيوم من الأيام.

ما زالت تسرد القصة لمحمود و ما زال محمود يستمع بشفقة و خوف شديد و ما زالت الأم مرغمة لتوضيح الأمر.

" جدتك (يسرية)أحبت أن تصدق ادعاءات ابوك دي قضية عصر ولازم نكملها

بنظرنا ونعرف الحقيقة ونوصلها عشان نكون على يقين من اللي بيحصل وإننا على حق ولا يمكن التنازل أو التراجع أبدا.

فيه بلد بجوار بلدنا سمعنا إن فيها واحدة بتقرأ الكف أو زي ما بيقولوا بتقيس الأثر بس يمكن ما يعلم الغيب إلا الله بل أكيد يمكن(كذب المنجمون ولو صدقوا) بس هي سلسلة حلقاتها مترابطة لازم أكون مقتنعة ولا أحس بالذنب.

نصحت جدتك كتير لأني عارفة اللي فيها.

زمان وانت عندك سنة ونص جاتني النبوء إنك وانت عريس هيحصل مشاكل بيني وبين أبوك مشاكل لازم تتم بطلاقي ما صدقتش يومها ولا الموضوع افتكرته وقت ما حصل بس ربطت المواضيع ببعضها صحيح كنت تعبانة عمر طويل علاجي الوحيد كان القرآن وربنا أقوى من الكل وصحيح إن سمعت الكلام من تلاتة لهم نفس الوضع أبوك كان بيعالج حالات الجن بالقرآن يمكن ده السبب اللي جعلني أعرف ويمكن عرفت صدفة وكذبت اللي عرفته لكن أول ما حصل وبدون سبب كان لازم أستحضر الماضي ولازم افتكر كل كلمة اتقالت وكنت لازم أصدق بس عارف دي مقدمات جعلتني أرضى بالأمر الواقع."

محمود : أمي ممكن أسألك سؤال؟

الأم : اتفضل اسأل.

" إنت ليه ما كتبتيش مذكراتك من زمان ؟

الأم : يعني إيه واكتبها ليه؟ . "

" ما هي متسجلة بذاكرتي صوت وصورة.

محمود : كتابتها بوقتها حاجة تانية بتذكري أدق التفاصيل وتعيشي فيها بنفس الوقت مرة بعد مرة كنت هتلاقي مدون بها كل ذكريات و الكل يقرأ و يستفاد.

و المذكرات تكون رواية من أفضل الروايات .

و أحلاها تكون واقعية وعن تجربة و الكل يعيش فيها و يصدقها.

الأم : أكتبها ازاي وانا اللي دايما كنت بهرب منها؟

عمري بحياتي ما كنت بقدر أمسك القلم و اكتب لو فكرت بلحظة أعملها كانت تقف إيدى و اترك منها القلم كنت بكلم نفسي ليل و نهار و اعيش مع الحالة كأني شخص تاني بيحكي عن شيء شافه و متأثر بيه .

كنت بهرب من الحالة و من اللي بيحصل ليل و نهار.

كنت فاهمة إني لو كتبت هصدق إن كل ده حصل و هيحصل وقتها كنت هعيش حالة جنون الصح إن كنت لازم أتناسى كل شيء عشان يحالفني الحظ ويتغير.

راحت جدتك للست دي بصراحة أنا عمري ما رضيت بالطريق ده و لا أقتنع بيه بس لزم كل اللي قدامي يقتنع برأيي بطريقته هو مش بطريقتي أنا لازم يكون جوايا على ما يرام لازم الحقيقة و الثبات على الرأي يفضل جوايا ما يتغيرش.

بمعني لا يفل الحديد إلا الحديد ويمكن بحاول اقطع الشك باليقين مع إني مقتنعة إن كله بأمر الله لكن بحثي يمكن هروب ويمكن تشبث بخيط رفيع.

الحكاية مش أبوك خان وانا اعترضت الحكاية قديمة و لازم تنتهي على خير.

الحكاية إن قلت لجدتك لو رجعت إيه هيحصل و فعلا راحت و اقتنعت .

الحكاية إني مش منجمة ولا عندي علم بالغيب بس علي يقين من إن كل اللي ربنا يأمر به كويس و لا راد لقضائه.

أنا بحمد ربنا إنها وقفت على طلاقي و بدعي ربنا يحميكم.

قعدت جدتك جنب الست أعطيت لها أثر ليه وده المطلوب الست رمت الأثر و

بصوت عالي لجدتك."

" إوعي تجيني تاني ما ليش حل فيها.

إن رجعت إما قاتل أو مقتول.

جدتك سألت عن إيه ذنبي؟ الست ردت قالت خليها تسبح ..الدنيا دي بأمر ربنا.

محمود : يعني إيه خليها تسبح .

يعني يا ابني نرضى باللي ربنا أمر بيه يعني ما فيش بإيدنا تغيير وحذار لو اعترضنا.

عارف أنا فسرتها بإيه.

يعني إني مطلقة من أبوك تلات مرات والقرآن والدين والرب كله حرم رجوعي ولو رجعت لازم المصيبة تتم وده حق ربنا فينا.

دا يا ابني بعيد عن أي سحر ودجل ما حدش يقدر يؤذى حد من غير إرادة ربنا.

دي معناها إني ارتكبت حرام في نفسي وفيك معناها ،إني لو مش أنفذ شرع ربنا وقتها حلال فينا يتم أى هلاك لنا.

عارف وجدتك ماشية حذرتها من إيه وأكدت عليها.

لو بنتك رجعت ابنها الكبير هيصور فيها قتيل.

عارف يا محمود معناه إيه البركة هتقل منكم كمان.

يعني رجوعي حرام.

يعني جدتك رجعت وما صدقتش راحت من بعد الست دي لاتنين و تلاتة و اربعة و قالوا نفس الكلام و حذروا من رجوعي بكل قوة.

يعني الجن رفض إني أرتكب حرام مع أبوك يعنى هم قالوا كلمة حق .

يعني معناها الجن بيفرق ما بيجمعش.

يعني لازم نصدق كلام ربنا.(فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)."

و انصرف الابن و هو مطمئن البال لهذا المقال حيث أقنعته أمه بأن كلمة الله هي العليا .

محمود قبل الانصراف: " يعني مش هترجعي البيت إلا لو بابا مات."

قالها لأنه يعلم أن أمه لن تفلت منها كلمة إلا و تنفذها.

" إن شاء الله يوم ما اتجوز ترجعي تعيشي معايا و لا أي حد يقدر يمنعك."

ابتسمت الأم و أومأت برأسها دليل على الرضا و ودعت ابنها بدعواتها له و للجميع . على شاطىء النهر وقفوا مذهولين ناظرين لبعضهم البعض لا يعرفون إن كانت نظرة غضب أم شفقة أم تمرد على ما حدث لا يعرفون حينها من المسئول و لا يدركون إلا شيئا واحدا (ظلم للمجني عليها) من البشر من الحياة بالنهاية هو ظلم لا مثيل له و لا مفر و لا مهرب من الاعتراف.

وضع كل الاحتمال لما حدث إلا احتمالا واحد الجاني أبعد عنه الشبهة ليرتاح ضميره ولكن أي راحة و هو في نظر الجميع مجرم لا محالة.

يقين

في البداية آهات أما النهاية فضحكات عالية

سامر:برافووو...تملكين تقنية جيدة لتمكينك من الرواية.

قالها و هو بيديه يصفق صقفة اعتبارية

نظرت إليه و تمنت لو يصفق لها الجميع.

بل أين هم الجميع.

ما زال المشوار بأوله و ما زالت تقطن أول محطة به و ما زالت تطمع بمساعدته و ما زال هو الآخر يراوغ أناقة تفكيرها.

نظرت إليه ريم و هي تبتسم كعادتها لتقول : " حكمت عليا كده ازاي وانا يا دوب قلت سطرين من الرواية."

شيء مذهل أن تجد من يسندك و يقف بجانبك بلا مقابل...

شيء جميل أن ترى حبا رائعا خال من أي هدف بل هدفه الوحيد أن ينتشر.

سرحت في حالها (ريم) و استعجب هو من سرحانها و ظن أنه متعمد لكنها تاهت كثيرا لدرجة أنه وجه لها الكلام و لم تسمعه ليذهب و يقترب منها و ينبهها.

ترتبك و تهم بالانصراف ، فيأذن لها لعلمه بارتباكها الداخلي و يريد منها أن تهدأ و لكنه لم يطلبها.

من المؤكد له أن ارتباكها سبب فى كتاباتها وربما تطويرها يتمنى لو يعرف كيف يزيد منها ليفتش من خلاله عنها . تعشق ريم الصمت دائما و لا تبوح بما في داخلها فتفصح عيناها لمن ينظر إليها بكل ما فيها من أحزان و بنفس الوقت تكون داعيا للمواساة فيختل توازن من يفكر أن ينطق أمامها بكلمة واحدة.

ما نسيت أن تترك له نص الرواية بالكامل ليقرأه مرة بل مرات فهى مع كتابتها له لن تفهم لم كتبتها و كيف و ما نويت أبدا أن تكتب ربما كان بداخلها شيء دفعها إلى ذلك لم تكن بعلم به.

ربما تركتها له رسالة لن يفهمها للأبد ربما هي تريد منه أن لا يفهم.

صديقها الوحيد على صفحتها بالإنترنت عانت في اختياره كثيرا بل ترددت

بالرغم من أنها بدأت بتقديم طلب الصداقة إليه و بعد دراسة تامة لمن حوله من الأصدقاء من تعليقات و مشاركات اقتنعت به تماما لتشارك منشوراته اليومية بتعليقاتها البسيطة فتلفت انتباهه ليبعث السلام على صندوق رسائلها الخاص فتمتنع عن الرد لشيء في نفسها لتجده يعتذر بكل تهذيب و يخبرها عن اسمه الكامل و عنوانه و رقم هاتفه و يخبرها أيضا بإحساسه أنها مميزة فإذا أرادت التواصل معه فلتبدأ هي بلا حرج.

لم يكن من طبعها أن تطلب صداقة أحد على صفحتها الخاصة بال فيسبوك تظنها تطفلا من الدرجة الأولى فى رأيها الشخصي أن صداقة البنت و الولد حتى على الفيس بوك أمر مفروغ منه.. و لو الواقع مرفوض منها تماما. تمنت لو تقف بين يديه لحظات الأمر بالنسبة فيه مختلف تماما و السبب مجهول قلبها يشدها

إليه قاومت بصعوبه بالرغم من علمها من خلال التعليقات أن له حبيبة تذكر فيها و من مدة انقطعت أخبارها و بدا كأنه يضيق ذرعا من عالمه من حينها.

حاولت أن تدخل هي إلى هذا العالم فكان منه تصريحا أن لا دخول فيه...صفحة و انطوت.

يبدو عليه غير ذلك و يبدو أنها تطمح فى غير ذلك و تود أن تجد الفرصة و لكنها صعبة... صعبة جدا.

أكثر ما فى الموضوع إثارة عبارته التي استهل بها

كلامه حين همت بالانصراف وعدته بإيماءة من رأسها أن سيكون إن شاء الله.

(أكملي الرواية ربما تفصح ذاتها عن هويتك)

ذابت الكلمات في ذهنها لتنشر علانيتها بالإيجابية بل دخول السرور عليها و تباشير حياة جديدة بالنسبة لها.

أنا ظلك... فاهمة.

و التفتت لترى المتحدث فلم تجده.

نظرت إلى المرآة وجدتها..نعم ... هي ... بل من زمن تمنتها... و لكن على نفسها تطرح سؤالها ... و بنفسها تبحث عن إجابة.

الآن هو من يسأل بل يجيب.

نعم... ستكونين ... كما تريدين .

تلف معجبة بنفسها أمام المرآة .

" أنا فرحانة أوى بيك."

أسعد يوم بحياتي .

و لكن ياترى هل قصدت الفستان أم من تختار من أجله فستانها.

هذا ما حير مرآتها و حير ظلها لينسحب عنها فى الحال.

يرن الهاتف لتسمع صوته العذب بداخل أذنيها لا تستطيع أن تحدد مدى سعادتها و مدى احتياجها بهذا الوقت بالذات لتلك المكالمة الخاطفة لتترك السماعة دون إرادة و تسرح بعالم متشابك الأحداث معه مرة و مع نفسها مرة أخرى.

صفعتها بضربة قاسية على وجهها دون أن توجه لها كلمة واحدة و بدون أن ترتكب معها أو في حق نفسها أي جريمة غير أنها أرادت أن تتحدى أنوثتها لتتحرر من مرحلة الطفولة وتدخل إلى عالم آخر فطري ليس لها يد في تحريكه ألا وهو عالم شبابها.

ما ارتكبت جريمة حينما نويت أن تفك ضفائرها التي اعتادت الأم نسجها من خيوط شعرها كأنما هي غريزة للأم أو إنما عشقت هذا المنظر فيها.

اعترضت كثيرا على هذا المنظر لتقول لها أمها:" لما تكبري اعملي اللي نفسك فيه."

و لكن كان يجب عليها أن تستأذنها حينما تكبر أو عندما تريد التغيير.

تحكم من الدرجة الأولى فى كل تصرفاتها و حجر عليها كطفلة أن تتصرف كباقي الأطفال و تتساءل مع نفسها كثيرا عن السبب بل يسألها زميلاتها دائما في المدرسة فلا تستطيع أن تجيب.

اليوم هي من الأحرار بل من الكبار بعيدة عن كل سيطرة وقريبة من راحتها النفسية.

عاشت ريم مع سامر قليلا بعد مكالمته لها .. الآن هى في حل من التحكم ليس عندها من يهينها و ليس عندها من يعترض طريقها وحدها فقط صاحبة القرار و تحديد المصير.

تبا لهذا الوقت أين أمها تريد أن تستشيرها بل تريد بهذا الوقت بالذات أن تطبع قبلة على وجنتيها تريد أن تفسر لها الأم حقيقة المشاعر التى تكن داخلها ما أحوجها إلى أمها الآن.

ترى نفسها أجمل الفتيات وهي تنظر بمرآتها الآن بل تحدث نفسها بذلك.

ريم في شكلها و لونها و روحها بل و رائحتها أجمل أنثى شعرها اللامع الطويل الذي يميل إلى اللون الأصفر و عيناها الخضراوان مع بشرتها البيضاء وقوامها المتوسط طولا وعرضا جعل منها دلالا يليق بمواطن جمالها بل تحس هي بذلك.

تعلم أن سامرا أدرك منها حلاوة روحها و ارتبط بها لشخصها فقط فلم يرها بل تكلم معها أولا دون رؤيتها بل لم يطلب منها يوما صورتها أو يطلب أن يراها إنما اكتفى بقوة شخصيتها التي لازمتها الرقة في معاملتها.

لم يعترف سامر بحبه لها و هي أيضا كذلك بل اتفقا على صداقة بريئة دون ذكر كلمة حب بينهما و ما زالا على اتفاقهما و لكن شيئا غريبا يشدهما بل يتحكم فيهما لا يعلمان مداه.

تحتفظ بألعاب طفولتها تنظر إليها وتسرح فيها ...لعبة واحدة تشد انتباهها دوما بل اهتمامها أيضا تحاكيها أسرارها دون أن تنطق بكلمة واحدة ظنا منها أنها تفهمها فالعشرة بينهما طالت سنوات و تكفي بخلق المعجزات.

اليوم مختلف .... طالت النظر إليها و كأن عينيهما تلتقيان لتعبرا... تود لو أن أحدا منهما تكلم و فجأة ...! تركتها من يدها كالعادة وضعتها بحنان بمكانها

المعتاد.. الكرسي المقابل لمكان جلوسها... ما نسيت أن تساوي شعرها أي شعر عروستها.

قلم خصصته للكتابة منذ أن عرفتها محتفظة به لم تكتب به كثيرا .

كم تمنت أن ينفد حبر قلمها لكن شيئا يقيدها حينما تمسك به.

ربما يخونها عقلها و ربما أيضا يخونها قلمها.

قبل أن تمسك به فكرت كثيرا ...أين تكتب؟بل.. ماذا تكتب؟

بالفعل اتجهت ناحية ونيستها أمسكت بها وبدون تفكير.. على كف عروسها الأيمن و ببطيء مستميت ترسمها .

كلمة دوت أنحاء حجرتها بل اهتزت لها الجدران و اهتز قلبها ... لم تعلم لذلك سببا.

(روايتي) لم كتبتها؟ على كف عروسها بالذات و الكف الأيمن .

فى الأيسر تكمل (لا تخونيني) و بعدها راحت فى سبات عميق لترى نفسها وكأنها تتكلم .. تروي ... تحكي ... تدون لكن ماذا ؟ استيقظت و لم تدر من ذلك شيئا.

هكذا ظلت الحياة بها ذكريات أليمة ، ماض يسرها مستقبل مجهول كل متشابك و متداخل لأبعد الحدود.

تذكرت ذلك و هي تجلس معه حكت له عن حلم اليقظة الذي يراودها من زمن قالت له..

يبدو أنك بطل حلم يقظتي ليرد عليها بكل ثقة و هو يقترب منها.. بل أنا .... ربما واقعك.

تحشرجت الكلمات بحلقها لا تدري ماذا قالت و ماذا تقول تبحث عن عبارة أخرى ترد بها أو بالصحيح تهرب فلم يحل إلا الصمت بها ليتحلى هو به مثلها.

(زينة) اسمها فى كل مكان ... منقوش على الجدران فى سطح مكتبه فى جميع أوراقه فى الأركان و يسود حرف (z)عالمه .

هذه خطوة أولى وصلت دون أن تسأل والسؤال الآن ... هل كشف هذا العالم كان مقصودا ؟

لم يحك و يقاطع دوما من يفاتحه و يهرب من الحديث بل و يسعى إلى تغيير الحوار و يظهر ضيقه.

ألم يكن على علم بأن أحدا يدخل هذا المكان ؟... هل دخلته هي بطريق الخطأ ؟.

هو من ذهب إليه و لم يشر إليها أن تذهب وراءه و حينما رآها تتبعه لم يعترض.

أيريد أن يبوح أن يتكلم أن يحكي ؟

نظر إليها و هي في عز تفكيرها ليقول لها (أبدا).

ما نسيت أن تترك له نص الرواية بالكامل ليقرأه مرة بل مرات فهى مع كتابتها له لن تفهم لم كتبتها و كيف و ما نويت أبدا أن تكتب ربما كان فى داخلها شيء دفعها إلى ذلك لم تكن بعلم به.

نظرت إلى هذا الشيء بغرابة و ألف سؤال راودها ... دارت بأرجاء الحجرة كأنما أرادت أن تظهر تجاهلها لهذا الشيء.

كتب متناثرة هنا و هناك بل هناك كتب ممزقة أيضا و هناك كتب بالية أقلام كثيرة نفد حبرها و أخرى كاد أن يجف منها.

حل الظلام فجأة على هذه الحجرة كأنما صدر أمر من السماء أن تظلم ليأخذ هو بيدها و يهم بالانصراف منها و يترك داخلها لما رأته أغرب الأسئلة التي لا تحتمل الإجابات.

(ريم) عبارتها المعتادة...(كل شيء حلو منى يروح) تسرح بعيدا مع نفسها و تود لو تتكلم بصوت عال و تبوح عما بداخلها من آهات نفسية.

ليت هذه الآهات قابلة للتبديل مع غيرها.... تظن أنها وحدها من تعيش هذا الشعور ،هي في عز شبابها ..اثنان وعشرون عاما.. طريقها مغلق دائما و لا تفتح لها أبواب السماء أبدا.. هذا كان ظنها .

ربما تشاؤمها هو السبب الرئيسي في حالة اكتئابها الذي عجز كل الدواء أن يخرجها منه.

شيء وحيد فقط، شيء لا بد أن يحدث لا يجب أن تفشل فيه شيء تتحفظ على حياتها من أجله كل حياتها ...تريد أن تعيش حبا يسمى الحب الأول وسيصبح أولا وأخيرا تريد أن تكون بحياة من يعشقها لذاتها من أول نظرة تعشقه هى بنفس اللحظة عيناها عينه ،قلبها قلبه ،كل الجوارح تنطق فى آن واحد وتظفر بمستحيل هذا الزمان.

فكرت فيه كثيرا وما رأته بالأمس معلق على حائطه .

من هي التي رسمتها أيدي فنان رسمها بوجه شابة و ملامح عجوز جسد شابه بثوب امرأة عجوز و ما ارتباط ذلك بحرف z أو اسم زينة؟ تحسدها، تود لو كانت مكانها، ليس لحبه هو بل تحب أن تلعب نفس هذا الدور بحياة إنسان يحبها تود أن يظل يحتفظ بها حتى لو فارقته.

نعم الفراق .....

ربما قاطعت الحياة حينها ربما أمسكت بالقلم لا تتذكر .. فقدت وعيها كثيرا و لا تجد من يعينها أن تفيق ..... حينما استعادت وعيها اعتبرت كل ما حدث خيانة .. دنيا لا جدوى منها حتى أمها خانت العهد معها ..

أمي ... أناجيك أناديك .. أحتاجك .. ما أشد حاجتي إليك اليوم ... تقولها و تتذكر لتبكي حيث علمت أن لا مجيء لها و تود لو تذهب هي إليها..فتذرف دموعها و تبكي ..ربما بكاؤها يريحها قليلا و لكن بعد أمها ما أتعبها.

" مش هتكملى ولا هى كده انتهت"

بعين ثاقبة نظرت إليه و قالت: " هي فيه رواية بتنتهى.."

يمكن .. هو فيه بطل أصلا فيه روح ... هي فيه حياة بطل تتنسي ... ربما أنا البطل ... ربما أنت.. ربما هو .. هم .. و كلهم ماكثون.

قالتها و هي تقفز من مكانها بمرح و تنطلق بحرية كأنما عصفور بالهواء.

عشق هذا المنظر منها و نظر إليها لتنطق عيناه أن استمرى.

في الورق نقول نهاية لكن في الحقيقة حدث النهاية يكون متعلقا بذهن القارئ إما أن يصدق أو تمنى تغييرها على رؤيته الخاصة..

" دى طبعا رؤيتي الخاصة."

أهو يتمنى تغييرها؟ دى معناها إن عمرها ما تنتهي.

(سامر)هو اسمه الحقيقي ... لم تنطق اسمه على لسانها منذ تعارفهما... مر شهران على التعارف الفعلي بعد صداقة سنة تقريبا على الفيسبوك.

تلعثم لسانها تلعثما من الدرجة الأولى تريد تجميع الحروف بداخلها أولا ثم نطقها ثانية.

أبدا ما نطقته ..

العجيب أنه ناداها و ما زال يناديها باسمها كأنما يتلذذ به.

(ريم)

" تعرفي إن اسمك حلو أوى! "

و ظل يريده كأنما إيحاء لها أن تنطق باسمه.

" اسمك فيه موسيقى بتشدنى ليه."

إيه رأيك...تيجى نلعب لعبة حلوة.

لعبة سهلة أوى..."

" بينا ننطق سوى حروف أساميناً."

ر.. ي ... م .

انطقي ..

نطقت ريم نفس الحروف ليقهقه هو ويقول لها

تأكدي أنك عشقت الهروب.

" أفضل لكي اسكتي .. لا تنطقي."

و مد يده مشيرا لها أن تقف بين يديه ليعوضها برقصة جميلة بين أحضانه ظلوا هكذا ما يقرب من ساعة يتيهون في عزف موسيقي قلبيهما معا إلى أن حان وقت الأذان سمعاه يجلجل بآذانهما كأنما قال لهما ... كفى.

الطريق اليوم مختلف تماما أول مرة تراه عين ريم أول مرة تحس بأنه طويل أول مرة لا ترغب بالعودة كانت تريد أن تكتمل ليلتها معه لو يجذبها إليه لكنه تركها و ذهبت هي .

نعم لا بد أن تذهب.

فى حجرتها .. ملابسها مبعثرة .. أدوات التجميل تبوح بأنها لا تستخدمها .. حتى مرآتها يتضح أنها غاضبة.

تنام على السرير تنام لتخفي وجهها بوسادتها تود لو تنقطع أنفاسها لو ينقطع وجودها بالحياة .

لا تدري ماذا تفعل توقفت عن التفكير حتى الكتابة التى ظنتها حلقة وصل بينها و بين الحياة أو تصالح روحها مع جسدها لم تكن تجدى .. فهى تعلم جيدا لمن تكتب و من أين يأتيها الوحي.

عشر ليال انقطعت عنها أخباره .. لا تدري أين تجده بل تسأل دائما من أين جاءها ؟

تحاول الاتصال به فلا يجيبها هاتفه . العجيب أن الخط متاح .. لا بد فى الأمر شيء كان يجب عليها أن تعرفه.... بل كان يجب الاستعانة بها إن كان فى محنة.

الغموض فيه من أول وهلة وقد تغاضت عن غموضه لتجده معها كانت تحس أن تدخلها بما فى وجدانه سيبعده عنها...

لا تعلم سر اهتمامها به ولكن ما تعلمه أنها ترتاح معه عن بقية البشر بل لم تذق طعم الراحة إلا بأول يوم عرفته فيه وهو يعلم ذلك جيدا فكيف له وهو سندها أن يبتعد.

أهو حلم في منامها واستيقظت منه أهو خيال ومر بها أم وهم ليس له بالوجود أثر.

عقلها مشتت ..لجأت إلى بعض المهدئات ففشلت حتى أن تجدي فيها.

ظلت كل يوم تذهب إلى حيث كانا يجلسا، ظلت تنتظره هناك بل ترى ما حدث بينهما بآخر يوم رأته فيه .

كانت تراه صوتا وصورة تراه أمامها و ترى نفسها معه رأتهما يرقصان سويا بل كانت تسمع عزف موسيقى غريبة حينما كانت تنظر إلى المكان الذي تواجدا و رقصا به.

العجيب أنها رأت نفسها تبكي وهي معه و رأته هو يمسح دموعها و ينصرف عنها تحاول أن تلحق به فتتسمر قدماها لينصرف هو و تبقى هي وحيدة.

تسأل نفسها دائما..أهى عاشقة أم على واقعها متمرده ليقطع سؤالها ما يجعلها تنتبه فى الحال وتقوم وتنهض مسرعة إلى مكان هاتفها المهمل وتضغط على الذر ويداها من الفرحة ترتعشان.

أخيرا جاءها أخيرا سيكلمها.. فلم يكن يعلم برقم هاتفها إلا هو و نطقت و لأول مرة و لا تعلم كيف نطقتها.

(سامر)... (سامر) ألووو .. ألوووو ... س .....

و أغلق الهاتف بل غلقت أبواب آمالها ليزيد العذاب فيها.

و كأنما أردت تعذيبى ... لا لا لن أحبك لن يدخل الحب قلبي بل قلبي سيسلب كل من يحبني إرادته أبدا لن أضعف هم من سيضعفون أمامي .

و انتهت أنها تكلم نفسها لتكف عن الكلام بل عن البكاء أيضا انتبهت لتذهب إلى قلمها....فلتكتب.

أمسكت بالقلم ذهبت إلى دولابها و هي تمسكه شد ذهنها قليلا تتردد حينا و تضع يدها على المفتاح حينا آخر.

أخيرا فتحت الدولاب لتمد يدها و هي تبتسم قليلا ابتسامة عليلة و كأنها قبل النظر إليها لا بد للعلم أنها جاءت تشكو إليها.

و نيستها بل عروستها و لعبتها التى خلقت بداخلها محل ذكريات عمرها .

أغنتها كثيرا أن تصاحب أو تصادق أحدا أغنتها أن تشكو إلا لها.

اليوم لا تشكوها بل ضمتها إلى حضنها لتبشرها بأنها ستطلق عليها اسما جميلا.

لم تسميها من قبل اعتبرتها روحا جميلا بل مخلوقا ملائكيا غني عن المسمى و التعريف.

ليته يعلم أننى لم أنطق باسمه أبدا لأنه روحي.

قالتها لونيستها قبل أن تناديها باسمها.

(سمر) اسمك سمر

" اسمك جميل أوي

عارفة الاسم ده ليه

عاوزة أتعود عليه

أنا بحبك وعاوزه أحب اسمك أكتر.

سمر .... سمر ....سمر.

عارفة لو تردى عليه.

عارفة لو تقولي نعم.

كانت اتغيرت حاجات كتير بحياتى.

عموما سامعاها منك بقلبي."

و قبلتها.....

و ضمتها إلى صدرها ليستغرقا سويا فى النوم باعتبارها أول ليلة تنام فيها

منذ أن فارقها (سامر) و تركها وحيدة شريدة.

نهضت من سريرها مسرعه نهضت على دقات قلبها المرتفعة لتودع عروستها وتعدها بأنها حتما ستعود .

لم عاد ذاك الطريق طويلا ؟ كنت من قبل أعشقه كنت أتمنى لو تطول المسافة بيننا لو أمشي على قدمي و أنا ذاهبة إليه.

اليوم أكرهه، نعم ،أود أن أمكث هناك أبدا أود أن أجلس مكانه حتى يأتيني .

شرد ذهنها فيما تذكرته وبدأت باستعادته بشريط حلمها.

تريد أن تتأكد من إشارته حينما همت بالانصراف عن أحضانه بآخر لحظة رأته فيها و لم تبال لارتباكها حيث كانت بغيبوبة تامة لم تفق منها إلا و هربت من بين يديه.

لم أشار إلى هذا المكان؟ و ماذا وراء إشارته و لم تنتبه هي وقت غيابه لتبحث ربما تجد ما يدلها عليه ؟

اللعنة للطريق.. حاجب بينها و بين وصولها بسرعة.

هيا أيها السائق هيا بسرعة... بسرعة أرجوك.

قالتها لنفسها و ما استطاعت أن تنطقها.

تهبط من السيارة بخطوات متثاقلة ربما خائفة .. ربما مترددة .. كانت تستعجل الطريق والآن تود لو تعود من حيث أتت .

لا ترغب الدخول بهذا اليوم بالذات، أتعود لتنتظره ....؟

لا.. صوت الموسيقى بالداخل.

تشتم رائحته .....

يناديها.. تسمع صوته .. نداءه.. بل يجب أن تلبي النداء.

دخلت لتنظر وكأنها أول مرة ترى المكان ..تعمدت أن تغمض عينيها ...تعهد شفافية بقلبها لم تعهدها من قبل بل تحس إحساسا غريبا يدفعها للداخل وهى مغمضة العين.

تواصل المشى وتواصل لتجده بين يديها ويلف ذراعيه حول جسدها .

حبيتى...قد جئت إليك..

نعم أنت حبيبتي.

بل أنت ...أنت ....زينة.

أحست كأنما طعنت لتفتح عينيها وتنظر إلى حيث اتاها الصوت فلا تجد شيئا

تصرخ و تصرخ و تصرخ و لا مجيب.

ريم ... اسمي ريم اسمي ريم.

سامر ... أنا ريم.

و ذهبت حيث أشار لها توقفت و يا للعجب .

كيف لها أن لا ترى إلا بذاك الوقت ؟

كيف اختفت هذه الصورة عن عينيها ؟

كيف أباحت لنفسها أن تكون معه بنفس الحجرة التى جمعته هو و زينة سويا ؟

الآن علمت ب السر الرهيب.

نعم هي زوجته هذه صورتها .. هما معا بليلة الزفاف بل هي زوجته.

و من أنا؟

و لماذا اقترب مني؟

و لم اقتربت منه؟

و لم لا يصارحني ؟

و ما لها إلا أن تسقط بجانب الصورة مغشيا عليها لتراه يحملها على يديه و تفتح عينيها له مبتسمة ناسية كل شيء وهي متعمدة .

يكفيها أن رأته أمام عينيها يكفيها أنها بين يديه حبذا هذه المصيبة لو كانت سببا فى اللقاء تريد أن تقول له أحبك و لكن لا تستطيع نطقها كل جوارحها مقيدة إلا عينيها .

ما هذا ؟

تريد أن تتكلم تتحرك و لا تستطيع.

انتفضت من مكانها فجأة لتعلم أنها كانت تحلم به انتفضت لتذهب للصورة ثانية و تود اللوم لكن: على من ؟

تثاقلت قدماها فى الخطى و لكن : قررت الرحيل.

لن تظهر بحياته ثانية حتى لو عاد إليها،لم يعدها بشيء لم يقل لها أحبك فلم كل هذا الحزن منها و لم توجه له اللوم دائما ؟

كان يهرب منها حين السؤال بالرغم من حبه لرؤيتها مناظر أطلاله القديمة و كأنه يطلب منها التدخل بحياته.

فجأة اختفى، تركها وهرب ،هل انتهى اللقاء بينهما ؟

هل قصد تعذيبها؟

لا وألف لا ،كان أحن عليها من أى شخص بالوجود، كان يستمع إليها وهى تحكى بلغة غير مفهومة وكان يعلق على كل شيء تقوله بجملة تدفعها للأمام دائما ،بل كان يهوى النظر إليها حين التحدث.

هو شخص ليس مثل الشخصيات التي عرفتها و رفضتها لكنه غموض من الدرجة الأولى شغل تفكيرها بحيز كبير و لا يمكن الخلاص منه بل ربما هو حبيبها المنتظر.

نعم ... حبيب ... و من الدرجة الأولى أيضا حظي بقلبها ليأباها قلبه و يرحل و يتركها فى حيرتها.

تقول ذلك لنفسها و تأبى أن تعترف لنفسها أنها الغموض نفسه و من الممكن أن تكون هي المسؤولة لما يحدث.

.....

ضحكتها جميلة ... وسط أصحابها تجلس لتظهر فيهم كوردة بيضاء بلبسها الغالب عليه لو الأبيض ... دائما ما تعشق هذا اللون حيث تحب أن ترى الحياة بيضاء لا لون قاتم فيها.

ربما توهم البعض فيها أن حبها للون الأبيض نقطة ضعف فيها لأنها رأت الحياة جميلة تحب النظر إلى السماء دوما حتى عشقت صفاءها بل عشقت أيضا لونها لينعكس هذا على لون ثيابها دائما و تعلنه صراحة أمام الجميع بتلقائية فتشد الناظر إليها و تشد أيضا من سمع حديثها بصوتها العذب الأخاذ.

ليس منه إلا أن أطال النظر فيها ليسرح فى حديثها و ضحكتها و بهاء وجهها.

يستشير نفسه أن يذهب و يرمي السلام ليجلس معهم بل يجلس بجانبها و يقترب منها ولكنه فضل النظر إليها حتى لا يقطع حديثها و رونق ظهورها بين من يجالسونها.

همّ الجميع بالانصراف و انصرفت هي وحدها دون أن تصطحب أحدا فيهم مما أثار العجب داخله بل أثار فضوله أن يعرفها جيدا.

تراجع ليفكر و يتمهل فى الأمر جيدا قبل فعله ليفضل أن راقبها من بعيد علّه يعلم عنها ما يود معرفته.

ركبت أتوبيسا يقلها إلى منزلها حاول الركوب معها و حاول أن يلتحق بالكرسي المجاور لها و لكن سرعان ما جلس غيره لينعي حظه و لكنه تناسى هذا للتركيز فيما يفعله بالخطوة القادمة.

كانت خطوة جريئة منه يعرف جيدا أنها بغريبة وربما بل مؤكد أنها سترفض و لكن ربما يريد أن يلفت انتباهها.

تدفع الأجرة ليخبرها من يحصل أن فلانا دفع لتحاول أن تنظر إليه و تومىء برأسها أنها لا تعرفه و تشير إليه أن يعيد إليه ما دفعه لتدفع هى و تتجاهل أمره تماما .

بالرغم من عدم التفاته إليها وكأنه ما فعل ذلك بالرغم من أنها تقريبا استقبلت وجهه بل حاولت تخزين صورته فى ذاكرتها لتستوعب الموقف جيدا.

نعم هو من كان ينظر إليها وهي تجلس مع أصحابها فى الحديقة العامة كانت تتكلم و هو ينظر إليها و كانت تلاحظه دون أن تعيره اهتماما.

لم يكن هذا الموقف بمحرج له و لكنه فرصة بالكاد لتعارف الوجوه بل ليجعل الوجوه مألوفة لحين ميسرة.

بائعة الفل تنادي على من سيشترى لينهض هو بعقد فل و يأخذ ه ليعطيها ما تيسر له من مال مقابل عقدها الجميل دون أن يسألها عن الباقي .

همت بالنزول لينزل مسرعا وراءها و بيده عقد الفل و بخطوة جريئة لم يسبق مثلها و هو يهرول وراءها.

ارتبكت بعض الشىء لتسرع في خطاها ليحدث ما لم يتوقعه و ربما تمنى حدوث مثله.

يسقط منها هاتفها حينما رن بعض الشىء وهي تحاول أن تنتزعه من حقيبته ليتوزع بثلاث جهات على الأرض وكأن القدر يناديه أن يقترب منها.

قبل أن تلتقط جزء منه على الأرض يسرع هو و ينتشله ليجمعه .

كانت البطارية فى ناحية و هيكل الهاتف في ناحية و غطاؤه في ناحية

" متهيألى لو ما وقفتيش وكلمتينى كل شىء هينتهى.

أوقفتها كلماته...كل شيء هينتهى!

التفتت و نظرت إليه باستغراب لاحظه هو و لكنه أمر طبيعي و محتوم.

لم يلتفت إلى استغرابها بل أكمل كأنه يتعشم فيها....

فعلا ... " هينتهى.

أنا شفتك صدفة و حاولت أعرف إنت مين لو مشيتي مش هعرف وكأنى ما شفتك.

هفضل مشغول بيكى وانتى كمان هتنشغلى بيه ويبقى حكايتنا انتهت وقت ما بدأت."

كلامه فيه براءة بل فيه جمال طمأن قلبها وتود الرد ربما بالشكر و لكنها عجزت حينما وجدته يحمل بيده اليمين وردة بيضاء ويده الشمال عقد الفل.

" الوردة البيضاء متعود تكون معايا دايما مش بتفارقنى لسبب محتفظ بيه لنفسي أما عقد الفل ده فلكي أنت"

تحياتي لجمالك يا وردتى البيضاء.

و انصرف و لم ينس أن يعطيها مع عقد الفل رقم هاتفه بل اسمه أيضا فى ورقه ناصعة البياض و عنوانه كاملا.

(زينة)الذي أحبها سامر من أول نظرة و تجرأ عليها ليأخذ كل كيانها و رغم ذلك أعطاها فرصة للتفكير.

لم يفرض نفسه عليها إلا كطيف أو حلم يقظة لتعود وتتساءل..أهي بحلم أم علم ليجيب قلبها أن أجيبي.

لم يصدق نفسه فيما حدث من جراءته و لم يصدق أنها تقبلت منه بل لم يصدق صمتها أمامه و لم يستطع أن يفسر سببا إلا رضاها التام عما فعله.

وقت أن اشترى عقد الفل اشتراه فقط ليشتم عبيرها فيه لم يكن يعلم أنه سيتجرأ ويعطيها إياه أو ربما اشتراه ليلهو نفسه عنها و هو يشتمه.

أما وردته البيضاء فهو فعلا تعود حملها بيده و يستطيع أن يبرهن لها على ذلك إن استطاع .

العجيب فيها إذن أنها مدت يدها لتأخذ الوردة و قلبها ينطق حينها إن كنت تعودت فلم تعطيني إياها .

ترهب في داخلها و تشرد فيه ونظرات عينيه و تلهو بالعقد إذ زينت به صدرها لتضعه على فمها تقبله.

يبدو أنها كانت تنتظر مثل هذه الفرصة بل يبدو علمها بها فلا تواجه بل تقبل.

بين ذاتيهما سر غامض جمعهما بل هي تعلمه جيدا و تعرفه كثيرا ما رأته و لكن رأته فى غير ذلك الوضع بل رأته و هو ينحني ليقبل و ردته البيضاء فى حديقة غناء و هي تنظر إليه من بعيد ... تكرر هذا الحلم مرات عديدة و الآن تستطيع تفسيره.

نفس الوجه تراه بمنامها دائما لتستسلم أمامه

عادت إلى بيتها مرحة تحدث نفسها بكلام غير مفهوم ربما تغنى وتتمتم بكلمات احتبست داخلها حان وقتها أن تبوح بها.

تحاول ريم أن تكتب روايتها التي توقفت عن كتابتها منذ أن رأت و لم تستطع أن تكمل أي سطر فيها، كانت تحس دائما بنهاية سردها داخلها بالرغم من تشجيعه لها .

عوضها عن الكتابة شيئا ما و الآن و قد صارت وحيدة إذ صدرت أحداثها داخلها فربما قبل ذلك لم تحمل المعنى أو الهدف أو لم يحضرها من قبل .

الآن و قد حدد هدفها و مغزاها.

الآن يخيل إليها أنه ربما قرأها فمنذ دقائق نشرتها علي صفحة الفيس بوك الخاصة بها... يخيل إليها بل تتمنى أن يأتيها بتعليق يحبذها و يحثها.

بل تود الاطمئنان عليه ... كيف له أن يهجرها دون سابق إنذار؟ و كيف استطاع أن يبتعد عنها؟ و لم يترك وراءه غموضا سواء بحضوره أو بغيابه؟.

في الحقيقة لم تعد تدري بأي شيء ولم تستطع أيضا أن تمنع نفسها عن التفكير فيه أو التفكير فيما رأته .

الصورة..نعم..لماذا لم يخبرها عن التفاصيل؟ و علام تدل إشارته؟ و لماذا الإشارة بالذات كانت آخر شيء بينهما ؟.

بعدها اختفى و مر على اختفائه ما يقرب من شهرين .

تعلم أنه جاء إليها خصيصا واستأجر هذا المكان ليكون بجوارها بعدما أخبرته بمكانها.

تعلم أنه صمم أن لا تسأله عن مكان إقامته الحقيقي و يكفيها أنه أتى إليها.

تعلم أنه ضحى من أجل أن يكون بجوارها بل ترك كل شيء من أجلها وكان لا بد له أن يعود ولكن كان يجب أن يخبرها.

كان لا بد لها من دماري حينها كانت تحلق بسمائي .. لم أكن أعلم أنها بالنسبة لي طير أبابيل حامت في السماء لدماري .

رأيتها تعيش بحرية و طلاقة رأيتها و ربما غرني المنظر.

أحببتها من أول نظرة.. نظرتها و ظننتها ملاكا سيسبيني في عالم الجمال دون خروج منه.

جميلة للغاية، حلاوة جسد ،حلاوة روح ،لمستهما حين رؤيتها.

بداية شظايا ألم أعيشها الآن ،بداية اعتراف بما أوتيت به من جرح و ألم.

السير في طريقك كان غريبا السير في طريقك المحفوف بالورود .

ورود بلاستيكية زينتها الأيادي علمت حينها أنها لا تزين القلوب علمت أيضا أني أحببتها ولم أسأل عن حبها لي.

حين نظرت إلى وجهها رأيت فيه البراءة لم أكن أعلم ما في قلبها من قسوة وجحود.

ليتني لم أرها يوما.. ليتها لم ترني و لم تستجب لي.

عودتني حبها لحين من الدهر لأعيش به صدمة العمر.

وأخيرا هيأت نفسي علي أن أعيش لأنعى همي حتى رأيتك من بعيد لأجد فيك ذاتي التي افتقدتها

من تكونين أيتها العذراء بل أتساءل من أنت يا من جعلتني أعشق الهروب منك إليك.

معذرة!!!!! لن تجدي بل لن أجعلك تعبثين بمن ستهوين عذابه معك .

رأت ريم مكتوب سامر بمذكراته بل هذا آخر ما كتبه بنفس التاريخ و بنفس الساعة التي غادرته فيها قرأتها ريم مرات و مرات عديدة لاستيعابها جيدا كان خالد ينعي همه كان يهرب من ذاته عن طريقها بل بوجودها بحياته نعم علمت بحبه الأول و لكن لم تتخيل أنه كل شيء بحياته.

ظننتها بيننا رقصة وداع لأجدها بعد انصرافك من بين أحضاني رقصة حياة بالنسبة لي سأعيش على ذكراها وسأكتفي بها يا من منحتني الحياة بعد مماتي.

كلمات كالحجارة تسقط على قلب(ريم)تسقط عليها حينما استيقظت من نومها وهي مستعدة لمواجهة الواقع بل مقاومة كل ما بداخلها.

صممت أن تعيش وتنسى صممت أن تحارب نفسها و تنسى بل تتوهم بالنسيان لتجد يدها ممتدة إلى جهازها الخاص لتفتح حسابها على الفيس بوك وترتعش يديها رهبة علمت مغزاها بعدما قرأت ما كتب.

بكت كثيرا وهي تقرأ رسالته.. نعم رسالة خصها بها ليعلن أنها بقلبه و أنه على قيد الحياة.. فلم يقاطعها ؟

لم تتعب من أجل الوصول لي اعترفت لي بعبارتها اللاسعة التي باعتني من أجلها.

حينها لم تسمعها أذناي ولم أستوعبها جيدا ..لا أريد أن أسمع بل أريد فقط رؤيتها لتعلم هي بذلك نعم علمت بنقطة ضعفي لتجيد اللعب عليها.

ما رأيتها إلا في أحسن صورة رأيتها دائما كما كنت أريدها لأراها ملاكي الذي هبط من السماء ليسكن بالأرض.

هل كان الذنب لي حين وقعت بها أم ذنب القدر وهل أنا ذنبك المنتظر؟.

تتوالى الرسالات يوم بعد يوم ،تتعجب ريم من وضعه تظل منتظرة طول اليوم ،تود كتابته وهي بين يديه تنتظر وتنتظر ولا تمل من الانتظار حتى إذا ما غفلت عيناها وتفتحهما لتجد الرسالة مكتوبة وغادر من يكتبها كأنه عالم بها كأنه يراها ويعلم أنها بانتظاره بل كيف علم أن الانتظار أعياها ليعتذر لها بل يعدها أن لا يبعث إليها ثانية لتنهار بل يتسرب اليأس داخلها.

لو أحبها أو اعتبرها حبيبته ما عذبها وما رضي لها بهذا العذاب.

ليس لها من الدنيا آلا هو وربما ليس له إلا هي.

أمسكت بالقلم لتكتب روايتها لتنظر بحسرة لورقتها التي غطتها دموعها.

الدنيا بلا شفقة بلا رحمة وأنت أيضا بلا رحمة ولكني أعدك بالانتظار ولن أمل منه كما مللت أنت من وجودي.

يا من أمسكت قلمي له: عد إلي لتعود روحي إلى جسدي، عد وستجدني حاضرك ومستقبلك.

عد وسأمحى ماضيك الذي لم أعلمه.

سأمحى من ذاكرتك أبدا بشرط أن تعود..

هل هذا وعد منك لي يا حبيب قلبي يومان أو ثلاث رسالتك كادت تحييني بل لم ينطق قلبك عن الهوى، لمستك تحبني بل تطلب يدي لتمتد إليك.

كدت أفتح بابي على مصراعيه لك ،بل لا أغلق نوافذه أبدا ،كنت أستنشق عبير هواك دون أن أبوح لك أو أنطق بها.

أدعوك وستستمر دعوتي..أدعوك أن تكون بجانبي.

سأظل ظلا يحتويك بل ويمحي آثار حزنك للأبد.

بل أنت أبدي في قلبي...يا مالكا قلبي.

كتبتها بيدها دونتها بالورق لم تستطع أن تدونها علي حاسوبها بينها وبين الورقة والقلم عمار بل لا تحس بالغربة إلا حين الابتعاد عنهما.

حاولت مرارا أن تتآلف مع لوحة المفاتيح بل محاولتها كانت للرد علي رسائله ولا علم لها بالسبب الذي يمنعها وتجعل يداها ترتعشان لمجرد التفكير في ذلك.

ربما لتعودها أن لا تنقل أحاسيسها إلا إلى ذاتها بل تعشق التحدث والشكوى إلى نفسها كثيرا.

ويلها ستظل هكذا طالما عنها ابتعد.

ريم: لا لن أستسلم أنت معي طول الوقت بل أنا حبيبي معك.

ترتدي ملابسها وتنظر في مرآتها علي وجهها الشاحب وتود أن تبتسم لتأبى شفتاها عن الابتسامة.

ليس البيت ببعيد بل قريبا جدا منها وتمشي إليه بخطواتها المتثاقلة ولا تدري لماذا ساقتها قدماها إليه ولكنها بالنهاية تخطو وتخطو إلى أن وصلت لتشتم رائحته بداخله بل تراه يمد يده ليأخذها ويضمها إلى صدره .

تتعود أن تدخل وهي مغمضة للعين لا نعلم سر ذلك.

فتحت عينيها تتمتم لو تجده فإن لم تجده تبكي.

الغريب أنها في كل مرة تدخل هذا المكان كأنها تدخله لأول مرة.

هيأت نفسها هذه المرة أن تتصرف كما لو كان بيتها كما المكان مكانها تريد ترتيبه على هواها بل تنوي أن تتخلص من أي شيء لا تهوى أن تراه فيه.

ما أرادت إلا واحدا فقط يعلمه قلبها بل هو فيه الآن.

بينما كان وكنا عاشت ريم عاشت عيشة ليست بمريرة وليست أيضا بهنيئة.تمنت من الله أن يعوضها خيرا عما كانت تعانيه دائما.

تركتها أمها بل رحلت عنها دون إذن لتراها في الرؤية فقط ،اتهمتها دائما أنها خانتها خيانة كبيرة بهذا الرحيل بل إنها لم تكتشف قيمة هذا الرحيل إلا بعد فوات الأوان حتى اكتشافه كان عفوا بل صدمة ليس بعدها صدمة أخذ الوقت منها كثيرا لتفيق منها.

اضطرتها الظروف لتفحص أوراق والديها الخاصة حيث غيابهما عن المنزل فترة طويلة نظرا لٍإقامتهما في إحدي الدول العربية إقامة دائمة كانت بالفعل تقيم معهما تتقبل عنت أمها وعدم اهتمامها بها بل إهمالا جعل الشك يتسرب داخلها كثيرا ولا تصدقه بل تحاول أن تواري شكها حتى جاء وقت صدام بينها وبين ذاتها التي أيدتها كثيرا في الشك .

شهادة ميلاد تحمل اسمها ..ريم...واسم أبيها بل اسم العائلة أيضا وهو أمر حتمي .

تدور الدنيا وتلف بها ويأتيها دوار شديد لا تستطيع أن تقاومه لترى حولها ظلاما حالكا ولا ترى عيناها النور .

هي وحدها بالمنزل تدير شأن نفسها ماذا لو أغمي عليها ماذا لو فقدت الوعي وهي وحدها بل ماذا لو صدقت نفسها فيما رأته عيناها و استوعبته.

كان شكها في محله.

تعود للوراء و تعود لذكرياتها .

تعود إلى معاملة الأم القاسية تعود إلى هجر أمها لها بل كانت تتركها وحدها دون أخواتها في المنزل هي في دولة و أمها و أبوها و أخوتها في دولة أخرى.

ما شأنهما ليتركا بنتهما و هي في سن المراهقة وحيدة بالمنزل .

الأب يسافر ويترك الأم والأبناء وحدها لتذهب الأم بعد انتهاء الموسم الدراسي إلي الأب ..تذهب وتفضل أن تأخذ أبناءها بنتا وولدا وتصطحبهم معها لتطلب منها أن تمكث وحدها بالمنزل بحجة أنها كبيرة وتستطيع أن تعتمد على نفسها وحتى لا تكلفهم أيضا الكثير لضيق الظروف المادية لتنصاع لأمر أمها التي ما تعودت أن تخالفه أبدا بل تحاول إرضاءها بكل الطرق أملا منها في أن تحسن معاملتها وهي لا تدري سبب سوء المعاملة بل الجفاء القائم بينهما بالرغم من اعتبارها بنتها البكر وأول فرحتها .

كانت تنتبه كثيرا للتفريق في المعاملة ولكن برابطة البنوة والأمومة لا بد أن تتنازل عن حقها واعتادت ذلك دون فائدة اللهم إلا الإهمال الزائد ليس له حدود.

انكسرت نفسها بهذه اللحظة لدرجة أنها قاومت كثيرا لتعود إلى وعيها لابد أن تقف وتصمد لا بد أن لا تغيب .

أدركت حينها أنها وحيدة بهذه الدنيا ولا بد أن تعتمد على نفسها .

ما لها إلا أن تأخذ شهادة ميلادها وتحتفظ بها بعيدا عن الأوراق وتجهز نفسها لألف سؤال وسؤال ويأليتها ترد عليها بل ليتها موجودة الآن لتسألها وتعرف الإجابة لتستريح.

ربما أجابت هي على كم من الأسئلة التي لاداعي لسؤال من يخصها الأمر.

فالأمر يجيب عن نفسه...نعم ليست أمها .

الاسم الموجود بشهادة ميلادها مختلف تماما عن اسم السيدة التي ربتها .

نعم قامت بتربيتها ولكن كانت مقصرة في عديد من الأمور جعلتها تتمنى في أوقات أن لا تكون أمها وبالفعل وضعت النقاط على الحروف بهذا اليوم وبهذا الوقت خصيصا بهذه الساعة التي لا بد أن تبدأ عهدا جديدا مع نفسها ولكن هناك سؤال يحيرها .

أين أمها؟

أهى موجودة أم رحلت عن الحياة؟

و لماذا تتوالى السنين دون أن تعرف الحقيقة.

أين العائلة بل أين من كانوا لا بد أن يسألوا عنها.

لها أم و ذهبت كان لا بد أن تسأل إن كانت موجودة بهذه الحياة و إن لم تكن موجوده بالفعل لها بديل أهل وعائلة الأم .

فأين هم و لماذا تجاهلوها و لماذا لم يخبرها أبوها؟

تفتح عينيها في هذه الحياة لتجد نفسها ين أحضان الأم و الأب ،آه لو علمت الحقيقة من ذي قبل لتغيرت الحياة و تغيرت الأمور بل تغير كل شيء بالقليل كانت قاومت القسوة والإهمال بحجة معها.

فات الأوان وراح الوقت سدى وما بقيت إلا المواجهة فقط فما عليها إلا الانتظار.

هذا ما دعى ريم دائما إلى كتابة روايتها التي ما أفصحت عنها إلا لسامر فقط.

هذه ليست بالفعل رواية في نظرها بل هي تعبير عما يسكن داخلها من إحساس بالغربة.

الطامة الكبرى أنها عاشت في غربة وستظل في غربة دائما بعدما وضعت الأمل فيه ليذهب عنها و يتركها دون سبب.

أكان يعلم عنها الكثير دونها؟

أيعرف الحقيقة ؟

أهو من باقي العائلة وحاول أن يقترب منها ليخاف و يبتعد لسبب مجهول؟.

ظلت تحتفظ بهذا السر الرهيب بالرغم من مواجهتها لزوجة أبيها و اعترفت بهذا السر إلا أنها استحلفتها بحق تربيتها لها وبحق حبها لهارغم ما تزعمه من القسوة ورغم اعتذارها لها عما بدر منها ما يجعلها تشمئز منها فلا تبوح بالسر لأنها تحاول أن تكمل الجميل بل الواجب معها فقد تسترت عليه من الزمن كثيرا.

وافقت ريم بشرط أن تعلم كل شيء و أن تحكي لها دون أبيها عن أمها و حقيقة غيابها عنها.

لا بد أن تبحث عن العائلة . بالرغم من كبدها في بيت أبيها كانت تجد اهتماما كثيرا من عائلة زوجة أمها بل لقبتهم كلهم بما هم أهل له.

خال وجد وجدة وخالة وعاشت معهم حياة طبيعية.

تبادل زيارات وعطف شامل منهم .. لم يقصروا أبدا معها وهي تبادلهم الحب وحتى بعد ما عرفت بأمرها عاش بينهم كأن شيئا لم يكن .

باقي أن تعرف عنوان أهل والدتها وأن تسأل عنهم بل تسألهم عن سر التجاهل المرير الذى اضطرت أن تدفع ثمنه بل و تدفعه كثيرا الآن.

" كنت قبلك قلبى ده زي الجبل لا كان بيحس ولا كان عايز يعيش كنت بتمناه يقف عن النبض كنت بتمنى أسيب الدنيا وامشى لحد ما قابلتك لقيته بيتنفض من مكانه بيشاور عليك بيقول هو ده .

ما عرفتش الضحكة الحلوة ولا الابتسامة غير معاك.

عارف لما بعدت عني بعد قلبي وسابني ومشي ما فضلش منه غير الوجع عارف بس أحلى وجع وانا ببكي على بعادك قلبي معاك وبينبض باسمك دايما يا أعز وأغلى الناس جوايا.

قلبي حاسس بيك حاسس إنك في محنة جامده أوى بس عزائي الوحيد إنك حبيت تعيش المحنة لوحدك ونصك التاني فاكر إنه عاش لوحده وارتاح بالعكس الراحة كلها كانت معاك انت وبسي ياريت تفهمني .

أيوه بحبك يا خالد وهستناك عمري كله راجع أو مش راجع مسيرنا نتقابل لو مش في الدنيا يبقى في الآخرة عشان كده وهبت قلبي لك.

وهبت قلبي لكل وعقلي للكتابة ....

أيوه الكتابة و بس..."

" عارف كتبت الرواية دى وما كنت أعرفك دالوقتي نفسي أكملها وانا عارفاك.

عارفة انها بسيطة جدا ومش متكلفة بس ليها معنى كبير أوي جوايا وانا بكتب عن غربة شخص حتى عن نفسه وذاته نتيجة إن اتغرب عن بلده يمكن وقفت منها سطوري .

عارف مش قادرة حماسك وأنا بقراها عليك مش قادرة أنسى ملامح وجهك انت بتسمعني مش قادرة انسى إنك قولتلي كملي بس كان نفسي اكملها وانت معايا.

عارف هكملها وكإني بكملها ليك وبيك وكأنك انت البطل.

نعم يا بطل.

عارف هي كانت بتحكي عن إيه ؟

عن بطل مش عارف هو عاوز إيه مش فاهم الهدف ما هي دنيتنا كده كل يوم بشيء جديد وهدف جديد.

عارف إني حبيت البطل أوي مع إني ماليش علاقة بيه بس يمكن السر يرجع وراء الغربة اللي أنا عايشة فيها.

أيوه يا خالدإنت جيت وكملت غربتي.

لكن جوايا إنسان اتخلق من وجودك جنبي إنسان أعتز بيه وانت كمان هتعتز بيه وهتفخر بيه أيوه ريم إن شاء الله هتفتخر بها قدام كل العالم.

لك مني السلام يا سامر و أكيد وصل لقلبك عشان وصل قلبي دقة حلوة الآن وكإنك بترد السلام وهو بيرفرف من الفرحة.

عن إذنك يا سامر أنام شوية بقيت أحب أنام واحب احلم بيك بحلم بك وانت طاير فوق في السما وانت تشاور وتقولي تعالي وتمد إيديك العجيب أني بمد إيدي ليك وانت تفرح أوي وانا كمان فرحانة لكن وقتها تيجي إنسانة شكلها غريب أوي يمكن مش من البشر بتيجي وتشاور لي من غير ما انت تشوفها وبتطلب مني شيء عجيب وبلاقي نفسي بنفذه في الحال أيوه بتطلب مني أنزل إيدي بخاف منها مش على نفسي بخاف عليك وهي تيجي تاخدك وتمشي أيوه تمشي معاها وانت حزين.

عارف مع غموض الحلم وكل يوم يتكرر بس بفرح إني شايفاك.

أكيد يا سامر فيه أمل."

تعلم أنه دخل بقلبها سريعا و لم تأخذ المشقة معه للنيل من حبها قسطا وتظن لأول مرة ربما أنها أخطأت ما كان يجب أن تصل إليه بالرغم من أنها لم تخبره بحبها حتى لم تكن تعلم أنها تحبه بهذا القدر ولكن علم من قربها له أنها تستريح بل علم أنه المعبر الوحيد للوصول إلى حياة أفضل ظهر ذلك في تعاملاتها معه بل واستجابتها دائما للقرب منه بالرغم من أنها كانت تعتاد الهروب شيئا ما.

لا بد لها من حياة أخرى بدونه ولا بد أن تمحو آثار همومها لتسلك طريقا آخر يسرها.

بدت ريم تفكر بجدية في أمرها بل تحاول الخروج من نمط حياتها المعقدة إلى حياة أفضل تضمن لها أقل سبل الراحة فكفاها من الحياة تعبا ومأساة.

رجعت بتفكيرها إلى نقطة البداية بدايتها مع الكتابة مع القلم مع الورقة تتذكر أن أول يوم بدأت في استعراض كتابتها على صفحتها الخاصة مالها إلا أن تتلقى كثيرا من الإعجاب من أشخاص لم تكن على علاقة بهم على الإطلاق وكثيرا من التعليقات التي وإن دلت على حسن كتابتهاحتى أساليب النقد التقليدية شجعتها كثيرا وجعلها تتواصل في الكتابة وتواصل معهم على الرغم من امتناعها دائما أن ترد على الرسائل أو حتى النظر إليها.

لم تكن أول مرة تكتب فيها ،بالفعل مارست الكتابة واعتادتها، بل كانت تهواها أكثر من القراءة وحتى الآن لا تعلم السر وراء ذلك..بدأتها وهي في الثانى عشر من عمرها بالرغم من أنها قبل ذك كانت تهوى التحدث مع نفسها عن أحاسيسها التى لم تستطع أن تبوح بها أو تعبر عنها لأحد علمت بعد ذلك ضرورة تفريغها على الورق ولكن كانت تفضل التخلص مما كتبت، خشية أن يقرأه أحد ويطلع عما بداخلها.

فتحت حاسوبها، ونويت الاطلاع على أول منشور لها على الصفحة ،هذا المنشور الذي أحدث ضجة في قلبها، بل جعل منها شبه كاتبة وشجعها على إكمال الطريق.

أصرت ريم على أن تقرأ روايتها كاملة على الحضور بسطورها ،كلماتها ،حروفا تامة، حاولت أن يعيشوا معها، بل عاشت هي معهم، ربما ليتعلموا أن ينصتوا وأن يستمعوا إلى ما هو أفضل .

أشارت إلى المصور بذلك الوقت أن يسلط الأضواء على الحضور فقط دونها،ربما الإيثار، ربما الهروب، بالنهاية جمعتهم على كلمة واحدة.

أنصت الجميع بل تمعنوا في المعاني، في الهدف، تعلو وجه كل واحد منهم ابتسامة تبدو جميلة على الشفاه مما جعلها تسعد كثيرا وتسألهم حين النهاية السعادة، حيث أسعدوها كثيرا وإذا بها تفاجيء الجميع بنزولها من على المنصة لتشير إليهم بأن يلتمسوا جلستهم كما هى وتمد يدها لكل واحد على حدة ليسلم عليها.

فيا لروحها الطيبة ويا لعزيمتها التي لم يهدمها الحرمان.

كان مختبئا بعيدا عنها يسمع كل ما قالته بل يرى صورتها أمامه على الكاميرات يفرح بقلبه كثيرا لما آلت إليه يود لو يقبلها قبلة تهنئة، لوتأتي بين يديه ولكنه فجأة يرى وكأن الكاميرات قد تعطلت أو صدر أمر بإغلاقها في وقت حرج، ففرحتها تكفيه من الدنيا أن ينظر إليها، لم يستطع التحمل ،فكر مليا أن يخرج ليراها ليس صورة بل حقيقة وإذ به ينفث من الضيق ويختنق من هول ما حدث ليلتفت عله يحاول إلقاء نظرة عليها إذ هو لأول مرة يسمع هذا الصوت العذب مناديا باسمه ولكن بطريقة مختلفة عما اعتاد سماعه من قبل وكأن موسيقى تعزف على أوتار أذنيه (س ..ا... م ... ر).

لم يصدق أذنيه دارت به الدنيا ليحلق أول ما يحلق على عرش الحجرة بل فى كل أركانها إلى مصدر الصوت ربما يخيل إليه فيصطدم إذ به يسمعها ثانية بل مرات عديدة ليغمض عينيه ويمد ذراعيه ذاهبا إلى مصدر الصوت الذي تحسسه بقلبه وها هي ريم بالفعل بين ذراعيه آهات ضحكات هستيرية من حلاوة اللقاء إلى أن فاق لينظر بوجهها ليجد دموعها ممتزجة بلون ضحكاتها فتمد يدها لتمسحها ويقبل عينيها ليقول لها.

روايتك.....أنت...أنا.

ريم:صباح الخير.

سامر: " ريم عاوز اشوفك ضروري."

ريم: خير يا سامر! قلقتني عليك.

سامر: " بجد وحشتيني عاوز اشوفك بس."

ريم : لو كده ماشي .. قالتها وهي تبتسم و يطير قلبها فرحا فما عهدت منه هذه الكلمة أبدا .

في بداية تعارفهما اشترط عليها أن لا تقولها فهو لا يتفاءل بها.

ريم: " سامر إنت نمت كويس؟"

سامر: أول مرة تسأليني السؤال ده.

ريم: و انت أول مرة تقول .....

قاطعها سامر بقوله: " وأنا كمان وحشتك تعالي بسرعة.

ريم:حاضر يا سامربس هجهز نفسي وافطر وحالا جاية.

سامر: لا أنا مجهز الفطار عامل حسابك.

ريم: يبقى فعلا يا سامر ما نمتش.

أغلق سامر هاتفه بعدما قال لها (ريم)منتظرك.

انهمرت دموعها اليوم ليس على سامر فقط بل على نفسها أيضا التى اقتربت أن تتحطم ولكنها تحبو بها إلى عالم الخيال المحبوك فيسرها قليلا لتخرج من المأزق بيسر وسهولة.

أصرت ريم قبل عبور طريقها أن تقتحم العالم الخاص لمن تسبب في قلقها المعهود عالم سامر وحده هو ما يكفيها ما نسيت يوما أنها كما ملكت مفتاح قلبه ليمتلك قلبها إنما هي أيضا تمتلك مفاتيح منزله.

تسرب إليها الشك من الأصل أعطاها سامر المفاتيح ورحل دون عذر ودون إخبارها ولا يعلم أو يدري أنه بذلك بعثر أشلاءها فبقي لها أن تحافظ عليها بل تحاف على نفسها من أجله.

تعلم جيدا أن ما وصلت إليه ليس بالأمر الهين وهى من أغلقت مفتاح قلبها لتحتفظ لنفسها به فقط دون سند من أحد ليأتي ويعترض طريقا داخلها دون سابق إنذار ولا بد لها أن تتعايش مع الواقع لتصل إلى حقيقة نفسها أولا ثم حقيقة من يجوز أنها أحبته.

ربما لا تعلم حقيقة ذاتها المبهمة حتى الحين ولكن يجب أن تعلمها.

ساقتها قدماها إلى المكان التي ربما ترفض أن تدخله وحدها بل حاولت الابتعاد عنه كثيرا ليس ألا لشعورها بحرمانيته بالرغم من امتلاكها لمفتاحه من صاحب أمره.

خطاها إليه متثاقلة خاصة حينما وصلت إلى الباب لتحاول فتحه فدقات قلبها تتزايد بل تسمع ضرباته بكل دقة حتى خيل إليها أن تنظر بساعتها لترى كم يدق بالدقيقة لتطمئن على حالها.

المكان مظلم لا بد لها أن تصل إلى مفتاح إنارة المصباح ولكن استلهمها تفكيرها وأيضا خوفها أن تنير كشاف هاتفها بسرعه لتصل إلى ذر الإضاءة ولم تكتف بالضغط على ذر واحد بل كل المفاتيح تضغط عليها.

جاءت لهذا المكان وحدها قبل ذلك لم تحس بهذا الشعور المخيف تحس كأنها أول مرة تدخله في المرة السابقة كانت تدخله وهي مغمضة العينين كأنه مكانها وكأنه نور إرشادها واليوم هي مذعورة خائفة .

لم يطول خوفها كثيرا بل تاكد خوفها حينما سمعت رطمة باب المنزل قوية كأنما أغلقه أحد بكل قوته إذ هي بلهفة تنظر إليه بعد الذهاب مسرعة فالباب على مصراعيه والحال كما هو ليخيل إليها ربما الحزن بداخلها والوحشة لسامر تهيء لها ما لا يحدث إذ هي بكل هدوء تستجمع قوتها وتسمي الله وتغلق الباب بيدها .

في ذلك اليوم بالذات خرجت من بيتها إلى بيته وهي تنوى فيه المبيت بل تنوي أن تمكث أياما طويلة به ربما لراحتها النفسية أو ربما لينكشف لها ما هو مستور.

خيل إليها ولا تعرف سببا لخيالاتها إنما ليس بسامر لا يوجد هذا الشخص من الأصل أيضا لا يوجد دليل على وجوده بحياتها لم يره أحد غيرها ولم يكن له صلة أبدا بمن حوله .

بدأت تفيق رويدا رويدا بدأت هواجس الشك بداخلها.

تعلم أنها مرت بحالات عصيبة أتعبت حالتها النفسية ولكن ليس للوصول إلى هذا الحد.

نعم سامر موجود

قالت ريم ذلك لنفسها لتشق طريقها في المنزل إلى المطبخ تشقه ببطىء بل ترددت قبل الدخول فيه لترى نفسها بعد ترددها واقفة في وسطه.

كل شىء فيه رتب كل شىء فيه كأنما لم تمتد يد فيه كل ما تحتاجه أي سيدة من أدوات المطبخ موجوده .

مرتب كأنما بحنكة يدوية متمرسة في الترتيب نظمته.

كأنما هي حجرة مطبخ لعروس ليس لسامر وحده.

تتذكر أنها زارته مرات لم يقدم لها كوبا من أى مشروب بل كان يكتفي بالكلام معها فقط.

حاولت ريم فتح حقيبتها لتخرج منها ورقة وقلم لتدون ما تشعر به من خوف وجلبة وضوضاء بخيالها ربما تجيب كتاباتها عن تساؤلات لأسباب أول مرة تدركها.

بينما هي تبدأ بأول كلمة وبينما تحتار أصلا عن ماذا تكتب إذ الباب يدق دقات دقيقة كأنما فطن صاحبها أن أحدا دخل المنزل فيريد التأكد وقبل أن تقوم من مكانها لتهم بفتحه إذ بصوت عربة وكأنما أتت إلى هذا لمكان فتذهب إلى الشباك وتنظر فلا يوجد عربة ولا يوجد شخص قد دق الباب فلو بالأصل قد وجد ستراه في الحين.

انصرف ذهنها إلى ما كانت تكتب بل عقدت العزم على إكمال ما قرأته على سامر ينبعث منها شعور أن تحكي ربما تأتي بهدف وتصل إلى نتيجة.

تلعثمت الكلمات لتتبعثر الأفكار لتتذكر من أين بدأت وإلى أين توقفت.

أحست ريم بشعور غريب حينما وجدت كأن أرجاء المكان التي تجلس به يهتز لتحسبه زلزال استمر لمدة خمسة دقائق وهي ثابته بمكانها لا تتحرك بل استسلمت لتنطق بالشهادة وتغلق عينيها لتضع رأسها على الطرابيزة التي تكتب عليها وبعد أن هدأ الزلزال قامت بفتح عينيها لتتفاجأ بأنها صارت بظلام حالك علما بأنها مازالت بوسط النهار ظلاما لم تعهده من قبل وصفير كما لشخص ينفخ في بوق حاولت ريم أن تتحسس بأناملها مكان هاتفها ولكنها تذكرت أنها تركته جانبا في حقيبتها بل أغلقته فما جال بخاطرها أن تحتاج إليه .

كل ذلك حدث بلمح البصر لتجد ريم أن النور عاد إلى أرجاء المكان ويرتعد جسمها ولكنها تصر على المكوث فقد جاءت تأتي بحقيقة جاشت داخلها رغبتها في المعرفة.

جلست ريم مكانها لتجهش بالبكاء ليس خوفا بل حيرة من أمرها.

عاشت ريم يتيمة الأم، حرمت منها حينما قارب عمرها سنتين ليس هذا العمر كفيلا بأن تعي شيئا إلا ارتباطها بأمها واحتياجها الشديد لها لتتفاجأ برحيلها، فتكبر عن عاميها بأعوام كثيرة وتعيش بين جدران حجرتها دائما تهوي التحدث معها دون التحدث أو الاختلاط بأى شخص آخر.

عمل أبوها جاهدا أن يوفر لها سبل العيش والراحة إلا أن إحساسها بأنه مقصر بحقها لعدم صبره وزواجه من امرأة أخرى فلم تعي بالأمور وقتها حتى تعلم أن هذا أمرا طبيعيابل رد فعل إيجابي يتخذه الأب بظروف كهذه مما جعلها تنفر نفورا تاما من أمها الثانية ولم تعتبرها كذلك بل كان يرسخها الأب داخلها ولكن طبيعتها رفضت التجاوب مع الالأمر مما جعل بينها وبين زوجة أبيها فجوة تكبر مع الأيام.

حاولت زوجة الأب التقرب منها دون جدوى فعاشت كما لو كانت وحيدة .

بالرغم أن زوجة الأب لم تنجب من الأبناء إلا بعد أن أكملت ريم سبع سنوات ودخلت المدرسة مما جعل زوجة أبيها ترعاها رعاية تامة ولا تقصر بحقها لم تستطع أن تجعلها أما لها بل ألحت عليها كثيرا أن تناديها باسم ماما ورفضت تماما.

شيماء هو اسمها الذى كرهته كثيرا بل تكره كل من يسمى بهذا الاسم وتأبى أن تناديه أبدا.

شيماء في نظرها سبب في موت أمها بل تعتبرها مسؤولة عن الوضع التي عاشت فيه فقد تآمرت في نظرها مع القدر هي وأبيها ليفسحا لنفسيهما الطريق وينعما ببعضهما،زاد كره ريم لشيماء حينما كبرت وعلمت أن أباها تزوج بأمها إرضاء لتقاليد العائلة، فهي بنت خالته ولا يمكن له أن يكسر كلمة أمه في رغبتها بارتباطه ببنت أختها فهي الأحق بها وبابنها.

محمود هو الأب المدان بنظرها بل هو الجاني لرئيسي في حق أمها وفي حقها أيضا فلو رفض الزواج من الأم بأول الأمر وصمم على شيماء التي رغب فيها لما جاءت هي على قيد الحياة وما عانت من رحيل أمها

الأب : اكبري بقة يا ريم واعقلي ده نصيب وقدر وانا ما قصرتش بحقك والموت علينا حق مش مكن كنت انا اللي أموت وماما تعيش.

ريم : ماما ما كانت هتتجوز أبدا وكنا هنعيش مع بعض ما فيش بيننا تالت.

محمود : أنا عايش معاكي وانت عايشة، معايا ليه بتحسسيني بالذنب ؟وبعدين شايفك عايشة في البيت غريبة غيري من طبعك شايفك أكبر من سنك الحياة جميلة وانت لسه صغيرة والفرصة قدامك وقدامي وبكرة تفهمي حاجات كتير إنت عاجزه عن فهمها دالوقت.

ريم : أغيره إزاي؟

محمود: نفسي أشوف لك صحاب بقالك كم سنة في المدرسة وعايشة منطوية والكلام ده ما ينفعش لبنت زيك.

قومي تعالي معايا نتفسح النهارده أنا وانت وبس ما فيش بيننا تالت.

هنروح فين؟

المكان اللي تختاريه

عاوزه أروح الملاهي .....

بالفعل يأخذها الأب إلى الملاهي، ليعود مضطربا من طريقتها وقلقا عليها ولكن ينسى هذا الاضطراب لما لمسه من فرحة علت شفتاها التي لا تبتسم أبدا.

يعود محمود إلى زوجته شيماء .

يبدو أنها من أشارت إليه بفعل ذلك لتخرج ريم من قوقعة حزنها ووحدتها فقد رزقها الله بنتا وشغلتها عنها كثيرا لتوصي أباها الاعتناء بها مؤقتا لظروفها التي لا تغيب عنها.

محمود منفعلا: ريم غريبة أوي يا شيماء

ليه فيه حاجة

لا بس طلبت مني أفرجها على كل الألعاب اللي في الملاهي وما طلبتش مني إلا تركب قطر الموت.

يعني هي عارفة أن اسمه قطر الموت

لا لا ما تعرفش طبعا بس اختيارها ليه كان شيء غريب.

شيماء : المرة الجاية هحاول آجي معاكم.

وبعدين ما تشغلش بالك دي أمور صغيرة.

محمود : على رأيك أهم حاجة إنها رجعت فرحانة.

شيماء : الحمد لله.

أكملت ريم عامها الثلاثين لتحتفل بين إخوتها بعيد ميلادها وتختلف مظاهر عيد هذا العام عن أى عام آخر فزوجة أبيها التي ضاقت بها ذرعا من رفضها أن تتزوج وضياع فرص كثيرة من بين يديها هي نفسها من أصرت على أن ترسم خطوط حفل هذه الليلة وتضفي عليها ألوانا تتناسب مع ذوقها الخاص.

بعد إلحاح وإصرار شديد أن تستقبله بهذه الليلة لتراه وتبدي رأيها بطريق غير مباشر فسيحضر هو وأمه وأخته بحجة الصداقة ولا تعلم ريم متى أو أين بدأت هذه الصداقة المزعومة إلا إذا كانت هي حلقة الوصل بينها وبين الأسرة الكريمة المزعومة.

في هذا الحفل الكبير، حيث تستنشق ريم عبير الفرح لأول مرة بحياتها بعدما استنفدت كل طاقتها في التفكير والتشبث بالماضي الأليم التي عزمت المفر والهروب منه بأي سبيل ممكن.تشرق الشمس بذلك الصباح المبهج صباح مودع لسنين عمر طالت لتأخذها إلى زحام حياة غامضة ، فتحت ريم الستائر بيديها ونظرت للشمس لتتنفس الصعداء زينات أشكال وألوان موزعة على كراسي الاستقبال بالونات هنا وهناك مرمية على الأرض الكل يد بيد لم يكن حفل عيد ميلاد فقط اتفق الجميع على أنه عيد الأسرة بأكملها.

زهدوا حياة الترحال و قضاء العمر بالغربة وعزموا على العودة وتوديع الماضى بأكمله.

عاشت ريم بعد حصولها على مؤهلها الدراسي وحدها بالبيت تقريبا بيت شاسع واسع تطل شبابيكه على البحر من ناحية ومن ناحية أخرى على بعض الصالح الحكومية لكيلا تجد لها جيرانا يشاركونها حتى بأصواتهم فما عهدت إلا صوت السيارات فقط ليرتطم بصوت يهيء لها كما لو تفتح الشبابيك وتغلق وحدها ليلا وكانت تخاف بأول الأمر وما لبثت أن تعودت على الحال فلا تخاف ولا تشكو.

تذكرت أول يوم لها بالجامعة لترى به صديقة عمرها الوحيدة بل تذكر أنها أول وجه ألفته في الجامعة لترمي عليها السلام وتتعرف عليها .

سهام التي لا نتكر أنها ما اقتربت منها بقدر ما أحبتها ، تجيء على بالها دائما وتذكرها بما هو طيب وكثيرا ما تبتسم حين تذكرها.

انقطعت عنها أخبارها منذ تزوجت وسافرت بدولة من دول الخليج بصحبة زوجها لا تعلم من أخبارها شيئا سوى رقم هاتفها الذى رفع من الخدمة لشيء لا تعلمه منذ ولادتها لطفلها الأول .

تدرك أن ابنها ربما دخل المدرسة بل ربما أتت له بأخت أو أخ.

ربما ذلك وهي أيضا لا زالت كماهي لم يتغير منها إلا شكلها وفوات عمرها بعجل وبدون فائدة.

توقف عقلها عن التفكير فجأة، بل كاد يتوقف قلبها الضعيف ويتأثر به جسدها النحيف لتلتفت إلى أختها أسماء فجأة وتجري إليها بروحها المرحة التي لن تتغير وتضربها وهي تمزح معها.

كده أزعجتيني أنا قلت فيه زلزال .

لم تبال أسماء بما قالت لتأتي ببالونة أخرى و هذه المرة كبيرة الحجم وتنفخ بها بعزم ما فيها ثم تتعمد أن تفرقعها فيقهقها سويا و يحتضنا فرحا بالمناسبة السعيدة.

ريم :" تفتكري يا اسماء إننا لازم نكون سعداء بس باليوم ده .

أسماء : كل سنة تقولي نفس الكلام ده وبعدين احنا اتفقنا إن يوم عيد ميلادك بالذات هنسميه عيد الأسرة..يلا نكمل شغلنا وما تبقيش نكدية.

وبعدين اليوم ده مميز.

ريم : يعني ايه

أسماء: و لا حاجة يلا نكمل.

ريم // إيه أخبارك مع حسام .. بقولك أيه ادعيه ييجي الحفلة الليلة."

تصغر أسماء عن ريم بخمسة عشر عاما لا زالت بالصف الأول الثانوي ولكن ما إن جاءت إلى الدنيا حتى ابتدت تباشير الفرح تظهر على وجه ريم أحبتها من أول وهلة بل من بداية علمها بخبر حمل زوجة أبيها جاءت في وقتها إليها بعدما تأخر الإنجاب سنوات لحكمة لا يعلمها إلا الله فلم تجب شيماء سنوات طوال أراد الله أن تتفرغ لتربيتها لما في نفسها من هم ليزول عنها ولكن علق بذهن ريم وحدتها إلى أن كبرت اختها لتأنس بها.

ذهبت ريم لدولابها الخاص خلسة ذهبت وأتت بصورته نعم صورة رسمتها بيديها بعدما عانت في تجميع عناصرها لتحتفظ بها لنفسها فقط أغلقت عليها بابها وجاءت بعروستها تحثها بأذنها وقبلتها ثم نزلت منها دمعة كادت تخفيها حينما طرق الباب.

روادها حلم اليقظة الأخير برهة ثم قامت من مكانها منتفضة لتفتح الباب ولا تعلق بكلمة واحدة تمشى تجاه باب المنزل وتفتحه على مصراعية لتلتقط أنفاسها التي اختنقت وتنظر إليها أسماء بلا تعليق فلم يكن جديدا عليها ما تراه منها .

أرادت أن تخرجها من لحظة تفكيرها.

" حسام جاي الحفلة الليوم بس هيتأخر شوية كانت مفاجأة له وبعدين سبب تأخيره مش عادي .

صمم أنه يجيب هدية تليق بسنيورتنا الحلوة.

نظرت ريم إليها وهي تائهة بابتسامة خافته وراحت لتجلس على الكرسي."

تذكرت سامر وتاهت معه بالذكريات تمنت لو يرن هاتفه الذي أغلق منذ عشر سنوات تمنت لو تعرف السبب نظرت إلى أسماء و وجهت لها الدعاء.

" ربنا يخليكم لبعض."

جاء الليل بأنواره الخافتة و موسيقاه الهادئة التي اختارتها ريم بلا ضوضاء ليجلس الحضور وينصتوا إليها بل ينظرون إلى عروس الحفلة وهي بأبهى صورتها رغم ذبول بشرتها شيئا.

انتفضت أمها من مكانها وتوجهت نحو الباب لتستقبل ضيوف خاصة أخبرت ريم منذ يومين بقدومها وبالرغم من عدم اكتراث ريم أو اهتمامها إلا أنها رغبت أن تلقي حتف همومها عن عاتق من حملها معها ولعل بالأمر يسر لها.جلست ريم مكانها ولا تبالي للأمر لتجد أمها تتوجه بضيوفها إليها وتعرفهم عليها.

أول مرة تراهم ولا تعرف عنهم شيئا سوى أنهم جاءوا لخطبتها وبكل جفاء ردت السلام لتنظر نظرة عابرة إلى الشخص الذي جاء بصحبتهم و جلست مكانها.

فاجأها بيده تمتد ليسلم عليها فارتبكت وقامت ثانية لترد السلام إذ به يقدم هديته المتواضعة كما ادعي .

سامح شاب في الخمس والثلاثين تقريبا يكبرها بخمسة أعوام قصير القامة وسمين بعض الشيء بل جدير أن تنفر منه ريم من أول نظرة و لكنها ما نسيت أبدا النصائح الموجهة إليها و التوبيخ و القطار فاتها و كل زملائها تزوجوا وهي ما زالت لم تتغير.

ريم : ميرسي ..

انطفأت حينها الأنوار ليتقدم سامح و تتلوه ريم لتطفىء شموع عيدها الثلاثين و تبدأ بإيقاد شمعه جديدة تتمني أن لا تحرق قلبها كسابقيها.

وقف سامح بجوار ريم متعمدا ربما أشارت إليه أمها وأعطته التصريح.

تعمدت ريم أن لا تنتبه إليه والتصقت بأسماء أختها لتوشوشها بأذنها :" أيوه يا عم هنيالك.

ريم : إنت شايفة شكله عامل ازاي.

أسماء: بس خلاص ودانه معانا."

ذهبت ريم إلى سريرها والحيرة تملؤها خاصة أن أمها أعطت لها مهلة يومين للتفكير.

توفى أبوها منذ سنة تقريبا وترك لها ولايتها لتنصاع لأمرها فليس لها من الدنيا الآن إلا هي وأختها.أغمضت عينيها وراحت في سبات عميق لترى نفسها بمكان به كثير من الأفراح كثير من الناس يهنىء بعضهم البعض وهي تجلس بعيدا تنظر إليهم ولا تقترب منم ولا يقتربوا منها .

أشكال وألوان من أناس لم ترهم من قبل تنظر بوجوههم وتتعجب لحالها وحيدة بينهم .

طال وقت الفرح لساعات معدودة إذ هي تهم بالانصراف فتجد العروس وقد أتت من ناحية ما قد تذهب فتقف وتلتفت وراءها لتنظر إليها.

واضح أنها ستمر من أمامها.

نعم اقتربت منها رويدا رويدا.

عروس في أبهى حلتها.

ما أجمل ثيابها.

جمال وجهها وشكلها.

زادت في الاقتراب و منها و تتسمر مكانها بلا حراك و تنظر ليرتجف قلبها و ترتعد أوصالها.

يا للهول تحول لباسها الأبيض إلى لباس أسود و وجهها الجميل إلى وجه مغطي بالسواد بل وضعت طرحة سوداء على وجهها .

زاد الخوف بقلبها تهم بالانصراف فلا تستطيع تتسمر قدماها بالمكان بلا حراك ماذا تفعل تتجه ناحيتها و تقترب نعم اقترب باق لها بضع خطوات.

ياللهول ماذا تفعل ستؤذيها ما العمل.

ما لها إلا آيات من القرآن تتلوها و تتلوها يعجز لسانها عن التلاوة تحاول و تقرأ بقبلبها.

أخيرا استيقظت من نومها تخلصت من كابوسها بل الجحيم نفسه.

استيقظت لتعهد بقلبها خوفا لا مثيل له الساعة تدق الثالثة صباحا باق على الفجر ساعة أو يزيد توجهت للنوم ثانية لتتقلب يمينا و شمالا و ترى كابوسها يمر عليها من حين لآخر فمالها إلا أن تتخلص منه بالقيام من سريرها.

سئمت من تكرار هذه الكوابيس . اليوم مختلف من سويعات قليلة احتفلت بعيد ميلدها و أدخلت السرور بقلبها فلم الهم و الغم.

أمرتبط هذا بما حدث الليلة ؟

أتحذير من القادم إليها ؟

أترفض أم توافق و تسلم أمرها لله؟.

انتفضت من مكانها وذهبت لتتوضأ وتصلى لتصرف عن ذهنها وساوس الشيطان .

توضأت و ارتدت ملابسها لتنظر بالمرآة إلى وجهها فتنتبه لزيها المقلوب وتريد خلعه لتديره.

بربي ما هذا التشاؤم أهو شيطان مريد يوسوس لي أم أني حالة ميئوس منها.

توجهت لربها بعد صلاتها لتدعو بالهداية لما فيه خير لها.التفتت ريم إلى شباك الحجرة المطل على حديقة منزلها على صوت قطرات المطر التي هطلت كأنما تنذر لها باستجابة أو نفحة من السماء لا تدل إلا على زيادة الصفاء الكامن داخل جوهرها النقي.

تاهت نظرات ريم برهة وسكت لسانها وربما عقلها.

صورة غريبة مبهمة المنظر كأنما لعبة كرتونية لسلاحف النينجا تطل من الزجاج وتنظر ألبها وتخترق الزجاج لتنفد منه بلمح البصر وتلتصق بالحائط المقابل.

استعاذت ريم من الشيطان الرجيم و أمسكت بالمصحف لتتلو بعض آيات القرآن و هي شاردة بين الآيات حينا و ما يهيء لها حينا آخر.

بخلاف ذلك تشكو من الصداع الدائم والدوار برأسها فتلف بها الدنيا و تدور لترى أمام عينيها غيامة تحجبها عن الرؤية تماما للحظات و ربما تقترب من فقدان وعيها لتفيق وهي تصيح صيحة مكتومة الناظر لها بهذه الحالة كأنها تفوق من كابوس تخلصت منه بدون سهولة.

استيقظت ريم في الصباح ، قامت من سريرها إلى الشباك مباشرة لا تعلم سر ما يشدها إليه ، تحسسسته جيدا بيديها و قامت بفتحه لتنظر منه على حديقة بيتها فترى مجموعة من الأشجار التي تهتز كأنما فرحا بها.

استمتعت بهذا المنظر اللائق بها وبجمالها الشاحب حينها أمسكت بالقلم بعدما أتت به وعبرت عن ما تشعر به.

نعم ما زالت ريم تمسك به وما زال قلبها يخفق وما زال يدق رجفا للماضي.

كل ذلك بصبيحة يوم السبت نظرت لساعتها واستأذنت بمن بالبيت لتخرج وهناك عدة تساؤلات منهم رأتها بعيونهم فلم تجبهم وقبلت أختها على جبينها لتعدها بأن لا تتأخر.

تنظر بوجوه من حولها وخاصة عيونهم تراهم وكأنهم ناظرون إليها فتدير عنهم وجهها وتعود ليلفت انتباهها وجه سيدة عجوز تجلس على الرصيف.

سيدة كأنما أكل منها الدهر وشرب لكن مع ذلك تحدق بمن حولها.

وقفت ريم أمامها مشدوهة تريد أن تلقي عليها السلام و تتردد قليلا لترى نفسها تنحني أمامها و تلقي السلام بلسانها ويدها.

لا تتعجب السيدة ولكنها أشارت لها بالجلوس.

عين ريم تتصفح من حولها تنظر يمينا وشمالا تحتار في أن تنصاع لها أم تعتذر و تنصرف.

همت ريم بالانصراف وما زالت يدها بيد هذه السيدة العجوز و حاولت نزع يدها و تقبل جبينها لتنصرف إذ بالمفاجأة الكبرى التي ما خطرت ببالها.

تقبض السيدة العجوز بحنكة على يدها و تنطق باسمها .

تلعثم لسان ريم بل ذهب عقلها حينا.

تركت السيدة يدها و تركت ريم بحيرتها .

هي صاحبة القرار أتجلس أم تنصرف.

لم تنطق السيدة العجوز بكلمة واحدة بعدما نطقت بالاسم على لسانها فهي تعرف ما في قرارة ريم الآن بل ربما تقرأ جيدا ما يجول بخاطرها.

ريم :" مش هقدر أقعد هنا يا أمي إنت طبعا عارفة أننا على طريق.

السيدة العجوز : اسمي جوهرة .

أنا عارفة إنك مش هتقدري تقعدي بس كمان عاوزه منك طلب.

ريم : أمرك أمي جوهرة.

جوهرة : الأمر لله وحده! المهم ارجعي من مكان ما جيتي ما تحاولي تروحي المكان ده أبدا المكان ده فيه داكي مش دواكي."

هذه مفاجأة أخرى لريم ..من هذه السيدة يا ترى ؟

من يراها يهيء له جلوسها للتسول والشحاذة ..لا أبدا لا ينم شكلها أو لسانها عن ذلك أجالسة أنت خصيصا يا ست جوهرة لأجلي .؟!

أتريدنني أنا بجلوسك .؟

كيف علمت ما بداخلي؟

كيف أتيت إليك ؟

لا أبدا لا أعلم.

السيدة جوهرة:" ما تفكريش يا بنتي كتير ارجعي واستعيني بالله واللي مكتوب لكي هتشوفيه طريق البداية قرب بس اكتمي سرك وما تشتكي لحدهمك."

ريم في قرارة نفسها :" سر إيه وكتمان إيه ما عنديش أسرار لا يا أمي بجد تعبت ريحيني."

تكتم ريم بداخلها و لا تتكلم ولا تعلم سر عدم نطقها و لكن بالنهاية تود لو تنصرف لكن كيف يكون حالها بعد انصرافها ما زادتها هذه السيدة العجوز إلا حيرة .

جوهرة :" اسمعي كلامي أنا عارفة إنك هتنفذيه وما تفكريش كتير يلا نصيبك في انتظارك."

كلام هذه السيدة حكيم وعاقل كلام موزون بالفعل و لكن ريم لا تستطيع الرد أو حتى التساؤل.

(وأفوض أمري إلى الله) قالتها ريم و انصرفت و لا يدور بذهنها إلا شيء واحد .

كلام هذه اليدة مقصود أم صدفة بحتة .

تنجيم أم تحذير.

ريم بالفعل فتحت بالأمس جهازها و بحثت على مواقع التواصل الاجتماعي عن طبيب نفسي و بنفس الوقت روحاني.

اتصلت عليه هاتفيا و أخذت منه ميعادا .

حكت له عن بعض التفاصيل القصيرة ليقاطعها ويطلب منها مقابلته وحدد لها الساعة.

خرجت إليه ريم بالفعل ولم يعلم بأمرها أحدا.

ياترى هل هذا قصد السيدة العجوز؟

ريم : سأعود إليها نعم أعود وأسألها عن قصدها يجب أن أعرف الحقيقة كاملة .

نعم هذه السيدة معها مفاتيحي .

بالفعل عادت ريم وشقت طريقها سريعا.

أحست ريم بخطواتها المتثاقلة .

باقي خطوات وتصل.

نعم ها هي قد وصلت.

نظرت بعينيها .

اندهشت بل ذهلت وأصيبت بالغضب.

أين هي كانت هنا نعم هنا بالفعل.

ما لحقت أن تذهب سألحقها .

يمكن أن أكون أخطأت حينما انصرفت عنها.

نظرت ريم إلى بائع بجوار المكان لم تره من قبل ولكن بالفعل جاور السيدة العجوز.

ريم : سلام عليك

وعليكم السلام .

ريم بلهفة : "هي راحت فين.

أمي كانت قاعدة هنا كلمتها يادوب من دقايق.

ضحك الرجل بوجهه ورد عليها قائلا : والله يابنتي من ساعتين وانا قاعد لا أمك ولا غيرها جه هنا.

معاكي رقم تليفونها ترني عليها."

ذهلت ريم ن رده ولم تسطع مقاطعته أو التفسير له فالموقف يفسر نفسه.

أهو خيال يكمل ما رأته بالأمس ..لو لم يكن فما ذلك ياربي.

ريم : "آسفه افتكرت دي في الشارع التاني، سلام عليكم."

وقفت ريم تنظر للمكان برهة لا تعلم ما يشدها إليه ونظر إليها الرجل باندهاش ليصفق يدا على يد قائلا: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

لا تبالي به و لا تسمعه و لا تنظر إليه بل تمادت بالنظر إلي المكان وعيناها ترى و تسمع ما حدث و فجأة !!!

وجدت ما أكد لها الحدث .

نعم كانت هنا حدثتني وقالت !

فكرت ريم بما قالت وانحنت علي الأرض ومدت يدها .

تركت ريم علبة المناديل التي كانت تلتقطها من على الأرض و فكرت في فتح حقيبتها .

لا بالفعل هي.

تعودت ريم منذ صغرها على شيء عجيب.

حينما تشتري علبة مناديل تكتب عليها حرف تلصق عليها حرف (S).

نعم تلصقه استيكر.

قبل مغادرة سامر لها أعطاها هديته ، كانت الهدية زجاجة عطر تشتمها ريم منذ تركها صباحا ومساء لحين أن هداها فكرها أن تعطر مناديلها الورقية بنقطة منها فتشتم فيها رائحته .

نعم تلك هي علبة مناديلها بنفس المكان.

بنفس الحرف بنفس الشكل .

إلى أين ذهبت هذه السيدة بل من أين جاءت ولم أنكر الرجل وجودها بل ظنها مجنونة وسخر منها.

لم يكن الحادث بخيال بل كان واقعا وكيف وقعت منا هذه العلبة وضعتها بحقيبتها ولم تفتح الحقيبة.

أعيى ريم الانتظار بل أعياها التفكير فعادت إلى بيتها و بذهنها ألف سؤال وسؤال.

عادت ريم إلى بيتها ليست آمنة و لا مطمئنة تأتيها الوساوس من كل جانب ولا يأتيها بالمقابل تفسيرا واحدا لما يحدث لها.

بالأمس كانت مرحة فرحة بعيد ميلادها لتنصرف منه إلى حجرتها التى اعتادت المبيت بها وحدها لتجد بعد صلاتها خيالا يأتي من الشباك ربما حقيقة عجزت عن تصديقها ليطمئن القلب حينها.

بالفعل ليطمئن قلبها وإلا ما بحثت وذهبت لطبيب نفسي.

ومن هذه السيدة العجوز التي أعادتها إلى بيتها ثانية وكانت بمثابة نقطة تحذير لعدم الذهاب وتترك اليدة ليعود ذهنها أن ترجع إليها ثانية فلا تجدها و ينكر البائع عدم وجودها لتتفقد مكانها فإذا بعلبة مناديلها الخاصة بها موجوده هناك.

هناك ركن مفقود لابد أن تصل إليه للنهوض بحالتها.

ريم : السلام عليكم.

الأم : وعليكم السلام .. "تعالي يا ريم سلمي عالضيوف قبل ما تدخلي.

ريم : معلش أغير هدومي وراجعة تاني وبعدين أنا رميت السلام وقت دخولي."

الأم اندهشت من ردها و حاولت أن تخفي دهشتها عن الضيوف لينطق أحدهم و بالخصوص سامح.

تذكرت ريم اسمه وشكله أيضا حينما استعادت مظاهر الحفل تذكرته حيث سلمت عليه وأعطاها هديته.

شيء في نفس يعقوب يحدثها بما سيكون وشيء آخر يخاف و يخشى لتترد في ذاتها بين القبول والرفض خاصة أنها في الثلاثين من عمرها وفاتها القطار كما يقولون.

نظرت ريم في المرآة تفحصت ملا محها جيدا أتت بكم من صورها صورة في طفولتها ثم في مراهقتها و مجموعة صور أخرى في مراحل عمرها وضعتها أمام نظرها وتفحصتها جيدا شتان بينهم بالفعل يتغير الشكل والمنظر بل يتبدل كثيرا .

لفت انتباهها صوت أمها العالي وصوت استئذان الضيوف بعد افتقادها ليقطع حبل الوصال بين ذاتها و بين ريم التي تحتار فيها.

اتركيها على راحتها عموما هنستأذن احنا شكلها جاية من برة تعبانة أو شكلنا جينا بوقت غير مناسب.

الأم : " أبدا البيت بيتك تشرفوني بأي وقت وبعتذر بالنيابة عنها .

أصلا مش عارفة مالها أحوالها متغيرة من كم يوم."

عادت ريم للنظر بالمرآة بعدما تفحصت صورها جيدا لترى نفسها مستندة على قاعدة المرآه وتبكي لتفيق من بكائها على يد تربت كتفها وتشير إليها بعدما أدارت وجهها لتحتضنها.

الأم : "عاوزه مصلحتك يا بنتي إنت عارفة معزتك عندي يمكن أنا ما خلفتكيش بس ربيتك وانت أول فرحتي."

نظرت ريم إليها بعينيها بعدما مسحت دموعها تريدها أن تكمل الحوار الذي تعلمه جيدا.

" الناس دي كويسة وعارفين ظروفك وشارين فكري براحتك والرأي لكي في النهاية."

ذهبت الأم وأغلقت الباب لتترك ريم تستريح وتعطيها فرصة في التفكير لما أشارت إليه دونما تفسر الأمر.

مكان مهجور أرض رملية ، نار مشتعلة ، أطفال يلتفون في شكل حلقة يمرحون ويفرحون تتشابك أيديهم ليلفوا وهم يغنون.

طفلة صغيره عنه ربما بعامين أو أكثر تجهل ما يفعلون وتأخذ ركنا بعيدا عنهم.

تحاول أن تذهب إليهم تلتفت يمينا وشمالا ليشد انتباهها شيئا غريبا.

نار مشتعله بها قطع من الفحم كلما نظرت إليها يزيد اشتعالها لترتفع عاليا إلى السماء.

تخاف وتصرخ ولا مجيب .

العجيب أن الأطفال حينها يلعبون صوتهم في الأغاني يغطي على صراخها العالي .

لا إنه صراخ مكتوم .

تحاول أن تجري تتحرك لكن تتسمر قدمها تحاول ثم تحاول دون فائدة وفجأة ترى قدميها حرة.

نعم فتريد الحراك وأول خطوة تجد نفسها تقع بحفرة .

إنها حفرة ليست بعميقة بالفعل ليست بحفرة، عمقها يقرب من شبر أو شبرين تقريبا.

حينها يعم الظلام على المكان ويسود الهدوء وتختفي الأطفال.

حينها تعجز عن الصراخ حينها تتسمر عيناها على من تأتيها من بعيد مهرولة.

إنها بالفعل سيدة عجوز .جاءت إليها مدت يدها لتنتشلها.

نطقت باسم الله ثم حملتها بعيدا ووضعتها بمكان به نور وأناس كثيرون.

ودعتها بيدها ثم انصرفت في لمح البصر.

أمي ....

التفتتت السيده لعجوز لتودعها ثانية.

استيقظت ريم من نومها لتجد جسدها كلها وقد ارتعد بل وصل إلى شبه بارد قامت من مكانها واستعاذت بل تذكرت المنام.

نعم إنه وجهها ،إنها هي .

أمي(جوهرة) هي من رأيتها هذا الصباح ...وهي من أمسكت بيدي في منامي.

ياربي ما هذا اللغز أنا محتارة ولا أستطيع أن أبوح.

بالفعل لو بحت بما يكون لم يصدقني أحد ربما اتهموني بالجنون لكني على يقين مما يحدث لي نعم حقيقة ولها دلائل ملموسة.

فازت إيمان بحب الجميع لها ولم تنزلق تحت تيار الهزيمة أبدا بل أصبحت تفتخر بصبرها ويضرب لها المثل أيضا بقوة عزيمتها.

انهمكت في عملها وقامت به على أكمل وجه ربمارأت فيه تعويضا عما حدث لها بل يجب أن تنجح وتواصل من أجل تحقيق هدف أمثل. دارت السنوات عليها و لا تعلم عنها شيئا حيث لا تعد أيامها ولا تعمل لها حسابا إلا أن ترى نفسها في تقدم فاهتمت اهتمامها الأكبر لاسترداد عافيتها حيث قد أهملتها بعضا من الوقت لتصل إلى أدنى الدرجات فيها.

هناك شيء واحد يستطيع أن يعكر صفوها ، ذكرياتها القديمة و ماضيها القديم الذي لا مفر منهما.

و هناك أيضا شخص واحد يذكرها بذلك كله بل يحتم عليها أن لا تنساه أبدا طالما هناك رباط أقوى منهما.

الأولاد الذين هم صنفرة الموضوع كله والذى يجب أن يوفر لهم من خلال الطرفين ما يريح قلبهم وبالهم.

صحيح أنهم عانوا كثيرا و مروا بمرار في مشاحنات الأم والأب إلا أن الوقت قد حان لاستراحتهم بعض الشيء أمانا لمستقبلهم الذى كاد أن يكون ضريرا بفعل فاعل وبيد خفية لا يعلمها إلا الله.

(أشرف) مازال يترقب أملا لعودتها و ما زال منتظرا تحقيق هذا الأمل ليمر يوما بعد يوما لا يتسرب اليأس إلى قلبه وعقله.احتال كثيرا على كل معارفها و من يخصهم أمرها احتال عليهم مرة بعد مرة أن يتدخلوا من أجل مقابلتها على انفراد ربما يقنعها بالأمر أو يفعل القتراب بينهم شيئا فهو يعلم مدى تقديرها لمعيشتها ويعلم أنها تتمنى لو لم يهدم بيتها.

في كل مرة كانت محاولاته تبوء بالفشل و يعود خائبا .

ثقة الناس بها وثقتها بالناس جعلم يخبروها بكل صغيرة وكبيرة بل يعلنوا رفضهم رفضهم وتمردهم على طريقة التي كثيرا ما بها ضررا لغيره منفعة له فقط.

لا تنم أهدافه إلا عن أنانيته المفرطه فما يدور برأسه عنها شيئا مستحيلا منذ زمن كانت زوجته ويملك سيطرته عليها وكانت تضحي من أجله كثيرا أما الآن فما مبررها.

بل هل عرف قيمتها الآن فقط أم أن الممنوع مرغوب أم يريد الانتقام منها لما سببته له من آلا م كما يزعم أو يقول.

(إيمان) تعمل بإحدى المدارس الحكوميه في الفترة الصباحة تعمل يوما كاملا أى تعود إلى بيتها قبل العصر تقريبا .

دائما ما تعطي حصصها المدرسية آخر اليوم أى الحصص الأخيرة.

تعلم إيمان جيدا بمراقبة طليقها لها وتتحرى الأمان كثيرا لأن لا تقع تحت براثنه أو يحقق رغبته في مقابلتها .

صحيح أن حصصها الأخيرة لكن هناك من مثيلاتها من المدرسات من يكون معها.

دق الجرس معلنا انتهاء اليوم الدراسي وهمت إيمان بالانصراف بعد تعب وعناء .

نزلت بمفرها بعدما سبقتها زميلاتها ولكن يبقي ناظر المدرسة منتظر إياها حتى النزول لتقفيل الدفتر.

وضعت إمضاءها بالدفتر وتركته منشغلا بتعبئة أوراقه داخل مكتبه وألقت عليه السلام وانصرفت.

التلاميذ خارجون من البوابة وهي معهم لتفاجأ به يقف بطريقها ويمسك البوابة بيديه انفعلت وطلبت منه أن يتركها لتنصرف ليرفض ويمسك البوابة بيديه محتجا أنه جاء ليحدثها فيجب أن تسمع منه.

حالها يرثى له حينما تراه تكاد تفقد أعصابها وتنفعل كثيرا لا تريد رؤيته أمام عينيها بل طلبت منه ذلك كثيرا فقد أعدته من الأموات واعتبرت نفسها أرملة وليست من المطلقات.

لا يفهم أمرها جيدا ويحاول أن يسطو عليها معتقدا قدرته على إقناعها أن تغفر له و تعود إلى عشها.

يطلب منها أن تنسى ما فعله بها وكأن شيئا لم يكن .

يطلب منها أن تغفر وتسامح.

يبكي في ذلك اليوم بين يديها وهي باضطرابها والاقتراب من فقدان وعيها تحاول أن تنصرف عنه وتعده أن لا مفر من قدرهما.

يبكي ويبكي بين يديها ويلح عليها.

لا تجلس معه وحدها..فقد تدخل العمال منذ بداية الموقف وطلب منهاالاستماع له ربما في الأمر خير له ولها.

دون جدوى ودون سماعه وكأنها لم تره أو تعرفه من قبل أخبرته أنها أصبحت عمياء عنه بصرا وبصيرة.

رجع مهزوما ليذوق مرارة ما أذاقها من قبل.

بذلك اليوم قرأت بعينيه الغدر والخيانه بل قالت له ذلك وذكرته أن يتوب عما هو فيه خوفا من الله أولا ثم لترضى عنه ثانية.

لم تقصد بالرضا أن تعود إليه بل قالت وتظل تقول أنها تتمنى لو ترضى عنه كشخص فقط لو تتقبله وهو ماثل بين يديها لو تقدر على التحدث معه أيضا لو يقتنع بما آل إليه حالها لاستراح كليهما ليجهزا للقادم من حياتهما نعم حياة مستقلة بعيدة كل البعد عن بعضيهما بل يجب أن يشق كل منهما طريقه بعيدا عن الآخر.

وقت انصرافه هددها بشيء لم يكن في الحسبان.

أولادها سيحرمون منها للأبد ، لا تعلم عنهم شيئا أبدا ولا يعلمون عنها شيئا سيقول لهم حين السؤال عنها:(مات) نعم ستموت الأم وهي على قيد الحياة ستنقلب الآية فهي الظالمة الآن .

ظالمة حيث تركت الأولاد وحدهم ببيت أبيهم وأعلنت علانية أنها تتخلى عنهم.

سيحرمها من بنتها الصغيرة ، صحيح أنها بالمدرسة معها ولكن هددها أنه سيحرمها من الإتيان إليها أيضا من الإتيان للمدرسة.

نعم نفذ وعده أخذ بنتها معه وعدها بأن لا تراها ثانية.باتت ليلتها لتطول عليها كما لوكانت ليال طوال لا يغمض لها جفن أبدا تتلقي الصفعة الأولى منه ليس

على وجهها بل بقلبها الذي ما عاد يحتمل.باتت وهي تعود نفها على البعد رغما عنها ولكنها تعلم أنه الأمر الوقع الذي لا بد أن ترضى به.

لا تحمل هما لولديها بل ما ذنب بنت الست سنوات أن تحرم من أمها بل أيضا من مدرستها كل ذلك ولا تملك إلا أن تقول : (حسبي الله ونعم الوكيل).

باليوم التالي دخلت إلى الفصل بخطوات متثاقلة وبقلب يرتجف خوفا وقلقا من اللا معقول ولكنها لا تصدق أن تصل أنانيته لهذه الدرجة فيخيل إليها أن ترى ابنتها من بين الجلوس بالفصل.

طرقت الباب ودخلت لتنظر بعينيها قبل أن تتكلم فاستغنت حينها عن الكلام وهرب من عيون الأطفال اللذين نطقوا في صوت واحد (قمر مش هنا يا أبلة).

خرجت والدموع بعينيها لتجلس بين زميلاتها وتنخرط في البكاء يعلمون سبب بكائها ويواسونها بل يطلبون منها الصبر داعين ربهم أن يفرج كربتها .

ظلت على هذا الحال شهرا شهرين ثلاثة إلى أن حان الامتحان .

تأتي الفرصة لتراها وتنظر بوجهها ولكن حالفها الحظ وحرمها من ذلك أيضا.

مجبرة على المراقبة بخارج المدرسة وبخارج بلدتها أيضا لا تجرؤ على النظر إلى وجه ابنتها فتتقلب عليها المواجع تريدها طولا وعرضا تريدها ولياليها الطوال معا لا تريد بعادها فاك أن توصي زميلاتها واقترحوا عليها أن تأتي فرفضت تماما خاصة أن أباها قال لها : (أمك ماتت).

نعم قالها قصدا وعمدا أمام الناس ليبلغوها عدة مرات ولم يستح مما فعل بل زاد في الأمر سوءا ليحرق قلبها أكثر وأكثر.

شيئا فشيئا تعودت ولكن رغما عنها .

يجب أن تصبر وتتحمل لتثبت له قوتها بأي ثمن.

تعلم بصعوبة الأمر على أولادها وليس هينا عليها ولكن يجب أن يتعودوا الوضع الجديد ليشدوا أزرهم بالحياة والذي لا تعلمه أهي على خطأ أم صواب بموقفها الذي أجبرها عليه الزمن بل أجبرها طليقها أيضل فيزيد حملها.ناهيك عن مواقف سخيفة تعرضت لها بعد ذلك وتوالت الصفعات وهي ثابته لا يتزحزح قلبها ولا يتردد عقلها عن قرارها ومصيرها.

الصمت شيمتها في هذه المواضع لا تشكو ولا تطلب سندا ولكن تدعو ربها أن يعوضها خيرا في أولادها ويطكئن قلبها عليهم دائما.

عاشت مأساة بحياتها وصلت بها أن تكره ذاتها وتتبرأ منها حينا تتمني حينها لو كانت ولدا لتقاوم او يليق مع ما تتحمله من صحاب لذا كانت تخى دائما أن تنجب بنتا ودعت ربها كثيرا أن تأتي مؤخرا بعدما ينصلح حالها واستجاب الله لها بالفعل لتزيد المأساة بعد إنجابها فتذوق البنت أكثر بل أدهي وأمر مما ذاقت لتشفق على ابنتها فلا ذنب لها لما يحدث وبالأخير تحمد ربها أنها ما زالت صغيرة لا تدرك ما يحدث .

بهذا الوقت ابنها الأكبر بالصف الأول الثانوي والأوسك بالصف الأول الإعادي وبالتالي يملكون القدرة شيئا ما أن يدركوا ما حدث ويتفهما معناه أما البنت فتحتاج لحضانة أمها مهما حدث.

من هنا جاءت الفكرة أن تطلب حضانتها وانتظرت بعد انتهاء العام الدراسي بالفعل فكرت أن تطلبها عن طريق المحكمة ورفعت الضية لينظر القضاء ويقول كلمته إذ تفاجأ بأبيها يجحد قلبه ويبعها تماما عن البلدة عند أحد أقاربها بل بمحافظة بعيدة عنها.

ماذا تفعل يا ربي ؟ فبعدما كانت البنت محرومة من أمها أجبرت الآن أن تحرم من أبيها أيضا.

بالفعل لها عمتان بحافظات أخرى نعم ذهبت إلى إحداهما .

من الأولى أن تكون مع أمها.

حاصره الجميع بطلب أن يعود لرشده و يعيد البت لأمها رفض تماما بل هدد أن يحول لها هناك بالمدرسة وبالتالي ستضيع البنت بين صراعات أمها و أبيها.

ذهبت إيمان للمحامي و طلبت منه التنازل ليتعجب طلبها فتفهمه الأمر ليقنعها أن تستمر وستأتي البنت إليها بأقرب وقت فتلح عليه بالتنازل ليحدث بالفعل.

فعلت ذلك من أجل راحة بنتها، بالفعل ستعود قريبا إلى أبيها و محتمل أن يحن قلبه ليعيدها إليها.

نصها المحامي بعد ذلك أن تطالب بحقوقها طالما جار عليها و حرمها من رؤية أولادها فترفض مرارا وتكرارا ليعيد إلحاحه عليها فتضطر بالقبول لأمر واحد.

أرادت توثيق عقد البيت بعد طلاقها بسنة تقريبا وحاول الطعن فيه و رفض أن يعترف بتوقيعه عليه.

استحلفته كثيرا عن بعد ليتركها توثقه ووعدا منها أن لا تغدربه فهي لا تريد من البيت شيئا إلا حفظه للأولاد بطريقتها الخاصة خشية أن يبعه وخشية أن يأتي بزوجة أخرى فيه.

أنكر وجود العقد تماما وطعن فيه بعدما كسبت القضية لصالحها بعد شهرين تقريبا ليستأنف ويأتي بشهود زور فلا يسنده الأمر كما وعدها المحامي و طلب منها الوقوف ضده بطلب حقوقها كاملة فاضطرت بعناد في الطعن أن تقبل

دعـوة المحـامي وبالتـالي قضـي الأمـر. فـات شـهر وشـهران و سـنة كاملـة و العقـد بالمحكمة و قضيتها بطلب حقوقها مستمرة.

اليـوم اسـتلام العفـش إجبـاري قضـى بـذلك طليقهـا بعـدما طلبـت المحكمـة أن يثبت عدم تبديده.

كان يخيل إليها أنه لا يقدم على هذه الخطوة.

سيسرع بالاعتراف بتوقيعه على العقد بيده وبرضاه ولكن فشل منطقها ويجب أن تستمر القضايا ويستمر الوضع كما هو عليه.

يعلم الله مدى تأثير ما يحدث داخل كيانها .

لم يخطر بالها أبدا ما يحدث بتلك اللحظات ولم تصدق ما يحدث و من حولها أيضا لا يصدقون.

(احنا بنكرهك ، خللى العفش ينفعك)

مأساة حقيقية ينطق لها الحديد ،فهذه العبارة معلقة على صدور أبنائها ، نعم جـاءوا معـه لإهانتهـا بطريقـة لـم تكـن متوقعـة جعلـت مـن الأمـر مـا يسـمي بهـم يضحك وهم يبكي.

مفاجـأة مذهلـة ليقتـرب منهـا ابنهـا الأكبر ويلومهـا ويتهمهـا بأنهـا مـن دفعـت أبـاه أن يلجأ لذلك.

سـكتت الأم ولـم تـتكلم فـالموقف كفيـل أن يعبر عـن نفسـه ولكنهـا اضـطرت إلى حسـم وإنهـاء الوقـف تقريبـا فقـد أخـذها المحـامي جانبـا وخيرهـا لوتأخـذ مبلغـا أي قيمة القائمة أو يلقى به في السجن لتبديد " العفش ".

بالتالي رضيت في وسط الجموع أن تأخذ ما حدد لها لتوقع على استلام عفشها في الحال وتنتهي بذلك هذه القضية ليعود الزوج صاغرا إلى بيته.

أقسمت بالله لمحاميها الخاص أنها ما رضيت بالمبلغ إلا لتنجده من السجن لأجل أولادها وهو لا يدرك ذلك.

لم تسامح نفسها فيما أخذته منه وتتمنى لو تعيده ولكن لا بد من تأديبه .

باتت ليلها ليأتيها الصباح فتأخذ بيديها المبلغ وتودعه بالبنك باسم أبنائها الثلاثة فحقهم ولا بد أن يمتلكوه .

.....

أعلنت الوزارة عن الوظائف بالتربية والتعليم ليتقدم الكل بأوراقه حيث يتم التنسيق والاختيار بعد شهرين من التقديم تقريبا.

كانت فرصة لريم أن تتقدم بأوراقها مع العلم من إصابتها بحالة إحباط حيث قدمت أوراقها بضع مرات و لم تقبل فلم تكن الحكومة لترحب بكل المتقدمين بأوراقهم.

شجعتها أمها وأختها بعدما أخبرها بتفاؤلهم هذه المرة داعين لها بالتوفيق.

اليوم إعلان النتيجة مما جعل ريم قلقة لدرجة كبيرة فما أحوجها للوظيفة بهذه الأيام لتعول نفسها أولا وتجد ما يشغل بالها ثانيا فالبيت أصبح مملا لها والحياة رتيبة لا تطاق.

نتيجة المسابقة ظهرت منذ ساعة تقريبا على الانترنت مما جعل الاتصال بها صعبا لتتصل ريم هاتفيا بمن شاركوها المسابقة وتحاول أن تعرف منهم نتيجتها فلا يجيبوها والكل مشغول بحاله.

أخيرا دق هاتفها لتخبرها زوجة خالها بالنتيجة وتبارك لها القبول بالوظيفه وتدعو لها بلتوفيق لتطير ريم فرحا حيث ذلك أول خبر سمعته بعدما نالت الشهادة بل طال الانتظار أيضا.

ريم حاصلة على ليسانس خدمة اجتماعية ورشحت أن تكون أخصائية اجتماعية بإحدى المدارس المجاورة من بلدتها في الريف.

لا يهم بل كل ما في وسعها لتبذله من أجل أن تكون كفؤا للوظيفة المؤهلة لها خاصة أنها منذ فترة حاولت العمل بإحدى المدارس الخاصة ولم تفوق فيها ولم

تسترح بعدما بذلت جهدا كبيرا لإراء مديرها و لكن السيطرة و التحكم جعلها تتركها بعدما أنهكها التعب.

(أنتم أهل لها) قالتها إيمان لريم و هي تسلم عليها بعدما تسلمت وظيفتها بنفس المدرسة التي تعمل فيها بعدما هنأتها على روحها الطيبة ثم على فوزها بالوظفة بعد عناء طويل لتوضح لها أنهم على انتظار دفعة توظف ليرفع عن عاتقهم بعض المسئوليات فتخبرها ريم بأنها تخشى أن لا تكون جديرة بالعمل معهم لترد في الحال بأنهم أهل لها تكريما لما رأته من ذوق بطريقة كلامها و لباقتها.

قالتها إيمان بعفوية و بدون تردد (حاسة إني مش أول مرة أكلمك أو أقعد معاكي) لترد ريم أنها تشعر أيضا بنفس الإحساس.

أنا كنت زي الطفلة الصغيرة في تمردي عليه و كنت " باغير عليه أوي بس مش غيرة عامية زي ما بيقولوا " بل غيرة كلها عقل وحكمة كان الهدف منها إنه يرجع لرشده.

ضحكت إيمان بسخرية و قالت لتكمل الحديث مع ريم :" باين عليه كنت تلميذة فاشلة وما كنتش اعرف."

ربتت ريم على كتف إيمان و استحلفتها ألا تبكي و مسحت دموعها و أخذت برأسها علي صدرها.

تحتاج إيمان أن تفضفض ولكنها تحاول الكتمان خشية أن يظهر ضعفها أمام أحد وخشية أن تقلب الهموم فلا تحب التذكر ولكن اختلف الأمر مع ريم فلا تعلم كيف اطمأن لها قلبها واستراحت لها بل ترغب في الجلوس معها طول الوقت وهذا ما حدث بالفعل فلم يفترقا وأصبح كل منهم يفضفض للآخر بما يجول بصدرة ليستريحا بعد الفضفضة تماما.

رأت إيمان بحدسها شيئا غريبا رأته بعيني ريم مما شد انتباهها إليها ورأت في سكوتها توغلا في غموضها والكلام معها خروجا من هذا الغموض وحاولت مساعدتها أكثر من مرة فلا ترغب ريم في الحديث لتعدها أن يأتي يوما وتتكلم.

فهي تسمع لها فقط و لكن بعد إنهاء حديثها ستخبرها بكل شيء.

سكتت إيمان و لم تعلق على قولها و اكتفت بهز رأسها و ابتسامة خفيفة سألت ريم نفسها حينئذ بضعا من الأسئلة واحتارت فلا مجيب.

إيمان : "طبعا بتسألي نفسك عن سر ابتسانتي لكي.

ريم : فعلا حيرة وارتباك جوايا أول مرة أحس به.

إيمان : طول مانت معى مش عاوزه منك أي ارتباك .

عموما اتركي كل شيء لوقته بس عندي رغبة أحكيلك كل حاجة عني وده طبعا لشيء في نفس يعقوب ومش عاوزاكي تتعجبي لكن اتركي كل شيء لوقته وانت هتفهمي."

ريم : "كده بدأت حيرتي تزيد لكن عشان إحساسي إن أنا وانت واحد مطمني ويارب تدوم المودة بيننا.

إيمان : المودة بس ؟

ريم : قصدك إيه.

إيمان : لا ما تخديش في بالك .

بقولك إيه : اسمعيني كويس إنت لازم تعرفي إننا تقربا متشابهين في كل شيء .

قاطعتها ريم : متشابهين ؟ وإيه عرفك مع إن اللي بيننا أيام وبس.

إيمان : أيام ؟ ...تقدري تقولي عمر بحاله ...تقدري تقولي قدر.

عارفة يا ريم : القدر ده عجيب قوي والعجيب فيه إننا ممكن نحس به يوم من الأيام يعني ممكن نكون عارفين إن الشيء ده واجب الحدوث وحسينا بيه ووقفنا ببابه ونتجاهله لحد ما نقع فيه نفتكر اللي اتجاهلناه وقتها بس بنقول ياريتنا ومتهيألنا إن يا ريتنا بتاعتنا كانت تقدر توقف القدر.

لا أبدا هو واقع لا محالة بس الاستسلام بيكون أدهى وأمر لازم نقاوم حتي لو قدرنا مش عاجبنا الاستسلام وقتها ممكن يحطمنا مش معناها إننا نقف ضده لاء دا يمكن الشيء الوحيد اللي ما نعرفش نعمله بحياتنا.

المهم الرضا وبعد ما نرضى نحاول نغير من نفسنا وما نعترفش بالهزيمة ودى بتكون أول خطوة نخلق من جوانا إنسان بمعنى الكلمة."

.....

لا تفارق صورتها عينيها وتفكر بها كثيرا نعم هي ريم هي التي رأيتها بمنامي ألف مرة آه لو تحكي لا...لا أريدها أن تحكي .

سأحكي أنا .....

و هل تصدقني ؟

أعلم أنها ما حكت قصتها لأحد من قبل ، عن أي قصة تتكلمين يا إيمان وكيف وضعها القدر بطريقك .

نفس الوجه و نفس الملامح و نفس الطباع .

تغيرت قليلا ولكن ما تغيرت روحها أبدا.

أعلمها قدر العلم .

ما زال هاتفا بأذني يهتف باسمها.

ريم ... سامر .. اذهبي و قولي لها.

كيف أقولها و كيف تصدق .

لم يكن لي رباطا بها قبل اليوم أو قبل بضعة أيام كما قالت لي.

نعم رأيتها كثيرا في منامي .

رأيتها منذ أن عشت وحيدة رأيتها بنفس الشكل والمنظر والصوت أيضا يناديني ويوقظني كثيرا من منامي .

أيقظني لأفكر بها طويلا وأنسى همومي ونفسي إلى أن وجدتها.

أخبريها ..تتردد هذه الكلمة وأسمع صداها بأذني.

نعم .. تلك السيدة العجوز تأتيني كثيرا وتتحدث معي لتحكي قصتها و بعد أن تحكيها أقوم من نومي لأرتجف.

هذا هو السر الذي لم أبح به أبدا بل تجاهلته.

لذا حدثتها عن القدر وكيف نتجاهله.

كنت أتمنى أن أكمل معها لكن شيئا يمنعني .....

.....

ساومت نفسها كثيرا على أن تبقى بكتمان سرها عن أي مخلوق كان ذلك قبل رؤيتها لريم نعم هي معها وتحدثها وتراها بل تحس بأنها تعيش معها ففي وقت لاحق ستطلب ملازمتها لها .

هذا ما تفكر فيه دائما ودائما ما تحب التحدث عنها لتري كثيرين ممن حولها يشاركوها الحديث فتتعجب كيف عرفوها وعرفوا الأحداث المرتبطة بها وهي تظن أنها الوحيدة من تعلم بشأنها.

.....

كنا صغارا نلهو ونلعب دونما انكسار، ما أحوجنا حينها إلى صدر حنون نجده وقتما نحتاجه ، من أم وأب ،أخوة حتى الأطفال مثلنا الذين يشاركونا اللعب نجده فيهم ، لا سيما الأقارب والجيران .

تكفينا النظرة ، الابتسامة ، الشفقة.

كل ذلك يعوضنا ويسعدنا.

والآن بعدما كبيرا أصبحنا لا ندرك معني السعادة ولا نتذوق طعمها فهل بأيدينا فعلنا أم أيد خفية توغلت داخل أجسادنا وأرواحنا لتعلمنا حتى القسوة عن الشعور بها.

حاولت مرارا أمنحها نفسي لتجيء الدنيا وتعكس حالي فيزيد رضاي لأشقى.

تبكي ريم لسماعها هذا من إيمان وتحاول إيمان مسح دموعها الضالة الشاردة .

لا جدوى من مسح الدموع اتركيها ، تريحني وقت تعبي.

إيمان: و تتعبنا وقت راحتنا.

أصبحا توأمين كأنما كانا في انتظار بعضهما منذ الأزل ، فلا يدرك معنى اجتماعهما إلا من تذوق مرارة ما تذوقا.

حالفهما الحظ لأول مرة حين عقدا العزم على السفر ألى أحدي مدارس المدن الساحلية حيث سمح لهما وضعهم الوظيفى و ارتباطهما ببعضهما أن يحرزا هدفا في هذا الشأن.

بالتالي سيعيشان وحدهما و الفرصة ستحين أكثر للتعرف على بعضهما أكثر وأكثر.

أخذت ريم القرار وهي مطمئنة أما إيمان فشغل بالها ما عزمت عليه كثيرا و لكن الأمر هينا فالفصل الدراسي الثاني قصير وهي فرصة للتغيير لا أكثر ولا أقل وستعود سريعا خاصة أنها تحب أن تكون بجانب أولادها.

نعم يعيشون مع والدهم ولكنها تحب القرب منهم بطريق غير مباشر.

سعدت إيمان بحياتها الجديدة وأحست بالراحة قليلا لدرجة أنها استطاعت أن تتناسى همومها تدريجيا حتى وصلت أن تنساها فعزمت على أن تتقدم لطريقة حياة أفضل يثنى بها عليها ولا تتوقف مع توقف الزمن بها.

إنها الحياة حتما ،إنه الإصرار ولكن يا ترى ماذا تفعل .

تتذكر كلمة حينما قالها وبدون مناسبة ولكنه أراد قولها ليوجه لها اللوم ويوبخها(أنت اللي رضيتي تعيشي في شرنقتي وتحبسي نفسك فيها) بالفعل كا قال لم تستطع الخروج منها أبدا ولم تفكر في ذلك.

الآن حان الوقت للخروج والتحدي تثبت لذاتها أنها ما زالت على قيد الحياة.

حينها فقط تذكرت ريم وحاولت أن توجه لها ما يجول بخاطرها لتأخذ رأيها.

لم ترد عليها بل تجاهلتها تماما ولأول مرة تنكرها.

تركتها ريم لتخرج من الحجرة من البيت كله ولا تعود إليها لتصفع إيمان بلطمة على وجهها لا تستطيع أن تفيق منها.

بحثت عنها بكل مكان نادتها كثيرا دون مبالاة والآن أصبحت وحيدة فما الأمر إلا أن تناجي ربها ليعينها على وحدتها.

جاءت ريم إليها وهي في حالة مستعصية جاءتها من كل حدب وصوب وعاشت معها كروح تلازمها فلم تكن ريم في الحقيقة إلا حالة وهمية لإيمان صورها لها عقلها الباطن لتعيش معها وتعيش بها لتخرج من أزمتها النفسية بدلا من تلجأ إلى الجنون أو الموت نعم ذهبت ريم اليوم ولم تعد وما عاد بالحياة إلا إيمان التي أصرت أن تقوى وتقف صامدة أما كل ما يواجهها فلم يهزمها الزمن ولم تهزمها الحياة.ما كان لها إلا أن تمسك بالقلم وتكتب قصتها بل تسردها سردا يليق بشخصيتها الغامضة.

ريم هي إيمان التي عادت بعد طلاقها من حيث بدأت عادت و كأن شيئا لم يكن عادت لترى نفسها ابنة السابعة عشر من عمرها لتحب و تمارس طقوس الحب مع سامر فلم يكن خيالا بل كان واقعا بالنسبة لها نعم كانت تدرك ما هي عليه وتتمادى فيه و تصور شخصيات لتعيش معها وتنسي بها كل ما في الدنيا وما فيها وتستغنى عن العالم بأسره ليتعجب من حولها كيف خرجت من مأزقها فما كان لها إلا أن يضرب بها المثل للصبر والمثابرة.

نامت إيمان نوما عميقا بذلك اليوم لتراها تودعها حيث وقفت على شاطىء البحر و لوحت بيديها لها و هي تبتسم .

ما ودعتها وحدها و لكن ودعها كل من حولها و هم يقفون على الشاطىء يبكون.

نعم عاش الجميع مع ريم وعلموا بها وأعانوها على ما كانت عليه لتخرج من أزمتها .

و الآن خرجت منها و لم تعد.

التعريف بالكاتبة

التعريف بالكاتبة:

الهام حسني شرف كوهية

من مواليد ١١سبتمبر ١٩٧٥ محافظةالدقهلية

معلم أول لغة عربية بالأزهر الشريف

حصلت على ليسانس آداب لغة عربية عام١٩٩٨من كلية آداب جامعة المنصورة.

مدير تحرير بجريدة القلم الفصيح الالكترونية

ت: ٠١٠٢٨٨٧٣٩٣٢

Gmail:analkaa20155@gmail.com